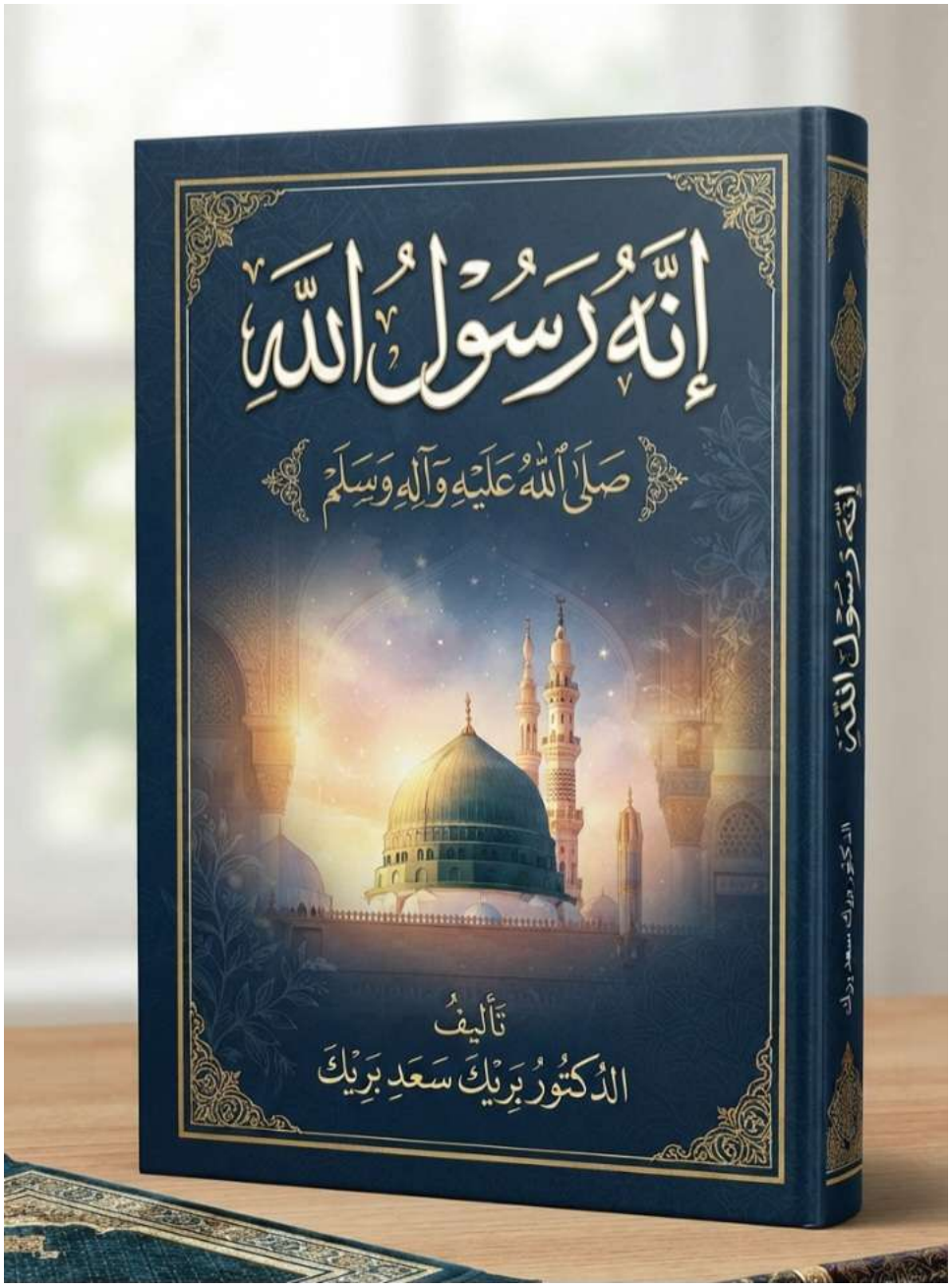

Edit with WPS Office

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسله بالهدى ودين الحق، وجعل خاتمهم سيدنا محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، وحجةً على الخلق أجمعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخاتم أنبيائه ورسله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الحديث عن رسول الله ﷺ ليس حديثًا عن رجل عظيم فحسب ، ولا عن قائدٍ من القادة، ولا عن مصلحٍ من المصلحين، وإنما هو حديث عن خير خلق الله، وخاتم أنبيائه ورسله، وأعظم قدوة عرفتها البشرية.

Edit with WPS Office

إنه محمد بن عبد الله ﷺ، الذي أرسله الله تعالى رحمةً للعالمين، فقال سبحانه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

إنه رسول الله ﷺ، الذي خرج من بيئةٍ ساد فيها الشرك والظلم و العصبية، فحمل راية التوحيد، ودعا إلى عبادة الله وحده، وأقام مجتمعًا يقوم على الإيمان والعدل والرحمة والأخلاق.

إنه رسول الله ﷺ، الذي عاش يتيمًا، ونشأ بعيدًا عن مظاهر الترف و السلطان، ثم اصطفاه الله تعالى بالرسالة، فكان أمينًا قبل البعثة، وصادقًا في دعوته، ثابتًا على الحق بعد البعثة، لم تغيّره المحن، ولم تضعفه الشدائد، ولم تجعله كثرة الأعداء يتراجع عن تبليغ رسالة ربه.

إنه رسول الله ﷺ، الذي أوذي في سبيل الله، وطُرد من وطنه، وحوصر، وفقد الأحبة، وخاض المعارك، ورأى أصحابه يُعذبون ويُقتلون، ومع ذلك ظل قلبه عامرًا بالرحمة، ولسانه ناطقًا بالحق، ونفسه متعلقة بربها، حتى أتم الله به الدين وأكمل به النعمة.

إن دراسة السيرة النبوية ليست ترفًا علميًا، وليست مجرد قراءة لأ حداث وقعت قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا؛ بل هي دراسة لمنهج

Edit with WPS Office

حياة. ففي السيرة نجد كيف يكون الإنسان مؤمنًا عند الشدة، وصابرًا عند البلاء، وعادلًا عند الخصومة، رحيمًا عند القدرة، متواضعًا عند النصر، ثابتًا عند المحن، وحكيمًا في التعامل مع الناس.

وقد أمرنا الله تعالى باتباع النبي ﷺ والاقتداء به، فقال سبحانه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

فالنبي ﷺ هو القدوة في العبادة، والقدوة في الأخلاق، والقدوة في الصبر، والقدوة في الدعوة، والقدوة في القيادة، والقدوة في الأسرة، والقدوة في التعامل مع الصديق والخصم، بل إن سيرته ﷺ تقدم للإنسان نموذجًا متكاملًا للحياة التي تجمع بين صلاح القلب وحسن العمل.

ولم تكن عظمة رسول الله ﷺ في كثرة ما حوله من أسباب القوة المادية، وإنما كانت عظمته في صدقه مع الله، وإخلاصه لدعوته، وثباته على الحق، وحسن خلقه، ورحمته بالخلق.

وقد شهد له ربه سبحانه بعظمة الأخلاق فقال:

Edit with WPS Office

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

وشهد له أصحابه ومن عاشروه بالصدق والأمانة وحسن المعاملة. حتى إن أعداءه قبل بعثته كانوا يعرفون فيه الصدق والأمانة، فلم يستطيعوا أن ينسبوا إليه كذبًا أو خيانة.

ومن هنا جاء عنوان هذا الكتاب:

«إنه رسول الله ﷺ»

فهي ليست مجرد عبارة تُقال، وإنما هي حقيقة تستوجب من المسلم أن يعرف صاحبها، وأن يتأمل سيرته، وأن يتعرف إلى أخلاقه، وأن يقرأ مواقفه، وأن يترجم محبته له إلى اتباع عملي لسنته.

وإن من أعظم صور محبة النبي ﷺ أن نعرفه حق المعرفة؛ أن نعرف كيف كان يقوم الليل، وكيف كان يصلي، وكيف كان يعامل زوجاته، وكيف كان يربي أبناءه وأصحابه، وكيف كان يرحم الضعيف، وكيف كان يتعامل مع المخالف، وكيف كان يصبر على الأذى، وكيف كان

Edit with WPS Office

يعفو عند المقدرة.

فكلما ازداد المسلم معرفةً برسول الله ﷺ ازداد حبًا له، وكلما ازداد حبًا له ازداد حرصًا على اتباعه، وكلما اتبع سنته ظهر أثر ذلك في أخلاقه وعبادته ومعاملاته.

وقد قال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

إن السيرة النبوية مدرسة متكاملة، يتعلم فيها العالم، والداعية، والمربي، والقائد، والزوج، والأب، والشاب، والطفل، وكل إنسان يبحث عن القدوة الصالحة.

وفي صفحات هذا الكتاب سنحاول أن نصحب القارئ في رحلة عبر حياة المصطفى ﷺ؛ من مولده ونشأته، إلى بعثته ودعوته، ثم ما لقيه من الأذى والصبر، ثم هجرته، وبناء الدولة الإسلامية، وغزواته، وفتوحاته، ومعاملاته، وأخلاقه وشمائله، حتى أيامه الأخيرة ووفاته ﷺ.

ولن يكون المقصود مجرد ترتيب الأحداث وسرد الوقائع، وإنما

Edit with WPS Office

سنحاول الوقوف عند الدروس والعبر والمعاني التربوية والإيمانية التي تحملها السيرة، حتى تتحول قراءة السيرة من معرفة تاريخية إلى حياةٍ تُعاش، ومن أحداث تُروى إلى قيم تُطبق.

وسنقف طويلًا أمام مواقف الرحمة والعفو، ومواقف الصبر والثبات، ومواقف الحكمة والشجاعة، ومواقف التواضع والعبادة، لنرى كيف اجتمعت في شخص النبي ﷺ خصال الخير والكمال البشري التي جعلته أعظم قدوة لأمته.

وما أحوج الأمة في زماننا إلى إعادة اكتشاف رسول الله ﷺ، لا من خلال الكلمات وحدها، وإنما من خلال العودة إلى سيرته وسنته وأخلاقه؛ ففي زمن كثرت فيه القدوات الزائفة، تبقى سيرة محمد ﷺ النور الذي لا يخبو، والمنهج الذي لا يضل من تمسك بهديه.

وسنظل في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب نردد في قلوبنا قبل ألسنتنا:

إنه رسول الله ﷺ.

إنه الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

Edit with WPS Office

إنه الذي بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

إنه الذي علّم البشرية معنى التوحيد، والرحمة، والعدل، والكرامة، وا لأخلاق.

إنه الذي أحبه أصحابه حتى بذلوا في سبيل نصرته أموالهم وأنفسهم.

إنه الذي ينبغي لكل مسلم أن يعرف سيرته، ويحب شخصه، ويعظم سنته، ويقتدي بهديه.

فاللّهم ارزقنا صدق محبته، وحسن اتباعه، والثبات على سنته، واحشرنا في زمرته، واسقنا من حوضه شربةً هنيئةً لا نظمأ بعدها أبدًا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

Edit with WPS Office

الفصل الأول

نسبه الشريف ومولده ونشأته ﷺ

تمهيد

حين نتحدث عن رسول الله محمد ﷺ، فإننا نتحدث عن أعظم شخصية عرفتها البشرية، وعن خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي اصطفاه الله تعالى لحمل آخر رسالات السماء إلى الأرض.

وقد شاء الله سبحانه أن تكون بدايته ﷺ بداية إنسانية بسيطة؛ فقد ولد يتيم الأب، ونشأ في بيئة عربية عرفت الشدة وقسوة الحياة ، ثم انتقل بين مراحل متعددة من الرعاية والتربية حتى بلغ مبلغ الرجال، واشتهر بين قومه قبل البعثة بالصدق والأمانة.

وهكذا بدأت قصة أعظم رسول، في مكة المكرمة، من بيت كريم ونسب شريف، ليكون ذلك تمهيدًا للرسالة العظيمة التي سيحملها بعد ذلك.

Edit with WPS Office

أولًا: نسب النبي ﷺ

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وينتهي نسبه الشريف إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهذا هو القدر المتفق عليه من نسبه إلى عدنان، أما ما بين عدنان وإسماعيل عليه السلام ففيه اختلاف بين أهل النسب والسير.

وكان النبي ﷺ من قريش، من بني هاشم، وهي أسرة عُرفت بمكانتها وشرفها في قريش.

وقد اختار الله تعالى لنبيه ﷺ أشرف الأنساب وأطيب البيوت، وفي الحديث عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

Edit with WPS Office

«إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

وهذا الاصطفاء يدل على مكانة النبي ﷺ وشرف أصله، مع التأكيد أن التفاضل الحقيقي عند الله لا يكون بمجرد النسب، وإنما بالتقوى والعمل الصالح.

ثانيًا: والده عبد الله بن عبد المطلب

كان والد النبي ﷺ هو عبد الله بن عبد المطلب، وكان من أحب أبناء عبد المطلب إليه، وقد اشتهر بين قومه بحسن الخلق والجمال.

وتزوج عبد الله من آمنة بنت وهب، وكانت من أشرف نساء قريش نسبًا.

Edit with WPS Office

ولم يقدر لعبد الله أن يرى ولده محمدًا ﷺ؛ فقد توفي قبل مولده، وكان النبي ﷺ لا يزال في بطن أمه.

وهكذا جاء محمد ﷺ إلى الدنيا وقد فقد أباه، فكان يتيمًا منذ ولا دته.

وكان في ذلك من الحكم ما يعلمه الله سبحانه، فقد تولى الله رعايته وحفظه، حتى قال له بعد ذلك:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 6-8].

ثالثًا: مولده ﷺ

ولد النبي ﷺ في مكة المكرمة في عام الفيل.

Edit with WPS Office

وقد اشتهر عند كثير من أهل السيرة أن مولده كان في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، إلا أن تحديد اليوم على وجه القطع ليس محل اتفاق بين أهل العلم، أما كونه ولد في عام الفيل فهو المشهور الثابت في كتب السيرة.

وعام الفيل هو العام الذي حاول فيه أبرهة الحبشي هدم الكعبة، فساق جيشًا عظيمًا ومعه الفيلة، لكن الله تعالى حفظ بيته الحرام، وأهلك جيش أبرهة، كما قال سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: 1-5].

وكان مولده ﷺ حدثًا عظيمًا في تاريخ البشرية، لأن الطفل الذي ولد في مكة سيصبح بعد سنوات رسولًا يحمل إلى العالم رسالة التوحيد والهداية.

رابعًا: نسب أمه آمنة بنت وهب

Edit with WPS Office

أمه ﷺ هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

وكانت من بيت كريم في قريش، وقد حملت برسول الله ﷺ، ثم ولدته في مكة.

وكانت آمنة رضي الله عنها تحيط طفلها بالعناية والرعاية، غير أن حياة النبي ﷺ في طفولته لم تخل من الابتلاءات؛ فقد توفي والده قبل مولده، ثم توفيت أمه وهو لا يزال صغيرًا.

وهكذا اجتمعت في طفولته ﷺ صور متعددة من الابتلاء، لكنه لم يكن وحده؛ فقد كان الله تعالى يرعاه ويحفظه، ويعده لأمر عظيم.

خامسًا: إرضاعه في بني سعد

كانت عادة أشراف العرب في ذلك العصر أن يلتمسوا لأطفالهم

Edit with WPS Office

المراضع من البادية؛ لما كانت تتميز به البادية من صفاء الهواء وقوة الأبدان، ولأن الطفل ينشأ فيها على الفصاحة وقوة اللغة.

فأرضعت النبي ﷺ حليمة السعدية رضي الله عنها، من بني سعد بن بكر.

وقد مكث ﷺ في بني سعد مدة من طفولته، ونشأ في بيئة البادية، واكتسب منها قوة البدن وفصاحة اللسان.

وقد روت كتب السيرة أخبارًا متعددة عن البركة التي ظهرت في بيت حليمة بعد أخذه ﷺ، وتناقل أهل السيرة هذه الأخبار، مع تفاوتهم في صحة أسانيد تفاصيلها؛ ولذلك ينبغي عند دراسة السيرة التفريق بين ما ثبت بأسانيد صحيحة وما اشتهر من أخبار السيرة دون ثبوت قوي.

ومن الثابت أن النبي ﷺ عاش فترة من طفولته عند بني سعد، وكانت هذه المرحلة جزءًا من الإعداد الإلهي لشخصيته.

Edit with WPS Office

سادسًا: وفاة أمه وكفالة جده

عاد النبي ﷺ إلى أمه آمنة بعد سنوات طفولته الأولى.

ثم خرجت به أمه إلى المدينة لزيارة أخواله من بني النجار، ولما عادت به توفيت في الطريق في مكان يسمى الأبواء، وكان النبي ﷺ آنذاك في نحو السادسة من عمره.

وهكذا فقد أمه أيضًا، بعد أن كان قد فقد أباه.

وكان موت الوالدين في هذه السن من أشد صور اليتم والابتلاء، لكن الله تعالى لم يترك نبيه ﷺ دون رعاية.

فكفله جده عبد المطلب، وكان يحبه حبًا شديدًا، وكان يراه طفلًا ذا شأن.

ولم تدم هذه الرعاية طويلًا، إذ توفي عبد المطلب والنبي ﷺ في

Edit with WPS Office

نحو الثامنة من عمره.

ثم انتقلت كفالته إلى عمه أبي طالب، فكان له بمنزلة الأب، ورعاه وحماه، وظل يدافع عنه في مواجهة قريش حتى مات.

سابعًا: في كنف أبي طالب

نشأ محمد ﷺ في بيت أبي طالب، وكان أبو طالب قليل المال وكثير العيال، ومع ذلك أحاط ابن أخيه بالرعاية والعناية.

ولم يكن النبي ﷺ عبئًا على عمه، بل كان منذ صغره محبًا للعمل، متواضعًا، بعيدًا عن حياة اللّهو التي كانت شائعة عند بعض شباب قريش.

وقد اشتغل ﷺ برعي الغنم في صغره، وقال:

Edit with WPS Office

«ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم».

قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال:

«وأنا، رعيتها على قراريط لأهل مكة».

ورعي الغنم مدرسة تربوية عظيمة؛ ففيها يتعلم الإنسان الصبر، و الهدوء، والرحمة، وتحمل المسؤولية، والانتباه للضعيف، وحماية القطيع من الأخطار.

ولعل في ذلك إعدادًا مبكرًا لشخصية ستتحمل مسؤولية أمة كاملة، وستقود الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

ثامنًا: رحلته إلى الشام

خرج النبي ﷺ في صغره مع عمه أبي طالب في رحلة تجارية إلى بـ

Edit with WPS Office

لاد الشام.

وتذكر كتب السيرة قصة بحيرا الراهب وما قيل في لقائه بالنبي ﷺ، إلا أن تفاصيل هذه القصة وردت بأسانيد وكلام لأهل الحديث، ولذلك ينبغي عدم التعامل مع كل تفاصيلها على أنها ثابتة قطعًا.

والثابت أن النبي ﷺ عاش في بيئة التجارة والأسفار، وتعرف على أحوال الناس، واكتسب خبرة بالحياة والمجتمع.

وكانت هذه الخبرات جزءًا من تكوين شخصيته التي ستظهر فيما بعد في إدارة المجتمع والدولة، وفي التعامل مع مختلف القبائل والأ مم.

تاسعًا: شبابه ﷺ وأخلاقه

نشأ محمد ﷺ شابًا كريم النفس، طاهر السيرة، بعيدًا عن عبادة الأ صنام التي كانت منتشرة في مكة.

Edit with WPS Office

ولم يكن معروفًا عنه الكذب أو الخيانة أو الفجور، بل اشتهر بين قومه بالصدق والأمانة.

ولهذا أطلقوا عليه قبل البعثة لقب:

الصادق الأمين.

وهذه الشهادة لم تأت من أتباعه بعد الإسلام فقط، وإنما عرفه بها قومه قبل أن يؤمنوا برسالته.

وهنا تظهر أهمية الأخلاق في حياة الداعية؛ فالرسالة العظيمة تحتاج إلى حامل صادق، والناس قد يختلفون مع الإنسان في أفكاره، لكنهم يصعب عليهم إنكار ما عرفوه عنه من صدق وأمانة.

عاشرًا: مشاركته في حلف الفضول

Edit with WPS Office

شهد النبي ﷺ في شبابه حلف الفضول، وهو حلف تعاهد فيه عدد من بطون قريش على نصرة المظلوم ورد الحقوق إلى أصحابها.

وقد بقي هذا الموقف حاضرًا في ذاكرته ﷺ، حتى قال بعد البعثة:

«لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دُعيت به في الإسلام لأجبت».

وهذا الموقف يكشف عن تقدير الإسلام للعدل ونصرة المظلوم، وأن الخير الذي كان موجودًا في بعض ممارسات العرب لم يرفضه الإسلا م لمجرد أنه حدث قبل البعثة، بل أقر ما وافق الحق والعدل.

الحادي عشر: زواجه من خديجة رضي الله عنها

لما بلغ النبي ﷺ سن الشباب، عمل في التجارة، واشتهر بين الناس با

Edit with WPS Office

لأمانة وحسن التعامل.

وقد عمل في مال خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وكانت من خيرة نساء قريش وأشرفهن، وكانت ذات مال وتجارة.

ولما رأت من أمانته وصدقه وحسن خلقه ما جعلها تطمئن إليه، تم الزواج بينهما.

وكان زواجهما من أنجح الزيجات، وقامت بينهما علاقة عظيمة من المحبة والوفاء.

وكانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن برسول الله ﷺ بعد نزول الوحي، وكانت له سندًا عظيمًا في بداية الدعوة.

الثاني عشر: بناء الكعبة وحل النزاع

Edit with WPS Office

ومن أشهر مواقف النبي ﷺ قبل البعثة قصة إعادة بناء الكعبة.

فلما قامت قريش بإعادة بناء الكعبة، اختلفت القبائل فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه، وكاد النزاع أن يتحول إلى قتال.

ثم اتفقوا على أن يحكم بينهم أول داخل عليهم، فإذا به محمد ﷺ.

فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا به.

وهنا ظهرت حكمته ﷺ؛ فقد وضع الحجر الأسود في ثوب، ثم طلب من رؤساء القبائل أن يرفعوه جميعًا، ثم أخذه بيده الشريفة ووضعه في مكانه.

وبذلك انتهى النزاع دون قتال.

وهذا الموقف يكشف عن شخصية حكيمة قادرة على إدارة الأزمات، وحل النزاعات، وإشراك الأطراف المختلفة في الحل.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: التأمل في غار حراء

كلما تقدم النبي ﷺ في العمر، كان يزداد نفورًا من مظاهر الشرك و الجاهلية.

وكان يحب الخلوة والتأمل، فيذهب إلى غار حراء، فيتعبد الله تعالى ويتفكر في خلقه، بعيدًا عن ضوضاء مكة ومظاهر الشرك فيها.

وفي هذه المرحلة كان الله تعالى يعده لأعظم حدث في تاريخ البشرية: نزول الوحي وبداية الرسالة الخاتمة.

ثم جاء اليوم الذي تغير فيه تاريخ العالم كله، حين نزل عليه جبريل عليه السلام بأول الوحي:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5].

Edit with WPS Office

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة؛ مرحلة النبوة والرسالة، وبدأت معها أعظم رحلة دعوية عرفتها البشرية.

دروس وعبر من نشأته ﷺ

1. اليتم ليس عائقًا أمام النجاح

ولد النبي ﷺ يتيم الأب، ثم فقد أمه وجده، لكنه أصبح أعظم قائد ومربٍ وداعية عرفته البشرية.

فالإنسان لا تحدد قيمته ظروف بدايته، وإنما تحددها همته، وما يوفقه الله إليه من عمل صالح.

2. الابتلاء قد يكون إعدادًا

Edit with WPS Office

مر النبي ﷺ منذ طفولته بألوان من الابتلاء، وربما كان في ذلك إعداد له لتحمل أعباء الرسالة، ومواجهة المشاق، والصبر على الأذى.

3. الأخلاق أساس التأثير

قبل أن يعرف الناس محمدًا ﷺ رسولًا، عرفوه صادقًا أمينًا.

وهذا يعلمنا أن الأخلاق ليست أمرًا ثانويًا في حياة المسلم، وإنما هي من أعظم أبواب التأثير في الناس.

4. تحمل المسؤولية يبدأ مبكرًا

رعي الغنم، والعمل في التجارة، ومخالطة الناس، كلها خبرات ساهمت في تكوين شخصية قوية متوازنة قادرة على تحمل المسؤوليات الكبرى.

5. الحكمة في حل النزاعات

Edit with WPS Office

موقف الحجر الأسود نموذج خالد في حل الخلافات؛ فالحكمة لا تعني الانتصار لطرف على حساب طرف، وإنما الوصول إلى حل يحفظ الحقوق ويمنع الفتنة.

6. اختيار الله لنبيه

لم تكن النبوة نتيجة تجربة بشرية أو تطور اجتماعي، وإنما هي اصطفاء من الله تعالى، قال سبحانه:

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124].

خاتمة الفصل

وهكذا نشأ محمد ﷺ في مكة، يتيم الأب، ثم فقد أمه وجده، وانتقل إلى كفالة عمه، وعرف العمل ورعي الغنم والتجارة، وعاش بين قومه معروفًا بالصدق والأمانة وحسن الخلق.

Edit with WPS Office

لم يكن في طفولته ما يوحي للناس بعظمة المهمة التي تنتظره، لكن الله تعالى كان يهيئه لأمر أعظم من أن تدركه أعين البشر.

فمن مكة، ومن غار حراء، ومن قلب رجل عرفه قومه بالصادق الأمين، ستنطلق رسالة ستغير وجه التاريخ.

لقد كان ذلك الطفل اليتيم هو الذي سيقول بعد سنوات:

«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا».

ومن هنا تبدأ قصة الرسالة.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثاني

محمد ﷺ قبل البعثة: الصادق الأمين

تمهيد

لم تكن بعثة النبي محمد ﷺ حدثًا منفصلًا عن حياته السابقة، بل كانت حياته قبل النبوة تحمل من المقدمات والدلالات ما يهيئ لفهم عظمة شخصيته وصدق رسالته.

فقد عاش ﷺ في مجتمع انتشرت فيه مظاهر الشرك والظلم و العصبية، ومع ذلك ظل بعيدًا عن كثير من عادات الجاهلية، محافظًا على نقاء الفطرة، معروفًا بين قومه بالصدق والأمانة والعفاف وحسن المعاملة.

ولذلك فإن دراسة حياته قبل البعثة تكشف لنا جانبًا مهمًا من جوانب شخصيته ﷺ؛ فقد كان الناس يعرفونه قبل أن يقول لهم: إني رسول الله، وعرفوا صدقه وأمانته، ثم جاء الوحي ليكمل هذا الطريق

Edit with WPS Office

ويحمّله مسؤولية هداية الناس.

أولًا: مكة التي نشأ فيها النبي ﷺ

كانت مكة مركزًا مهمًا من مراكز الجزيرة العربية، وكانت الكعبة تمنحها مكانة دينية عظيمة، كما كانت طرق التجارة تمر بها، فكان لها حضور اقتصادي واجتماعي بارز.

لكن الحياة في مكة لم تكن خالية من مظاهر الانحراف؛ فقد انتشر الشرك وعبادة الأصنام، وأصبحت بعض مظاهر الوثنية مرتبطة بـ الحياة اليومية.

وكان المجتمع المكي يقوم على نظام قبلي قوي، وكانت العصبية للقبيلة من أهم عوامل القوة والحماية.

ومع ذلك، لم يكن المجتمع كله شرًا محضًا؛ فقد كانت فيه خصال حميدة مثل الكرم والشجاعة وحماية الجار والوفاء بالعهد، وكان فيه

Edit with WPS Office

أيضًا كثير من المظالم والممارسات التي جاء الإسلام لإصلاحها.

وفي هذا المجتمع نشأ محمد ﷺ، لكنه لم يكن نسخة من بيئته، ولم تستطع الجاهلية أن تلوث فطرته أو تحرف أخلاقه.

ثانيًا: عناية الله تعالى بنبيه ﷺ

من أعظم المعاني التي تظهر في حياة النبي ﷺ أن الله تعالى تولاه بعنايته منذ صغره.

فقد ولد يتيم الأب، ثم فقد أمه، ثم جده، ومع ذلك لم يكن ضائعًا أو مهمَلًا، بل انتقل من كفالة إلى كفالة حتى بلغ مرحلة النضج.

قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: 6].

Edit with WPS Office

ثم قال سبحانه:

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: 7].

وقد فسر العلماء هذه الآية بأن المقصود أنه ﷺ لم يكن يعلم تفاصيل الشرع والوحي قبل نزوله، فهداه الله إلى ما أرسله به.

ثم قال سبحانه:

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 8].

إن استحضار هذه المعاني يجعل المسلم ينظر إلى حياة النبي ﷺ بعين مختلفة؛ فقد كان الله تعالى يهيئه مرحلة بعد مرحلة للرسالة.

Edit with WPS Office

ثالثًا: محمد ﷺ ورعي الغنم

اشتغل النبي ﷺ برعي الغنم في شبابه.

وقد أخبر ﷺ عن نفسه فقال:

«ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم».

فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال:

«وأنا».

ورعي الغنم يبدو في ظاهره عملًا بسيطًا، لكنه يحمل معاني تربوية عميقة.

فالراعي يحتاج إلى الصبر، واليقظة، والرحمة، وحماية الضعيف، ومعرفة أحوال كل فرد من أفراد القطيع.

Edit with WPS Office

وهذه المعاني نفسها يحتاجها القائد والمربي والداعية.

فالداعية يحتاج إلى الصبر على الناس، والمربي يحتاج إلى الرحمة، والقائد يحتاج إلى معرفة أحوال من يقودهم.

ومن هنا يمكن أن نفهم جانبًا من الحكمة في أن كثيرًا من الأنبياء مروا بهذه التجربة.

رابعًا: عمله ﷺ في التجارة

انتقل النبي ﷺ بعد ذلك إلى العمل في التجارة، وكانت التجارة من أهم الأنشطة الاقتصادية في مكة.

وقد عُرف ﷺ في معاملاته بالصدق والأمانة والبعد عن الغش و الخداع.

Edit with WPS Office

وكانت هذه الأخلاق سببًا في ثقة الناس به، حتى أصبح معروفًا بينهم بالأمانة.

والتجارة بطبيعتها تكشف أخلاق الإنسان؛ لأن الإنسان قد يكون حسن الكلام في المجالس، لكن التعامل بالمال يظهر حقيقة الصدق و الأمانة.

وقد أثبت النبي ﷺ أنه كان أمينًا في البيع والشراء، صادقًا في الحديث، بعيدًا عن استغلال الناس.

خامسًا: لقب الصادق الأمين

من أشهر ما عُرف به النبي ﷺ قبل البعثة أنه كان الصادق الأمين.

وهذه النقطة بالغة الأهمية في دراسة السيرة.

Edit with WPS Office

فالنبي ﷺ لم يظهر فجأة في الأربعين من عمره مدعيًا الرسالة، بل عاش أربعين سنة بين قومه، يعرفونه ويخالطونه ويتعاملون معه.

ولو كان معروفًا بالكذب أو الخيانة قبل البعثة، لكان من السهل على قريش أن تواجه دعوته بهذه التهمة.

لكن الواقع كان مختلفًا؛ فقد عرفوه بالأمانة والصدق.

ولهذا لما سأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ، سأله عن أتباعه، وعن صدقه، وهل كانوا يتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال.

وكان أبو سفيان، وهو يومئذ لم يكن قد أسلم، يقر بأنهم لم يعرفوا عنه الكذب.

فكان تاريخ النبي ﷺ قبل البعثة شاهدًا على صدقه.

Edit with WPS Office

سادسًا: عفته وطهارة سيرته

نشأ النبي ﷺ في مجتمع كان يعرف بعض صور الانحراف الأخلاقي، لكنه لم يكن معروفًا عنه شيء من ذلك.

بل حفظه الله تعالى وصانه.

وهذه الطهارة الأخلاقية كانت من أهم أسباب قوة شخصيته بعد البعثة.

فقد كان الناس يعرفونه إنسانًا عفيفًا، كريم النفس، بعيدًا عن مواطن الفساد.

وقد وصفه الله تعالى بعد البعثة بأنه على خلق عظيم:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

Edit with WPS Office

وهذه الشهادة الإلهية تؤكد أن أخلاقه ﷺ لم تكن مجرد صفات عارضة، وإنما كانت خلقًا راسخًا في شخصيته.

سابعًا: موقفه من عبادة الأصنام

كان الشرك هو العقيدة الغالبة في مكة، وكانت الأصنام منتشرة حول الكعبة وفي أنحاء الجزيرة العربية.

ومع ذلك لم يكن النبي ﷺ معروفًا بأنه شارك قومه في عبادة الأ صنام.

بل كان يميل إلى الخلوة والتأمل، ويبتعد عن مظاهر الشرك.

وهنا تظهر أهمية الفطرة السليمة؛ فالإنسان إذا بقي قريبًا من الحق بفطرته، فإنه قد يشعر بأن بعض ما حوله باطل حتى قبل أن يمتلك ا لأدلة التفصيلية على ذلك.

Edit with WPS Office

ثم جاء الوحي فأوضح له الطريق، وأرسله الله تعالى إلى الناس بـ التوحيد.

ثامنًا: حلف الفضول ونصرة المظلوم

كان من المواقف المهمة في شباب النبي ﷺ مشاركته في حلف الفضول.

وقد اجتمعت جماعة من قريش على نصرة المظلوم، ورد الحقوق إلى أصحابها.

وقد أثنى النبي ﷺ على هذا الحلف بعد النبوة، وقال:

«لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دُعيت به في الإسلام لأجبت».

Edit with WPS Office

وفي هذا الموقف دلالة واضحة على أن الإسلام لا يرفض الخير لمجرد وجوده في مجتمع جاهلي.

فالعدل عدل، ونصرة المظلوم قيمة إنسانية، والوفاء بالعهد خلق كريم.

وقد جاء الإسلام ليزكي هذه المعاني ويجعلها جزءًا من منظومة الإ يمان.

تاسعًا: زواجه من خديجة رضي الله عنها

كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها من سيدات قريش، وكانت صاحبة مال وتجارة.

ولما تعاملت مع النبي ﷺ، رأت فيه من الصدق والأمانة وحسن

Edit with WPS Office

الخلق ما جعلها تثق به.

ثم تزوجها ﷺ، وكانت زوجة وفية، وكان زواجهما من أعظم صور الا ستقرار الأسري في حياته.

وقد وقفت خديجة رضي الله عنها إلى جانبه عندما نزل عليه الوحي ، وكانت أول من آمن به وصدقه.

وهذا يبين أن الحياة الزوجية الناجحة تقوم على الثقة والوفاء و المساندة، وليس على المال أو المكانة وحدهما.

عاشرًا: أبناء النبي ﷺ في حياته قبل البعثة

رزق النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها عددًا من الأبناء.

فكان له منها:

Edit with WPS Office

- القاسم.

- زينب.

- رقية.

- أم كلثوم.

- فاطمة.

- عبد الله.

وقد عاش النبي ﷺ حياة أسرية قبل البعثة، وكان زوجًا وأبًا، يمارس مسؤوليات الحياة اليومية.

وهذا الجانب مهم جدًا؛ لأن الإسلام لم يأتِ بشخصية منعزلة عن الحياة، بل جاء به رجل عرف مسؤوليات الأسرة والمجتمع والعمل، ثم حمل بعد ذلك مسؤولية الرسالة.

الحادي عشر: إعادة بناء الكعبة

Edit with WPS Office

عندما أعادت قريش بناء الكعبة، وقع خلاف كبير حول وضع الحجر ا لأسود في مكانه.

وكانت كل قبيلة تريد أن تنال شرف وضعه.

وتطور الخلاف حتى كاد يؤدي إلى القتال.

ثم اتفقوا على تحكيم أول شخص يدخل عليهم.

وكان ذلك الشخص محمدًا ﷺ.

فلما رأوه قالوا:

هذا الأمين، رضينا به.

وهذا الموقف يكشف مدى الثقة التي كانت قريش تضعها فيه.

Edit with WPS Office

ثم قدم ﷺ حلًا حكيمًا، فوضع الحجر في ثوب، وأمر رؤساء القبائل أن يرفعوه جميعًا، ثم وضعه بيده ﷺ.

وهكذا أنهى النزاع بطريقة جعلت الجميع شركاء في الحل.

وهذا درس عظيم في إدارة الخلافات؛ فالقيادة الحقيقية لا تكون دائمًا بالقوة، وإنما بالحكمة.

الثاني عشر: التأمل والخلوة في غار حراء

كان النبي ﷺ يحب الخلوة والتأمل قبل البعثة.

وكان يذهب إلى غار حراء، ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد.

Edit with WPS Office

وكانت هذه المرحلة مقدمة لنزول الوحي.

فبعد سنوات من التأمل والاستعداد، جاءه جبريل عليه السلام بأول آيات القرآن:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: 1-3].

وهنا انتقل محمد ﷺ من مرحلة الإنسان الصادق الأمين إلى مرحلة النبي الرسول.

الثالث عشر: لماذا كانت حياته قبل البعثة مهمة؟

إن دراسة حياة النبي ﷺ قبل البعثة تكشف لنا عدة حقائق مهمة:

أولًا: أن الرسالة جاءت متفقة مع سيرته

Edit with WPS Office

فالرجل الذي عرفه قومه بالصدق والأمانة لا يُعقل أن يبدأ حياته بـ الكذب ثم يدعي النبوة.

ثانيًا: أن الأخلاق تسبق الدعوة

كان ﷺ صاحب خلق عظيم قبل أن يأمر الناس بالأخلاق.

ثالثًا: أن التجارب تصنع الشخصية

مر ﷺ باليتم، والعمل، والتجارة، والسفر، والحياة الزوجية، و المشاركة الاجتماعية، وكل ذلك ساهم في تكوين شخصية متوازنة.

رابعًا: أن القيادة تحتاج إلى حكمة

ظهر ذلك في موقف الحجر الأسود، حيث حل مشكلة كادت تتحول إلى حرب.

Edit with WPS Office

خامسًا: أن التهيئة للرسالة كانت تدريجية

فقد مر ﷺ بمراحل طويلة من الحياة قبل نزول الوحي، وكأن كل مرحلة كانت إعدادًا لما بعدها.

الرابع عشر: من الصادق الأمين إلى رسول الله

عندما بلغ النبي ﷺ أربعين سنة، كان قد وصل إلى مرحلة من النضج العقلي والنفسي والأخلاقي تؤهله لحمل أعظم أمانة.

وكانت مكة تعرفه.

وكانت قريش تعرفه.

وكانت تعرف صدقه وأمانته.

Edit with WPS Office

ثم جاء الوحي.

ولم يعد الأمر متعلقًا بشخص محمد ﷺ وحده، بل أصبح متعلقًا برسالة إلى العالمين.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28].

وهكذا بدأت مرحلة جديدة تمامًا من حياته ﷺ.

مرحلة الدعوة.

مرحلة الصبر.

مرحلة مواجهة الباطل.

Edit with WPS Office

مرحلة بناء أمة.

مرحلة حمل رسالة التوحيد إلى العالم.

خلاصة الفصل

لقد عاش محمد ﷺ قبل البعثة حياة حافلة بالدروس والمعاني.

كان يتيمًا، فتعلم الصبر.

ورعى الغنم، فتعلم المسؤولية والرحمة.

وعمل في التجارة، فظهر صدقه وأمانته.

Edit with WPS Office

وتزوج خديجة رضي الله عنها، فكان زوجًا وفيًا.

وعاش بين قومه، فكان معروفًا بينهم بالصادق الأمين.

وشارك في نصرة المظلوم، فكان محبًا للعدل.

وحل النزاع حول الحجر الأسود، فظهرت حكمته.

واعتزل مظاهر الشرك، وآثر الخلوة والتأمل، حتى جاءه الوحي.

ثم تغير كل شيء.

فالرجل الذي عرفته مكة باسم محمد بن عبد الله سيصبح بعد نزول الوحي:

محمد رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

ومن هنا تبدأ أعظم فصول السيرة النبوية؛ فصل الوحي والنبوة، و الدعوة إلى الله، والصبر على الأذى.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثالث

نزول الوحي وبداية الرسالة والدعوة إلى الله

تمهيد

بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة، وقد اكتملت في شخصيته معاني الصدق والأمانة والعقل الراجح وحسن الخلق، وأصبح أكثر ميلًا إلى الخلوة والتأمل، بعيدًا عن مظاهر الشرك والفساد التي كانت منتشرة في مكة.

وكانت تلك المرحلة تمهيدًا لأعظم حدث في تاريخ البشرية؛ فقد اختار الله تعالى محمدًا ﷺ ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، ويحمل إلى الناس آخر رسالات السماء.

ومن تلك اللحظة بدأت مرحلة جديدة في حياته ﷺ؛ لم يعد محمد بن عبد الله مجرد الرجل الذي عرفته قريش بالصادق الأمين، بل أصبح رسول الله إلى الناس كافة.

Edit with WPS Office

قال الله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40].

أولًا: غار حراء وبداية الاستعداد للوحي

كان رسول الله ﷺ قبل نزول الوحي يحب الخلوة، وكان يذهب إلى غار حراء في جبل النور، فيتعبد الله تعالى الليالي ذوات العدد.

وكانت هذه الخلوة بعيدة عن حياة الجاهلية وضجيجها، وعن عبادة الأصنام ومظاهر الشرك.

وقد ورد في صحيح البخاري أن أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

Edit with WPS Office

ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يخلو في غار حراء ويتعبد فيه.

وكانت هذه المرحلة إعدادًا نفسيًا وروحيًا لما سيأتي.

ثانيًا: نزول جبريل عليه السلام

وفي إحدى ليالي رمضان، جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وهو في غار حراء، وقال له:

«اقرأ».

فقال النبي ﷺ:

«ما أنا بقارئ».

Edit with WPS Office

ثم وقع عليه الوحي، ونزلت عليه أول آيات القرآن الكريم:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5].

كانت هذه الآيات أول إعلان سماوي ببداية الرسالة.

ولم تكن أول كلمة من الوحي: «احكم»، ولا «اجمع المال»، ولا «قاتل»، وإنما كانت:

﴿اقْرَأْ﴾.

وفي ذلك دلالة عظيمة على مكانة العلم والمعرفة في الإسلام، وأن بناء الإنسان يبدأ بالعلم والإيمان.

Edit with WPS Office

ثالثًا: رجوع النبي ﷺ إلى خديجة رضي الله عنها

بعد هذا اللقاء العظيم مع جبريل عليه السلام، عاد النبي ﷺ إلى بيته وهو في حالة شديدة من التأثر، وقال لخديجة رضي الله عنها:

«زملوني زملوني».

فغطته حتى ذهب عنه الروع.

ثم أخبرها بما حدث.

وكان موقف خديجة رضي الله عنها عظيمًا، فلم تتهمه، ولم تشك فيه، وإنما ثبتت قلبه وذكّرته بأخلاقه وصفاته.

وقالت له:

Edit with WPS Office

«كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

وكانت هذه الكلمات من أعظم صور الدعم النفسي في لحظة شديدة.

فخديجة رضي الله عنها لم تنظر فقط إلى الحدث، بل نظرت إلى شخصية محمد ﷺ وأخلاقه، وعرفت أن الله لا يخزي رجلًا هذه صفاته.

رابعًا: ورقة بن نوفل

ذهبت خديجة رضي الله عنها بالنبي ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد قرأ الكتب السابقة وكان على التوحيد.

فلما سمع منه ما حدث، قال إن هذا هو الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام.

Edit with WPS Office

ثم أخبره أن قومه سيؤذونه ويخرجونه.

فاستغرب النبي ﷺ وقال:

«أَوَمُخْرِجِيّ هم؟»

فأخبره ورقة أن كل من جاء بمثل ما جاء به لقي من قومه الأذى.

وهكذا بدأ النبي ﷺ يعرف أن طريق الرسالة لن يكون سهلًا، وأن حمل الحق يحتاج إلى الصبر والثبات.

خامسًا: انقطاع الوحي فترة

بعد نزول أوائل سورة العلق، انقطع الوحي مدة، ثم نزل بعد ذلك

Edit with WPS Office

قول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 1-5].

وهنا انتقل الأمر من مرحلة التهيئة والوحي الأول إلى مرحلة القيام بالدعوة والإنذار.

لقد انتهى زمن الخلوة.

وحان وقت البلاغ.

سادسًا: أول من آمن برسول الله ﷺ

كان أول من آمن برسول الله ﷺ من الناس خديجة رضي الله عنها، وكانت أول من صدقه ووقف إلى جانبه.

Edit with WPS Office

ثم آمن به أبو بكر الصديق رضي الله عنه من الرجال، وآمن به علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان غلامًا، وآمن به زيد بن حارثة رضي الله عنه.

وهؤلاء السابقون إلى الإسلام كان لهم فضل عظيم في نصرة الدعوة.

وكان أبو بكر رضي الله عنه خصوصًا صاحب أثر كبير في إسلام عدد من كبار الصحابة.

فقد كان رجلًا معروفًا بين قومه، محبوبًا، حسن المعاملة، واسع المعرفة بالأنساب وأخبار العرب، فلما آمن بالنبي ﷺ لم يحتفظ بإيمانه لنفسه، بل بدأ يدعو من يثق بهم.

سابعًا: السابقون الأولون

Edit with WPS Office

دخل في الإسلام عدد من الصحابة في المرحلة الأولى، ومنهم:

- عثمان بن عفان رضي الله عنه.
- الزبير بن العوام رضي الله عنه.
- عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.
- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
- طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.
- أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.
- الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه.
- وغيرهم من السابقين الأولين.

وكان دخول هؤلاء في الإسلام نقطة تحول مهمة؛ فقد بدأت الدعوة تنتشر بصورة محدودة في مكة.

وكان النبي ﷺ يربي هؤلاء على التوحيد والإيمان والصبر.

Edit with WPS Office

ثامنًا: الدعوة السرية

في بداية الدعوة لم تكن الظروف تسمح بالمواجهة العلنية الشاملة.

فبدأ النبي ﷺ بدعوة من يثق بهم من أقربائه وأصحابه، وكان المسلمون يجتمعون بعيدًا عن أعين قريش.

وكان الهدف في هذه المرحلة بناء الإنسان المؤمن قبل بناء المجتمع.

فالإسلام لم يبدأ بتكوين دولة أو جيش، وإنما بدأ بتكوين إنسان موحد مؤمن.

وهذه قاعدة مهمة في فهم المنهج النبوي:

بناء الإنسان أولًا، ثم بناء المجتمع.

Edit with WPS Office

تاسعًا: دار الأرقم

اتخذ المسلمون في مرحلة الدعوة السرية من دار الأرقم بن أبي الأ
رقم مكانًا للاجتماع والتعلم.

وكان النبي ﷺ يجتمع بأصحابه فيها، يعلمهم القرآن، ويربيهم على ا
لإيمان، ويقوي صلتهم بالله.

وهنا تظهر أهمية التربية في الدعوة.

فلم يكن الهدف مجرد زيادة عدد المسلمين، وإنما إعداد جيل
يستطيع حمل الرسالة وتحمل الأذى والتضحية من أجلها.

وكان هذا الجيل هو الذي سيحمل الإسلام بعد ذلك إلى خارج مكة.

Edit with WPS Office

عاشرًا: الجهر بالدعوة

بعد مرحلة من الدعوة السرية، جاء الأمر الإلهي بالجهر بالدعوة.

قال تعالى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214].

فدعا النبي ﷺ أقرب عشيرته، ثم بدأ يدعو قريشًا علنًا.

ثم نزل قول الله تعالى:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94].

وهنا انتقلت الدعوة إلى مرحلة جديدة.

Edit with WPS Office

لم يعد الإسلام أمرًا خاصًا بمجموعة صغيرة، بل أصبح إعلانًا عامًا للتوحيد ومحاربة الشرك والظلم والفساد.

الحادي عشر: دعوة قريش على جبل الصفا

صعد النبي ﷺ على جبل الصفا، ونادى بطون قريش.

فلما اجتمعوا قال لهم ما معناه: لو أخبرتكم أن خيلًا خلف هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟

قالوا: ما جربنا عليك كذبًا.

فقال لهم محذرًا:

«فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد».

Edit with WPS Office

وكان هذا الموقف شاهدًا على أن النبي ﷺ بدأ دعوته من الحقيقة التي يعرفها قومه عنه: الصدق.

فقد كان بإمكانه أن يسألهم أولًا عن صدقه، لكنه عرف أنهم يعلمون صدقه أصلًا.

الثاني عشر: موقف أبي لهب

لم يكد النبي ﷺ يعلن دعوته حتى بدأ بعض أقاربه وأهل مكة في معارضته.

وكان من أشدهم عداوة عمه أبو لهب.

فنزلت سورة كاملة في ذمه:

Edit with WPS Office

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: 1-2].

وكان أبو لهب يمثل نموذجًا لمن يعرف الحق ولكنه يرفضه بسبب الكبر أو العصبية أو المصلحة.

الثالث عشر: لماذا عارضت قريش الدعوة؟

لم تكن معارضة قريش للإسلام بسبب سبب واحد.

بل كانت هناك مجموعة من العوامل، منها:

1. رفض التوحيد

كانت عبادة الأصنام جزءًا من النظام الديني والاجتماعي في مكة، فجاء الإسلام ليقول:

Edit with WPS Office

{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ}.

2. الخوف على المكانة

كان بعض زعماء قريش يخشون أن يؤدي انتشار الإسلام إلى فقدان نفوذهم.

3. المصالح الاقتصادية

ارتبطت مكانة مكة بالحج وخدمة الحرم والتجارة، فخشيت قريش من تأثير الدعوة الجديدة على نظامها.

4. العصبية للآباء

قالوا:

Edit with WPS Office

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23].

5. الاستكبار عن قبول الحق

كان بعضهم يعرف صدق النبي ﷺ، لكن الكبر والحسد منعاه من اتباعه.

الرابع عشر: أساليب قريش في مواجهة الدعوة

لما عجزت قريش عن إسكات الدعوة بالحجة، لجأت إلى وسائل متعددة.

فبدأت بالسخرية والاستهزاء.

ثم استخدمت التشويه الإعلامي.

Edit with WPS Office

ثم مارست الضغط على أبي طالب.

ثم عذبت المستضعفين من المسلمين.

ثم حاولت إغراء النبي ﷺ بالمال والملك والجاه.

لكن النبي ﷺ ثبت على دعوته.

ومن أشهر ما ورد في السيرة أن قريشًا عرضت عليه المال والملك وغير ذلك، لكنه لم يتخل عن رسالته.

وكان معنى موقفه واضحًا:

الحق ليس سلعة للمساومة.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: ثبات النبي ﷺ

كان النبي ﷺ يعلم أن الطريق شاق، ومع ذلك لم يتراجع.

لم تغره الدنيا.

ولم ترهبه قوة قريش.

ولم تجعله قلة الأتباع يشك في رسالته.

بل ظل ثابتًا على التوحيد.

وكان هذا الثبات من أعظم أسباب نجاح الدعوة.

فالداعية إذا كان مترددًا في الحق، فلن يستطيع أن يقنع الآخرين بـ الثبات عليه.

Edit with WPS Office

السادس عشر: منهج النبي ﷺ في الدعوة

يمكن أن نستخلص من هذه المرحلة مجموعة من الأسس المهمة في المنهج النبوي:

الإخلاص

كان هدف النبي ﷺ هو إبلاغ رسالة الله، وليس الحصول على المال أو السلطة.

الحكمة

قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125].

Edit with WPS Office

التدرج

بدأ النبي ﷺ بالأقربين، ثم اتسعت الدعوة.

التربية

لم يكن الهدف مجرد إعلان الإسلام، بل بناء جيل مؤمن.

الصبر

لم يتوقع النبي ﷺ أن تتغير مكة في يوم وليلة.

القدوة

كان النبي ﷺ يطبق ما يدعو إليه.

Edit with WPS Office

السابع عشر: القرآن في المرحلة المكية

كان القرآن هو المصدر الأول لتربية الجيل الأول.

فقد ركزت السور المكية على:

- توحيد الله.
- الإيمان بالآخرة.
- إثبات النبوة.
- قصص الأنبياء.
- تزكية النفس.
- الصبر والثبات.
- محاربة الشرك.
- إقامة الأخلاق.

Edit with WPS Office

وهذا يكشف أن بناء العقيدة كان أساسًا في المرحلة الأولى من الدعوة.

فإذا استقام القلب، أمكن بعد ذلك بناء السلوك والمجتمع.

الثامن عشر: الدروس التربوية من بداية الدعوة

الدرس الأول: الإصلاح يبدأ بالعقيدة

بدأ النبي ﷺ بتصحيح علاقة الإنسان بربه.

الدرس الثاني: بناء الرجال قبل بناء المؤسسات

ربى النبي ﷺ أفرادًا صاروا فيما بعد قادة للأمة.

Edit with WPS Office

الدرس الثالث: الصبر جزء من طريق الدعوة

لم تكن الدعوة سهلة، ولذلك احتاجت إلى رجال صابرين.

الدرس الرابع: لا مساومة في أصل الدين

قبل النبي ﷺ الحوار، لكنه لم يساوم على التوحيد.

الدرس الخامس: القدوة أقوى من الكلام

كان الناس يرون صدقه وأمانته قبل أن يسمعوا منه دعوته.

خاتمة الفصل

بدأ الوحي بكلمة:

Edit with WPS Office

﴿اقْرَأْ﴾.

ثم جاء التكليف:

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

فانتقل محمد ﷺ من الخلوة إلى الدعوة، ومن التأمل إلى البلاغ، ومن حياة الفرد إلى مسؤولية الأمة.

آمنت به خديجة رضي الله عنها، وأبو بكر، وعلي، وزيد، ثم تبعهم السابقون الأولون.

وبدأت الدعوة سرًا، ثم انتقلت إلى الجهر.

وعندما أعلنت قريش الحرب على الدعوة، ظهر معدن النبي ﷺ الحقيقي: الصبر والثبات والرحمة والحكمة.

Edit with WPS Office

لم يكن أمامه جيش، ولا مال، ولا دولة، لكنه كان يحمل أعظم قوة: ا لإيمان باللّٰه واليقين بنصره.

ومن هنا بدأت رحلة طويلة من الابتلاءات؛ رحلة سيُعذّب فيها المؤمنون، ويُحاصرون، ويُهاجرون، ويواجهون قريشًا، حتى يأذن اللّٰه لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة.

وهكذا لم تكن بداية الرسالة بداية طريق سهل، وإنما كانت بداية أعظم امتحان وأعظم انتصار.

إنه رسول اللّٰه ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الرابع

أذى قريش وصبر رسول الله ﷺ

تمهيد

لم تكن طريق الدعوة إلى الله تعالى مفروشة بالورود، ولم يكن من السهل على قريش أن تقبل رسالة تهدم ما اعتادته من عقائد ومصالح وعادات.

فمنذ أن أعلن رسول الله ﷺ دعوته إلى توحيد الله تعالى، بدأت قريش تشعر بالخطر على نظامها الديني والاجتماعي والاقتصادي، فتحولت المعارضة من مجرد رفض فكري إلى اضطهاد منظم للمؤمنين.

وكان رسول الله ﷺ في قلب هذه المواجهة؛ فقد تعرض للسخرية، و التكذيب، والإيذاء، والضغط، ومحاولات الإغراء والمساومة، لكنه لم يتراجع عن دعوته، ولم يبدل من منهجه، ولم يطلب من أصحابه أن

Edit with WPS Office

يتخلوا عن إيمانهم.

وفي هذه المرحلة ظهرت عظمة الصبر النبوي، وبرزت نماذج من التضحية والثبات جعلت من الجيل الأول من المسلمين مدرسة خالدة في الإيمان.

أولًا: لماذا اشتد أذى قريش؟

كانت دعوة النبي ﷺ تهدد الأسس التي قامت عليها الجاهلية في مكة.

فالإسلام يقول إن الله واحد لا شريك له، بينما كانت قريش تعظم الأصنام.

والإسلام يقرر أن الناس جميعًا أمام الله سواء، بينما كان المجتمع يقوم على تفاوت طبقي وقبلي كبير.

Edit with WPS Office

والإسلام يأمر بالعدل، ويحرم الظلم، ويحاسب الإنسان على عمله، بينما كانت بعض صور الظلم والاستغلال راسخة في المجتمع.

لذلك لم تكن قريش ترى الإسلام مجرد عبادة جديدة، بل رأت فيه تغييرًا عميقًا لطريقة الحياة.

ثانيًا: السخرية والاستهزاء

بدأت قريش بمحاولة إضعاف الدعوة عن طريق السخرية والا ستهزاء.

فكانوا يطلقون على النبي ﷺ أوصافًا مختلفة يريدون بها تشويه صورته أمام الناس.

وقد رد القرآن على هذه الافتراءات، فقال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: 95].

وكان النبي ﷺ يواجه ذلك بالصبر.

لم يكن يرد الإساءة بإساءة، ولم يسمح للغضب أن يحرفه عن منهج الدعوة.

وكان همه الأكبر أن يصل الحق إلى الناس.

ثالثًا: محاولات تشويه الدعوة

لما لم تنجح السخرية في إيقاف انتشار الإسلام، انتقلت قريش إلى التشويه.

فمرة قالوا إن القرآن شعر، ومرة قالوا إنه سحر، ومرة اتهموا النبي

Edit with WPS Office

ﷺ بأنه ساحر أو كاهن.

وكان الهدف من ذلك منع الناس من الاستماع إليه.

وقد بين القرآن حقيقة الأمر:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: 69].

وكانت قريش تعرف في داخلها أن كلام النبي ﷺ ليس ككلام الشعراء والكهان، لكن الخوف على المصالح والسلطة جعل بعضهم يصر على التكذيب.

رابعًا: تعذيب المستضعفين

لما عجزت قريش عن إسكات النبي ﷺ، اتجهت إلى أتباعه، وخاصة الضعفاء الذين لا تملك قبائلهم حمايتهم.

Edit with WPS Office

فكان المسلمون يتعرضون للتعذيب والإهانة.

ومن أشهر من عُذبوا:

بلال بن رباح رضي الله عنه.

كان بلال عبدًا، فعذبه سيده أمية بن خلف، وكان يضع عليه الصخر في شدة الحر ويطلب منه الرجوع عن الإسلام.

لكن بلالًا رضي الله عنه ظل يقول:

«أحدٌ أحد».

فكان هذا النداء البسيط تعبيرًا عن عقيدة عظيمة؛ أن الله واحد، وأن المؤمن قد يُعذب جسده، لكن لا يستطيع أحد أن ينتزع الإيمان من قلبه.

Edit with WPS Office

خامسًا: آل ياسر

ومن أعظم قصص الثبات قصة آل ياسر.

فقد عُذب ياسر وزوجته سمية وابنهما عمار رضي الله عنهم.

وكانت سمية رضي الله عنها من أوائل الشهداء في الإسلام.

وقد صبرت على التعذيب ولم تتراجع عن إيمانها.

وكان النبي ﷺ يمر عليهم وهم يعذبون، فيقول:

«صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة».

إن هذه الكلمات تكشف رحمة النبي ﷺ بأصحابه، كما تكشف أن

Edit with WPS Office

الصبر على الحق قد يكون ثمنه غاليًا، لكنه عند الله عظيم.

سادسًا: موقف النبي ﷺ من تعذيب أصحابه

كان النبي ﷺ يتألم لما يرى من تعذيب أصحابه.

لكنه لم يكن يملك في تلك المرحلة قوة تمنع قريشًا من إيذائهم، ولذلك كان يثبتهم ويواسيهم، ويعدهم بنصر الله وثوابه.

وهذا يعلمنا أن القيادة ليست دائمًا امتلاك القوة المادية.

فقد يكون القائد عاجزًا عن إزالة كل الأذى فورًا، لكنه يستطيع أن يمنح الناس الأمل والثبات.

Edit with WPS Office

سابعًا: محاولة قريش مساومة النبي ﷺ

لما رأت قريش أن الدعوة تنتشر رغم التعذيب والتشويه، حاولت أن تدخل في مرحلة المساومة.

فعرضوا على النبي ﷺ المال والجاه والملك، وأرادوا منه أن يترك دعوته.

لكن النبي ﷺ لم يتراجع.

فالدعوة إلى التوحيد لم تكن مشروعًا شخصيًا يبحث من خلاله عن مكاسب.

لقد كان رسولًا يؤدي أمانة.

والرسالة لا تباع بالمال، ولا تُترك من أجل الجاه.

Edit with WPS Office

ثامنًا: موقف أبي طالب

كان أبو طالب عم النبي ﷺ من أعظم من وقف إلى جانبه في تلك المرحلة.

ولم يكن أبو طالب قد أسلم، لكنه ظل يحمي النبي ﷺ ويمنع قريشًا من الوصول إليه.

وكانت قريش تضغط عليه حتى يسلمهم ابن أخيه، لكنه رفض.

وكان موقفه سببًا مهمًا في استمرار حماية النبي ﷺ في مكة.

وهنا يظهر جانب من الوفاء؛ فقد وقف أبو طالب إلى جانب ابن أخيه وحماه، رغم اختلافه معه في العقيدة.

Edit with WPS Office

تاسعًا: الهجرة إلى الحبشة

لما اشتد التعذيب، أذن النبي ﷺ لبعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة.

وقال لهم إن فيها ملكًا لا يُظلم عنده أحد.

وكانت هذه أول هجرة في الإسلام.

فخرج عدد من المسلمين فرارًا بدينهم، وتركوا بيوتهم وأموالهم ووطنهم من أجل الحفاظ على عقيدتهم.

وهذا يبين أن حفظ الدين كان عندهم أغلى من كل شيء.

Edit with WPS Office

عاشرًا: جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي

كان من أبرز المواقف في الهجرة إلى الحبشة موقف جعفر بن أبي ط
الب رضي الله عنه أمام النجاشي.

فقد أرسلت قريش وفدًا لمحاولة إعادة المسلمين إلى مكة.

وسأل النجاشي المسلمين عن دينهم.

فتحدث جعفر رضي الله عنه عن حال العرب قبل الإسلام، ثم وصف
ما جاء به النبي ﷺ من التوحيد والصدق والعفاف وصلة الرحم.

ثم قرأ عليه من سورة مريم.

فتأثر النجاشي بما سمع، ورفض تسليم المسلمين إلى قريش.

وكان هذا موقفًا عظيمًا أظهر قوة البيان والثبات على الحق.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: إسلام حمزة بن عبد المطلب

ومن الأحداث المهمة في هذه المرحلة إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، عم النبي ﷺ.

وكان حمزة قوي الشخصية، شجاعًا، وله مكانة بين قريش.

وقد كان إسلامه دعمًا معنويًا قويًا للمسلمين.

ثم جاء بعده إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد كان لإسلامهما أثر كبير في تقوية المسلمين ورفع معنوياتهم.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: إسلام عمر بن الخطاب

كان عمر رضي الله عنه قبل إسلامه شديدًا على المسلمين.

لكن الله تعالى شرح صدره للإسلام.

وكان إسلامه تحولًا مهمًا في تاريخ الدعوة المكية.

فقد أصبح من أعظم أنصار النبي ﷺ، وكان معروفًا بالقوة والشجاعة والوضوح.

وقد أضاف وجوده قوة للمسلمين، وأصبح المسلمون أكثر قدرة على إظهار عبادتهم.

وهنا يظهر أن القلوب بيد الله، وأن من كان بالأمس معاديًا للدعوة قد يصبح غدًا من أعظم المدافعين عنها.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: الحصار والمقاطعة

لما رأت قريش أن وسائل الضغط المختلفة لم توقف الدعوة، اتفقت على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب.

وتمثلت المقاطعة في منع التعامل والزواج والتجارة معهم، حتى يسلموا النبي ﷺ لقريش.

وانتقل النبي ﷺ وأهله ومن ناصرهم إلى شِعب أبي طالب.

وكان الحصار شديدًا، حتى عانى المسلمون ومن معهم من الجوع و المشقة.

واستمر الحصار نحو ثلاث سنوات.

وكانت هذه المرحلة من أقسى مراحل الدعوة المكية.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: الصبر في شعب أبي طالب

عاش المسلمون في ظروف شديدة الصعوبة.

ومع ذلك ظل النبي ﷺ ثابتًا.

وكان يمكن أن يطلب إنهاء الحصار بأي تنازل، لكنه لم يفعل.

لقد كان يعلم أن التوحيد ليس قضية يمكن المساومة عليها.

وكان أصحابه يتعلمون منه أن الصبر ليس مجرد تحمل سلبي، وإنما هو استمرار في الطريق مع الثبات على الحق.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: نقض الصحيفة

لم يستمر الحصار إلى الأبد.

فقد تحرك عدد من عقلاء قريش لإنهائه، لأن المقاطعة كانت ظلمًا شديدًا.

وكانت الصحيفة التي كتبت بها المقاطعة قد أكلتها الأرضة إلا ما كان فيها من اسم الله تعالى، كما ورد في أخبار السيرة.

ثم انتهت المقاطعة، وخرج النبي ﷺ ومن معه من الشعب.

وكان انتهاء الحصار فرجًا بعد شدة.

Edit with WPS Office

السادس عشر: عام الحزن

بعد انتهاء الحصار بمدة، توفي أبو طالب، ثم توفيت خديجة رضي الله عنها.

وكان فقدهما شديدًا على النبي ﷺ.

فقد فقد الحامي والمدافع عنه، وفقد الزوجة التي كانت أول من آمن به وصدقه وواساه.

وسمي ذلك العام بـ عام الحزن لما أصاب النبي ﷺ فيه من الألم.

وهنا نرى الجانب الإنساني العظيم في شخصية النبي ﷺ.

فهو رسول الله، لكنه بشر يحزن ويفقد من يحب، ويتألم، ولكنه لا يعترض على قدر الله.

Edit with WPS Office

السابع عشر: رحلته إلى الطائف

بعد اشتداد أذى قريش، خرج النبي ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة، ويدعو أهلها إلى الإسلام.

لكن أهل الطائف لم يستجيبوا له، بل قابلوا دعوته بالإساءة، وأغروا سفهاءهم وصبيانهم به، حتى أدموا قدميه بالحجارة.

وكان ذلك من أصعب المواقف في حياته ﷺ.

ومع ذلك، لم يدعُ عليهم بالهلاك لمجرد الانتقام.

بل ظل يحمل في قلبه الرحمة والأمل.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: دعاء النبي ﷺ بعد الطائف

بعد أن خرج النبي ﷺ من الطائف، لجأ إلى الله تعالى، وشكا إليه ضعفه وقلة حيلته، لكنه لم يفقد الثقة بالله.

وهنا يظهر معنى عظيم:

قد يضعف الإنسان أمام الناس، لكنه لا يضعف أمام الله.

فالنبي ﷺ لم يجعل رفض الناس سببًا لليأس من الدعوة.

التاسع عشر: موقف ملك الجبال

جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، ومعه ملك الجبال، وعرض عليه أن يطبق الأخشبين على أهل مكة إذا أراد.

Edit with WPS Office

لكن النبي ﷺ لم يختر الانتقام.

بل قال إنه يرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده.

يا لها من رحمة!

لقد عانى منهم سنوات من الأذى، ثم حين امتلك فرصة الانتقام اختار الأمل.

وهذه من أعظم صور الرحمة في السيرة النبوية.

العشرون: الدروس المستفادة من هذه المرحلة

1. الصبر طريق النصر

Edit with WPS Office

لم يتغير الواقع في مكة بسرعة، لكن النبي ﷺ لم يتراجع.

2. الابتلاء لا يعني فشل الدعوة

قد يتعرض الداعية للأذى، وقد يرفض الناس كلامه، لكن ذلك لا يعني أن الحق باطل.

3. الإيمان الحقيقي يظهر وقت الشدة

ظهر إيمان بلال وآل ياسر وغيرهم عندما أصبح الإيمان مكلفًا.

4. الرحمة حتى مع الخصوم

لم يتحول أذى قريش إلى كراهية شخصية أزالت رحمة النبي ﷺ.

5. الأخذ بالأسباب

Edit with WPS Office

الهجرة إلى الحبشة كانت دليلًا على أن المسلم يأخذ بالأسباب لحماية دينه ونفسه.

6. القوة ليست دائمًا مادية

قد يكون الإنسان قليل المال والقوة، لكنه يستطيع أن يكون قوي العقيدة والإرادة.

7. لا مساومة على العقيدة

ظل النبي ﷺ ثابتًا على التوحيد رغم العروض والضغوط.

الحادي والعشرون: مدرسة الصبر النبوي

Edit with WPS Office

كانت هذه المرحلة مدرسة كاملة في الصبر.

صبر النبي ﷺ على التكذيب.

وصبر على الأذى.

وصبر على فقد الأحبة.

وصبر على الجوع والحصار.

وصبر على رفض أهل الطائف.

ومع ذلك لم يفقد الأمل.

ولم يتحول إلى شخص حاقد.

ولم يتخل عن رسالته.

Edit with WPS Office

وهذا هو الصبر الحقيقي:

أن تتألم، ولكن لا تنحرف.

أن تُؤذى، ولكن لا تظلم.

أن تُرفض، ولكن لا تيأس.

أن تضيق بك الدنيا، ولكن يظل قلبك متعلقًا باللّٰه.

خاتمة الفصل

مرت الدعوة المكية بسنوات من الألم والاضطهاد.

Edit with WPS Office

تعذب المسلمون، وهُجّروا، وحوصروا، وفقد النبي ﷺ عمه وزوجته، ورُفضت دعوته في الطائف، ومع ذلك لم تسقط الراية.

بل على العكس؛ كان كل ابتلاء يصنع جيلًا أقوى، ويهيئ الأمة للمرحلة القادمة.

وفي الوقت الذي كان يبدو فيه أن أبواب مكة قد أغلقت، كانت أبواب أخرى تفتح في مكان آخر.

فقد بدأ أهل يثرب يسمعون برسالة الإسلام.

وبدأت لقاءات العقبة.

ثم جاءت البيعة.

ثم جاءت الهجرة.

ومن هنا ستنتقل السيرة من مرحلة الاستضعاف والصبر في مكة إلى

Edit with WPS Office

مرحلة بناء المجتمع والدولة في المدينة.

لقد كانت مكة مدرسة الإيمان والصبر.

وكانت المدينة ستصبح مدرسة البناء والعمل والجهاد.

وفي كلتا المرحلتين ظل محمد ﷺ هو نفسه:

عبدًا لله، ونبيًا، ورسولًا، ورحمة للعالمين.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الخامس

الإسراء والمعراج وبيعتا العقبة والهجرة إلى المدينة

تمهيد

بعد سنوات طويلة من الدعوة في مكة، وما صاحبها من أذى واضطهاد وحصار وفقد للأحبة، جاءت مرحلة جديدة في حياة رسول الله ﷺ.

فقد كان عام الحزن بما حمله من وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها من أشد السنوات على قلب النبي ﷺ، ثم جاءت رحلة الطائف بما فيها من ألم ورفض وأذى.

لكن الله تعالى لا يترك عبده المؤمن وحده في لحظات الشدة، وكانت بعد هذه المحن بشائر عظيمة، كان من أبرزها الإسراء والمعراج، ثم لقاء أهل يثرب، ووقوع بيعتي العقبة، ثم الهجرة المباركة التي نقلت الدعوة إلى مرحلة جديدة.

Edit with WPS Office

فما إن أُغلقت أبواب مكة والطائف في وجه الدعوة، حتى فتح الله لها أبوابًا جديدة في يثرب، ليبدأ عهد المدينة، وليتحول المسلمون من جماعة مستضعفة إلى أمة لها مجتمع ودولة.

أولًا: الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج من أعظم الأحداث في السيرة النبوية.

قال الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: 1].

فأسرى الله تعالى بنبيه ﷺ ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

Edit with WPS Office

ثم عُرج به إلى السماوات، ورأى من آيات ربه الكبرى، وفرضت عليه الصلوات الخمس.

وكانت هذه الرحلة تكريمًا عظيمًا للنبي ﷺ، وتثبيتًا له بعد سنوات من المشقة والأذى.

ثانيًا: المسجد الحرام والمسجد الأقصى

في رحلة الإسراء، انتقل النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد ا لأقصى.

وفي هذا الربط دلالة عظيمة على وحدة رسالات الأنبياء.

فالأنبياء جميعًا دعوا إلى عبادة الله وحده، وإن اختلفت بعض الشرائع والأحكام.

Edit with WPS Office

وقد صلى النبي ﷺ بالأنبياء إمامًا في المسجد الأقصى، وفي ذلك إشارة إلى مكانته ﷺ وختمه للنبوات.

ثالثًا: المعراج إلى السماوات

بعد الإسراء عُرج بالنبي ﷺ إلى السماوات.

وفي الصحيحين وردت قصة المعراج، وأنه لقي عددًا من الأنبياء، منهم آدم في السماء الأولى، وعيسى ويحيى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة عليهم السلام.

وكانت هذه الرحلة من أعظم آيات الله التي أراها لنبيه ﷺ.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: 18].

رابعًا: فرض الصلاة

من أعظم ما ارتبط برحلة المعراج فرض الصلوات الخمس.

فالصلاة ليست مجرد عبادة من العبادات، وإنما هي الصلة اليومية بين العبد وربه.

وفي البداية فرض الله خمسين صلاة، ثم خففها إلى خمس صلوات في العمل، وخمسين في الأجر.

وهذا يبين عظمة الصلاة ومكانتها.

فهي العبادة التي فرضت في السماء، وهي التي تتكرر كل يوم وليلة،

Edit with WPS Office

لتبقى علاقة المسلم بالله حية متجددة.

خامسًا: موقف قريش من خبر الإسراء

عندما أخبر النبي ﷺ قومه بما حدث، كذبه بعضهم واستهزأوا به.

وكان الأمر بالنسبة لهم فوق التصور البشري المعتاد.

لكن أبا بكر رضي الله عنه لما سمع الخبر صدق رسول الله ﷺ، ولهذا سمي:

الصديق.

فقال حين قيل له إن محمدًا يقول إنه أسري به إلى بيت المقدس:

Edit with WPS Office

إن كان قال فقد صدق.

وهذا موقف يكشف حقيقة الإيمان؛ فالمؤمن يثق بخبر الرسول ﷺ فيما أخبر به عن الله، ولا يجعل عجز عقله عن إدراك الكيفية سببًا لتكذيب الوحي.

سادسًا: بداية الاتصال بأهل يثرب

في الوقت الذي كانت فيه قريش تزداد عداءً للنبي ﷺ، كان الإسلام يجد طريقه إلى خارج مكة.

وكان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج، ويدعوهم إلى الإسلام.

وفي إحدى هذه المواسم التقى نفرًا من أهل يثرب، فحدثهم عن الإ سلام، فاستجابوا له.

Edit with WPS Office

وكان هؤلاء من الخزرج.

فلما عادوا إلى قومهم تحدثوا عن رسول الله ﷺ وعن الدين الجديد.

وهكذا بدأ الإسلام ينتشر في يثرب.

سابعًا: بيعة العقبة الأولى

في العام التالي جاء عدد من أهل يثرب إلى مكة، والتقوا بالنبي ﷺ في العقبة، وبايعوه على الإسلام والطاعة في المعروف، وترك الشرك والمعاصي.

وكانت هذه البيعة بداية تحول مهم.

Edit with WPS Office

فقد أصبح للنبي ﷺ أنصار خارج مكة.

ثم أرسل معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ليعلمهم القرآن والإسلام.

وكان اختيار مصعب رضي الله عنه مهمة عظيمة؛ فقد كان شابًا مؤمنًا، حسن الخلق، قوي الحجة، صبورًا على الدعوة.

ثامنًا: مصعب بن عمير سفير الإسلام

ذهب مصعب رضي الله عنه إلى يثرب، وكان من أوائل الدعاة الذين خرجوا من مكة لنشر الإسلام خارجها.

ولم يعتمد على القوة، وإنما اعتمد على القرآن والحكمة وحسن الخلق.

Edit with WPS Office

وكان يقرأ القرآن على الناس، ويشرح لهم الإسلام، ويعلمهم الصلاة.

وكان من نتائج دعوته إسلام عدد كبير من أهل يثرب، ومن أبرزهم سعد بن معاذ وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما.

وأصبح الإسلام ينتشر في بيوت يثرب.

تاسعًا: بيعة العقبة الثانية

في العام التالي جاء عدد أكبر من أهل يثرب إلى مكة.

وكان عددهم كبيرًا، ولقوا النبي ﷺ سرًا عند العقبة.

وكانت هذه البيعة مختلفة عن البيعة الأولى؛ فقد تعهد أهل يثرب بحماية النبي ﷺ ونصرته إذا هاجر إليهم، كما يحمون أبناءهم ونساءهم.

Edit with WPS Office

وكانت هذه البيعة نقطة تحول في تاريخ الإسلام.

فقد أصبح هناك مجتمع مستعد لاستقبال النبي ﷺ ونصرته.

عاشرًا: معنى البيعة

لم تكن بيعة العقبة مجرد كلمات، وإنما كانت التزامًا حقيقيًا.

لقد تعهد الأنصار بالنصرة والحماية والتضحية.

وكانوا يعلمون أن استقبال النبي ﷺ يعني الدخول في مواجهة محتملة مع قريش.

ومع ذلك لم يتراجعوا.

Edit with WPS Office

ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى الإيمان الحقيقي:

أن يتحول الاعتقاد إلى موقف، والموقف إلى تضحية، والتضحية إلى عمل.

الحادي عشر: بداية الإذن بالهجرة

بعد بيعة العقبة الثانية، أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى يثرب.

فبدأ المسلمون يخرجون من مكة في مجموعات صغيرة.

وكانت الهجرة قرارًا صعبًا؛ لأن المسلم كان يترك بيته وماله وأرضه وأحيانًا أهله، من أجل الحفاظ على دينه.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: 97].

وقد أصبحت الهجرة من أعظم صور التضحية في تاريخ الإسلام.

الثاني عشر: مؤامرة قريش

لما علمت قريش أن أصحاب النبي ﷺ بدأوا يهاجرون، أدركت أن الأمر لم يعد مجرد دعوة في مكة.

فاجتمع زعماؤها للتشاور في مصير النبي ﷺ.

وكانوا يخشون أن يخرج إلى يثرب، فيصبح له أنصار وقوة.

Edit with WPS Office

فقرروا قتله، واختاروا من كل قبيلة شابًا ليجتمعوا على قتله، حتى يتفرق دمه بين القبائل.

لكن الله تعالى حفظ نبيه ﷺ.

قال سبحانه:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

الثالث عشر: خروج النبي ﷺ من مكة

أذن الله تعالى لنبيه ﷺ بالهجرة.

Edit with WPS Office

وكان أول ما فعله النبي ﷺ الأخذ بالأسباب.

فلم يخرج بصورة عشوائية، بل خطط للهجرة بعناية.

واختار رفيقه أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أعد راحلتين.

وهذا يعلمنا أن التوكل على الله لا يعني ترك الأسباب، وإنما يعني الأ
خذ بالأسباب مع الاعتماد على الله.

الرابع عشر: الهجرة مع أبي بكر رضي الله عنه

خرج النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه من مكة.

Edit with WPS Office

واتجها إلى غار ثور، واختبآ فيه مدة.

وكانت قريش تبحث عنهما.

حتى وصل المطاردون إلى مكان قريب من الغار.

وكان أبو بكر رضي الله عنه خائفًا على النبي ﷺ، فقال:

يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا.

فقال له النبي ﷺ:

«ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

وكانت هذه الكلمات تعبر عن الثقة المطلقة بالله.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: دروس من غار ثور

يحمل موقف الغار دروسًا عظيمة.

أولًا: الأخذ بالأسباب

النبي ﷺ اختار طريقًا مناسبًا، واختبأ في الغار، واستعان بمن يساعده.

ثانيًا: التوكل

مع الأخذ بكل الأسباب، بقي قلبه متعلقًا باللّٰه.

ثالثًا: الثبات

لم يكن النبي ﷺ مضطربًا رغم قرب الخطر.

Edit with WPS Office

رابعًا: الصحبة الصالحة

كان أبو بكر رضي الله عنه رفيقه في أخطر رحلة في حياته.

السادس عشر: الوصول إلى قباء

بعد رحلة شاقة، وصل النبي ﷺ إلى قباء بالقرب من المدينة.

وكان أهل المدينة ينتظرونه بفرح عظيم.

وأقام النبي ﷺ في قباء مدة، وبنى فيها مسجد قباء.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: 108].

وكان بناء المسجد من أول الأعمال التي قام بها النبي ﷺ بعد الهجرة.

وهذا يؤكد أن بناء المجتمع المسلم يبدأ ببناء الإنسان وصلته بالله.

السابع عشر: دخول المدينة

ثم دخل النبي ﷺ المدينة المنورة، واستقبله أهلها استقبالًا عظيمًا.

وكانت الهجرة نقطة تحول كبرى.

فلم يعد المسلمون مجرد أفراد مستضعفين، بل أصبح لهم مجتمع جديد.

Edit with WPS Office

وأصبحت المدينة مركز الدعوة الإسلامية.

ومنها انطلقت الرسالة إلى العالم.

الثامن عشر: فرحة الأنصار

كان الأنصار ينتظرون النبي ﷺ بشوق.

فقد آمنوا به قبل أن يروه، وبايعوه على نصرته، ثم فتحوا له بيوتهم وقلوبهم.

قال تعالى في وصفهم:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].

Edit with WPS Office

وكان استقبال الأنصار للنبي ﷺ نموذجًا رائعًا في التضحية والإيثار.

التاسع عشر: الهجرة ليست هروبًا

قد ينظر بعض الناس إلى الهجرة باعتبارها هروبًا من مكة، لكنها في الحقيقة كانت انتقالًا استراتيجيًا للدعوة.

فالنبي ﷺ لم يترك مكة خوفًا على حياته فقط، وإنما انتقل إلى مكان يستطيع فيه المسلمون بناء مجتمع آمن قادر على حمل الرسالة.

والهجرة في هذا المعنى كانت قرارًا قياديًا عظيمًا.

Edit with WPS Office

العشرون: الهجرة وبداية التاريخ الإسلامي

أصبحت الهجرة حدثًا عظيمًا في تاريخ الإسلام، حتى جعلها المسلمون فيما بعد بداية للتقويم الهجري.

ولم يكن اختيار الهجرة بداية للتاريخ مجرد تسجيل لرحلة جغرافية، وإنما لأنها تمثل انتقالًا من مرحلة إلى مرحلة:

من الضعف إلى القوة.

ومن الاستضعاف إلى التمكين.

ومن الفرد إلى المجتمع.

ومن مكة إلى المدينة.

ومن الدعوة السرية إلى بناء الأمة.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: دروس وعبر

1. بعد الشدة يأتي الفرج

بعد سنوات من الحصار والأذى جاءت الهجرة والفتح.

2. لا يأس من رحمة الله

قد تغلق أمام الإنسان أبواب، ثم يفتح الله له أبوابًا لم يكن يتوقعها.

3. التخطيط لا ينافي التوكل

الهجرة من أوضح الأمثلة على الجمع بين التخطيط والاعتماد على الله.

Edit with WPS Office

4. الصحبة الصالحة نعمة

كان أبو بكر رضي الله عنه خير رفيق للنبي ﷺ في أخطر مراحل الطريق.

5. التضحية أساس النجاح

ترك المهاجرون أموالهم وديارهم من أجل دينهم.

6. بناء المجتمع يحتاج إلى أناس مؤمنين

كان الأنصار مستعدين للتضحية، فاستحقوا أن يكونوا جزءًا من بناء الدولة الجديدة.

7. المسجد مركز البناء

Edit with WPS Office

كان المسجد من أول المؤسسات التي أنشأها النبي ﷺ في المدينة.

الثاني والعشرون: من مكة إلى المدينة

كانت مكة مدرسة الصبر.

وكانت المدينة مدرسة البناء.

في مكة تعلم الصحابة:

الصبر.

والثبات.

والتوحيد.

Edit with WPS Office

والتضحية.

وفي المدينة سيتعلمون:

المجتمع.

والأخوة.

والعدل.

والقيادة.

والدولة.

والجهاد.

Edit with WPS Office

والعلاقات الدولية.

ومن هنا تبدأ مرحلة جديدة في السيرة النبوية.

خاتمة الفصل

لم تكن رحلة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة مجرد رحلة بين مدينتين، بل كانت رحلة من مرحلة تاريخية إلى مرحلة جديدة.

في مكة عانى النبي ﷺ وأصحابه من التكذيب والتعذيب والحصار.

وفي الطائف ذاق مرارة الرفض والأذى.

ثم جاءت رحلة الإسراء والمعراج تثبيتًا وتكريمًا.

Edit with WPS Office

ثم جاءت بيعتا العقبة لتفتحا باب الأمل.

ثم جاءت الهجرة لتبدأ مرحلة جديدة.

خرج النبي ﷺ من مكة وهو مطارد، ودخل المدينة وهو محبوب مستقبَل، لكنه لم ينس مكة، ولم ينس أصحابه الذين بقوا فيها.

وكانت الهجرة بداية بناء أمة ستغير وجه التاريخ.

وفي المدينة سيضع رسول الله ﷺ أسس المجتمع المسلم، وسيؤاخي بين المهاجرين والأنصار، ويبني المسجد، وينظم العلاقات بين سكان المدينة، ثم تبدأ مرحلة المواجهة مع قريش.

لقد انتهت مرحلة الاستضعاف.

وبدأت مرحلة البناء.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل السادس

بناء الدولة والمجتمع في المدينة المنورة

تمهيد

كانت الهجرة النبوية نقطة تحول كبرى في تاريخ الإسلام؛ فقد انتقل رسول الله ﷺ وأصحابه من مرحلة الاستضعاف والاضطهاد في مكة إلى مرحلة جديدة في المدينة المنورة، أصبح فيها للمسلمين مجتمع يأمن فيه المؤمن على عقيدته، ويستطيع أن يعبد ربه ويقيم شعائر دينه.

لكن الوصول إلى المدينة لم يكن نهاية الطريق، بل كان بداية مسؤولية جديدة.

فقد كان على رسول الله ﷺ أن يبني مجتمعًا متماسكًا من أناس مختلفين في أصولهم وقبائلهم، وأن يؤسس علاقة متوازنة بين المهاجرين والأنصار، وأن ينظم الحياة العامة في المدينة، وأن يضع

Edit with WPS Office

قواعد للتعامل مع الطوائف والقبائل المختلفة.

ولم يبدأ النبي ﷺ مشروعه ببناء القصور أو جمع الأموال، وإنما بدأ ببناء الإنسان والمجتمع.

وكانت أولى خطواته:

المسجد، والأخوة، والعدل، وتنظيم الحقوق والواجبات.

ومن هنا بدأت المدينة تتحول إلى نموذج فريد في بناء المجتمع على أساس العقيدة والأخلاق والعدل.

أولًا: دخول النبي ﷺ المدينة

لما وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة، استقبله أهلها بفرح عظيم.

Edit with WPS Office

وكان الأنصار قد عرفوا الإسلام قبل قدومه، وآمنوا به، وبايعوه على النصرة.

وكانت المدينة بحاجة إلى قائد يجمع بين الناس، فكان قدوم النبي ﷺ بداية عهد جديد.

ولم يكن ﷺ مجرد قائد سياسي، بل كان نبيًا ومربيًا وقاضيًا ومعلمًا وقائدًا للمجتمع.

وكان أول ما ظهر في المدينة هو اهتمامه ببناء مجتمع يقوم على الإ يمان والأخوة.

ثانيًا: بناء مسجد قباء

قبل دخول المدينة أقام النبي ﷺ في قباء، وبنى فيها مسجدًا.

Edit with WPS Office

وكان المسجد من أهم المؤسسات التي أقامها النبي ﷺ.

فالمسجد لم يكن مجرد مكان للصلاة، وإنما كان مركزًا للتعليم و التربية والتشاور والعبادة والاجتماع.

قال تعالى:

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: 108].

وكان هذا أول درس في بناء المجتمع:

ابدأ بإصلاح علاقة الإنسان بربه.

Edit with WPS Office

ثالثًا: بناء المسجد النبوي

بعد وصول النبي ﷺ إلى المدينة، بدأ في بناء المسجد النبوي.

وكان المسجد في بدايته بسيطًا، مبنيًا من اللبن وجذوع النخل.

وشارك النبي ﷺ أصحابه في البناء.

وكان هذا الموقف يحمل معنى تربويًا عظيمًا؛ فالقائد الذي يشارك أصحابه في العمل يكسب قلوبهم، ويعلمهم أن المسؤولية ليست امتيازًا وإنما تكليف.

وكان المسجد النبوي مركز الحياة الإسلامية في المدينة.

فيه الصلاة.

وفيه تعليم القرآن.

Edit with WPS Office

وفيه استقبال الوفود.

وفيه القضاء.

وفيه التشاور في شؤون المجتمع.

ومن المسجد انطلقت الدعوة إلى الآفاق.

رابعًا: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كان من أعظم الأعمال التي قام بها النبي ﷺ في المدينة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

فالمهاجرون تركوا أموالهم وديارهم في مكة، ووصل كثير منهم إلى

Edit with WPS Office

المدينة دون مال.

أما الأنصار فكانوا أهل المدينة الذين فتحوا بيوتهم وقلوبهم لإ خوانهم.

فآخى النبي ﷺ بين المسلمين، وجعل رابطة الإيمان فوق روابط القبيلة والنسب.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10].

وكانت المؤاخاة حلًا اجتماعيًا واقتصاديًا ونفسيًا في الوقت نفسه.

فالمهاجر وجد أخًا يعينه.

والأنصاري وجد أخًا يشاركه.

Edit with WPS Office

والمجتمع كله أصبح أكثر ترابطًا.

خامسًا: المهاجرون والأنصار

أصبح المجتمع الإسلامي في المدينة يقوم بصورة أساسية على جماعتين:

المهاجرون الذين تركوا مكة فرارًا بدينهم.

والأنصار الذين آووا ونصروا.

وقد أثنى القرآن الكريم على الفريقين ثناءً عظيمًا.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8].

وقال سبحانه في الأنصار:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: 9].

وهكذا أصبح المجتمع الجديد قائمًا على المحبة والإيثار.

سادسًا: القضاء على العصبية القبلية

كان المجتمع العربي قبل الإسلام يقوم بدرجة كبيرة على العصبية للقبيلة.

Edit with WPS Office

كان الرجل ينصر ابن قبيلته سواء كان ظالمًا أو مظلومًا.

أما الإسلام فقد نقل معيار الانتماء من القبيلة إلى العقيدة والأخلاق.

قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

ولم يكن معنى ذلك إلغاء الأنساب أو القبائل، وإنما إلغاء التعصب الظالم.

فأصبح المسلم ينصر أخاه في الحق، لا لمجرد أنه من قبيلته.

سابعًا: وثيقة المدينة

Edit with WPS Office

من أهم الخطوات التنظيمية التي ارتبطت بالمدينة صحيفة المدينة أو وثيقة المدينة.

وقد نظمت هذه الوثيقة العلاقات بين مكونات المجتمع في المدينة، وحددت عددًا من الحقوق والواجبات، وأكدت على التعاون في الدفاع عن المدينة، وتنظيم العلاقة بين الجماعات المختلفة.

وكانت هذه الخطوة دليلًا على أن الدولة تحتاج إلى تنظيم واضح للعلاقات والحقوق والواجبات.

وقد تعامل النبي ﷺ مع المدينة باعتبارها مجتمعًا متعدد المكونات، ولم يتجاهل هذا التنوع.

ثامنًا: التعامل مع اليهود

Edit with WPS Office

كان في المدينة جماعات يهودية، وكان النبي ﷺ يتعامل معهم وفق العهود والمواثيق.

والأصل في التعامل أن الوفاء بالعهد واجب.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1].

وقد وقعت لاحقًا صراعات مع بعض الجماعات بسبب نقض العهود و الخيانة والتحالف مع أعداء المسلمين، لكن من المهم عند دراسة السيرة عدم تعميم الأحكام على جميع اليهود، بل التفريق بين من التزم بالعهد ومن نقضه.

وكان هذا من عدل المنهج النبوي.

Edit with WPS Office

تاسعًا: المجتمع المدني الجديد

أصبح المجتمع في المدينة يتكون من فئات متعددة:

- المهاجرون.
- الأنصار.
- القبائل العربية المختلفة.
- اليهود.
- المنافقون الذين ظهروا بعد قوة الإسلام.

وكان على النبي ﷺ أن يتعامل مع كل هذه الفئات بحكمة.

وهذا جعل المدينة مدرسة سياسية واجتماعية فريدة.

فقد كان المجتمع متنوعًا، ومع ذلك تمكن النبي ﷺ من بناء وحدة سياسية واجتماعية حول نظام واضح.

Edit with WPS Office

عاشرًا: ظهور المنافقين

عندما أصبح الإسلام قويًا في المدينة، ظهر نوع جديد من المعارضة، وهو النفاق.

فبعض الأشخاص لم يؤمنوا بالإسلام، لكنهم أظهروا الإسلام خوفًا أو طمعًا.

وكان أبرزهم عبد الله بن أبي بن سلول.

وكانت مشكلة المنافقين مختلفة عن مشكلة المشركين؛ لأن المشرك يعلن مخالفته، بينما المنافق يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

ولذلك كان التعامل معهم يحتاج إلى حكمة شديدة.

وقد كان النبي ﷺ يعلم بعض حقيقتهم، ومع ذلك لم يكن يعامل

Edit with WPS Office

الناس بمجرد الظنون، بل كان يبني الأحكام على ما يظهر من أفعالهم.

الحادي عشر: بناء السوق والحياة الاقتصادية

لم يقتصر بناء المجتمع على المسجد والأخوة، وإنما شمل الحياة الا قتصادية أيضًا.

فالمجتمع يحتاج إلى اقتصاد يقوم على العدل والنزاهة.

وحارب النبي ﷺ الغش والاحتكار والخداع وأكل أموال الناس بـ الباطل.

قال تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1].

Edit with WPS Office

وقال ﷺ:

«من غشنا فليس منا».

وكان الهدف أن تكون المعاملات الاقتصادية قائمة على الصدق و الوضوح والرضا.

الثاني عشر: مكانة العمل والكسب

لم يربِّ النبي ﷺ أصحابه على الاتكال على الآخرين، بل شجعهم على العمل والكسب الحلال.

وكان كثير من الصحابة أهل تجارة وزراعة وحرف.

وكان من المهاجرين من بدأ حياته في المدينة من جديد، ولم يعتبر

Edit with WPS Office

ترك المال في مكة نهاية الحياة.

فالإسلام يعلم المسلم أن الكرامة مرتبطة بالعمل الشريف، وأن المال وسيلة وليس غاية.

الثالث عشر: بناء الأسرة

كان المجتمع الإسلامي يحتاج إلى أسر مستقرة.

وكان النبي ﷺ يوجه المسلمين إلى الزواج، وحسن معاشرة الزوجات، ورعاية الأبناء.

قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ قدوة في بيته.

فكان رحيمًا بأهله، متواضعًا، يعينهم، ويهتم بمشاعرهم.

وهذا يبين أن بناء الدولة يبدأ من بناء الأسرة.

الرابع عشر: التربية والتعليم

كان التعليم من أهم أدوات بناء المجتمع.

وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه القرآن، والعقيدة، والعبادة، والأخلاق.

ولم يكن التعليم نظريًا فقط، بل كان يربط العلم بالعمل.

Edit with WPS Office

فإذا تعلم الصحابي آية، سعى إلى فهمها وتطبيقها.

وهكذا ظهر جيل لم يكن يحمل المعلومات فقط، وإنما كان يحمل رسالة.

الخامس عشر: المسجد جامعة المجتمع

كان المسجد النبوي مدرسة مفتوحة للجميع.

فيه يجتمع الغني والفقير.

والقوي والضعيف.

والحاكم والمحكوم.

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ يعلم فيه الناس، ويستقبل الوفود، ويحل المشكلات.

ومن أشهر من ارتبطوا بالمسجد النبوي أهل الصفة، وهم فقراء من المهاجرين وغيرهم ممن أقاموا في المسجد أو بالقرب منه وتفرغ بعضهم للتعلم والعبادة.

وكان النبي ﷺ وأصحابه يعتنون بهم ويقدمون لهم الطعام والرعاية.

السادس عشر: العدل أساس الدولة

كان العدل من أهم أسس المجتمع النبوي.

لم يكن الحكم على الناس بحسب النسب أو المال أو القوة.

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].

وقال ﷺ:

«إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد».

فالعدل لا يتجزأ.

ولا يمكن بناء مجتمع مستقر إذا كان القانون يطبق على الضعيف ويستثني القوي.

السابع عشر: الشورى في المجتمع النبوي

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في كثير من الأمور التي تقبل المشورة.

وقد أثنى القرآن على المؤمنين فقال:

﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38].

وظهرت الشورى في عدد من المواقف الكبرى، ومنها الاستعداد للمعارك وبعض الشؤون العامة.

وهذا يعلمنا أن القيادة الحكيمة لا تعني إلغاء آراء الآخرين.

فالقائد الناجح يستمع، ويناقش، ثم يتخذ القرار المناسب.

الثامن عشر: الرحمة في المجتمع

Edit with WPS Office

لم يكن المجتمع النبوي مجتمع قوانين فقط، بل كان مجتمع رحمة.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

وكان النبي ﷺ يرحم الأطفال، ويزور المرضى، ويواسي الفقراء، ويهتم بالأرامل والأيتام.

وكان يوصي بالضعفاء.

وهكذا اجتمع في الدولة النبوية العدل والرحمة.

فالعدل يمنع الظلم، والرحمة تمنع القسوة.

Edit with WPS Office

التاسع عشر: حماية المجتمع

كان المجتمع الجديد في المدينة معرضًا للخطر.

فقريش لم تنسَ المسلمين، وكانت ترى أن وجودهم في المدينة يمثل تهديدًا لها.

كما كانت هناك قبائل مختلفة حول المدينة.

لذلك كان لا بد من بناء قوة تحمي المجتمع.

وقد شرع الله تعالى للمسلمين القتال بعد أن تعرضوا للاضطهاد والإ خراج من ديارهم.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج: 39].

وهكذا أصبح للمجتمع حق الدفاع عن نفسه.

العشرون: شخصية النبي ﷺ قائدًا

في المدينة ظهرت جوانب جديدة من شخصية النبي ﷺ.

فهو:

- نبي ومبلغ عن الله.
- معلم ومربٍ.
- قائد سياسي.
- قاضٍ.
- قائد عسكري.

Edit with WPS Office

- زوج وأب.

- قائد اجتماعي.

- رحيم بالفقراء والضعفاء.

وكان يجمع بين الحزم والرحمة، وبين القوة والتواضع، وبين العبادة والعمل.

وهذه القدرة على الجمع بين الجوانب المختلفة من أعظم مظاهر كمال شخصيته ﷺ.

الحادي والعشرون: كيف بنى النبي ﷺ الأمة؟

يمكن تلخيص المنهج النبوي في بناء المجتمع في مجموعة من الأ سس:

1. العقيدة

Edit with WPS Office

توحيد الله تعالى.

2. العبادة

إقامة الصلاة وسائر الشعائر.

3. الأخوة

ربط الناس بالإيمان.

4. العدل

إعطاء كل ذي حق حقه.

5. العلم

Edit with WPS Office

تعليم الناس القرآن والسنة.

6. الاقتصاد

تشجيع العمل والكسب الحلال.

7. الأسرة

بناء بيت مسلم متماسك.

8. الشورى

الاستماع إلى أصحاب الرأي والخبرة.

9. الأمن

حماية المجتمع من الاعتداء.

Edit with WPS Office

10. الأخلاق

تحويل القيم الإسلامية إلى سلوك يومي.

الثاني والعشرون: المدينة نموذجًا للمجتمع المتكامل

لم يكن المجتمع النبوي قائمًا على جانب واحد.

فلم يكن مجتمع عبادة فقط.

ولم يكن مجتمع سياسة فقط.

ولم يكن مجتمع اقتصاد فقط.

Edit with WPS Office

بل كان مجتمعًا متكاملًا.

فيه المسجد والبيت والسوق.

فيه العبادة والعمل.

فيه الحقوق والواجبات.

فيه العدل والرحمة.

فيه القيادة والشورى.

وفيه القوة والسلام.

وهذا من أهم الدروس التي تقدمها السيرة النبوية؛ أن الإسلام جاء ليبني الإنسان في جميع جوانب حياته.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: الدروس والعبر

الدرس الأول: بناء الإنسان قبل بناء الدولة

لم يبدأ النبي ﷺ بتأسيس جهاز سياسي ضخم، وإنما بدأ بتربية المؤمنين.

الدرس الثاني: الأخوة علاج للمشكلات الاجتماعية

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار قدمت نموذجًا للتكافل الاجتماعي.

الدرس الثالث: العدل أساس الاستقرار

لا يمكن لمجتمع أن يستمر إذا غاب العدل.

Edit with WPS Office

الدرس الرابع: احترام العهود

المجتمع المستقر يحتاج إلى مواثيق واضحة والوفاء بها.

الدرس الخامس: القيادة خدمة

كان النبي ﷺ يشارك أصحابه في العمل ولا يعيش بعيدًا عنهم.

الدرس السادس: القوة تحتاج إلى أخلاق

لم تكن القوة في المجتمع النبوي منفصلة عن الرحمة والعدل.

الدرس السابع: المسجد مركز بناء الإنسان

فالعبادة والتربية والعلم كانت تجتمع في المسجد.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

وصل رسول الله ﷺ إلى المدينة، فلم يبدأ بجمع المال ولا بتشييد القصور، وإنما بدأ ببناء الإنسان.

بنى المسجد.

وآخى بين المهاجرين والأنصار.

ونظم العلاقات بين سكان المدينة.

وأكد قيمة العدل.

ونظم الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وربى جيلًا من الصحابة على القرآن والإيمان والتضحية.

Edit with WPS Office

وبذلك تحولت المدينة من مجموعة قبائل متفرقة إلى مجتمع تربطه عقيدة واحدة ونظام واضح.

وكان هذا البناء أساسًا للمرحلة القادمة.

فلم يمض وقت طويل حتى واجه المسلمون أول اختبار عسكري كبير مع قريش.

وكانت قريش قد أخرجت المسلمين من ديارهم، وصادرت أموالهم، و لا تزال تسعى للقضاء على الدعوة.

فجاءت غزوة بدر الكبرى.

وهناك، في بدر، سيقف المسلمون لأول مرة أمام قريش في مواجهة عسكرية كبرى.

وسيظهر كيف يتحول الإيمان الذي تربى في مكة إلى قوة وثبات

Edit with WPS Office

وتضحية في الميدان.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل السابع

غزوة بدر الكبرى: يوم الفرقان

تمهيد

كانت المدينة قد بدأت تستقر، وأصبح للمسلمين مجتمع جديد، لكن الخطر لم ينتهِ.

فقد ظلت قريش تنظر إلى المسلمين باعتبارهم خطرًا على نفوذها، ولم تنسَ أن هؤلاء الذين أصبح لهم مجتمع في المدينة كانوا في الأ صل أبناء مكة الذين أخرجتهم من ديارهم وصادرت أموال كثير منهم.

وكانت المواجهة الكبرى تقترب.

ثم جاء يوم بدر، ذلك اليوم الذي وصفه القرآن بأنه يوم الفرقان، لأنه كان يومًا فارقًا في تاريخ الدعوة الإسلامية.

Edit with WPS Office

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: 41].

وكانت بدر أول مواجهة عسكرية كبرى بين المسلمين وقريش، وفيها ظهرت معاني الإيمان والتوكل والطاعة والشجاعة والصبر.

أولًا: الطريق إلى بدر

بدأت أحداث بدر في السنة الثانية للهجرة.

وكان المسلمون قد علموا بخروج قافلة تجارية كبيرة لقريش بقيادة أبي سفيان بن حرب، وكانت عائدة من بلاد الشام.

Edit with WPS Office

وكانت قريش قد تركت للمسلمين في مكة أموالهم، واستولت عليها بعد هجرتهم، ولذلك كان اعتراض القافلة مرتبطًا بسياق الصراع الا قتصادي والعسكري بين الطرفين.

خرج النبي ﷺ مع عدد من أصحابه، ولم يكن في البداية يقصد مواجهة جيش قريش.

وكان عدد المسلمين نحو ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا.

ولم تكن معهم قوة عسكرية كبيرة، ولا استعداد لمعركة شاملة.

ثانيًا: نجاة القافلة

تمكن أبو سفيان من معرفة أن المسلمين خرجوا لاعتراض القافلة.

فغيّر طريقه، وأرسل إلى قريش يستنجد بها.

Edit with WPS Office

فخرجت قريش بجيش كبير، وكان عددهم نحو ألف رجل تقريبًا.

وأصبحت المواجهة بين المسلمين وقريش أمرًا واقعًا.

لقد تغيرت المعادلة:

لم يعد الأمر يتعلق بقافلة.

بل أصبح المسلمون أمام جيش كبير من قريش.

ثالثًا: الشورى قبل المعركة

كان النبي ﷺ قائدًا، لكنه لم يتخذ القرار بصورة منفردة.

Edit with WPS Office

فاستشار أصحابه.

وكان من أهم المواقف موقف المقداد بن عمرو رضي الله عنه، الذي أكد للنبي ﷺ استعداد المسلمين للطاعة والنصرة.

ثم تحدث سعد بن معاذ رضي الله عنه باسم الأنصار، وأعلن استعدادهم للقتال مع رسول الله ﷺ.

وكان موقف الأنصار مهمًا؛ لأن بيعتهم للنبي ﷺ كانت في الأصل على حمايته ونصرته، وكان عليهم الآن أن يثبتوا عمليًا على ما عاهدوا عليه.

رابعًا: تنظيم الصفوف

اختار النبي ﷺ موقعًا مناسبًا للمعركة، ونظم صفوف المسلمين.

Edit with WPS Office

وأمرهم بالطاعة والانضباط.

وهنا يظهر أن النصر لا يعتمد على الشجاعة وحدها.

فقد يكون الجيش شجاعًا لكنه يفشل إذا غاب عنه التنظيم.

وكان النبي ﷺ يضع كل عنصر في مكانه المناسب، ويستفيد من الأ
رض والمياه والظروف المحيطة.

خامسًا: ليلة بدر

كانت ليلة بدر ليلة مليئة بالمشاعر.

كان المسلمون قليلين، والعدو أكثر منهم عددًا وعدة.

Edit with WPS Office

ومع ذلك لم يكن النبي ﷺ مستسلمًا للخوف.

بل لجأ إلى الله تعالى بالدعاء.

وقام يصلي ويدعو ربه طويلًا.

وكان من دعائه:

«اللّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض».

وكان هذا الدعاء يكشف عمق إحساسه بمسؤوليته عن الرسالة.

سادسًا: نزول المطر

أنزل الله تعالى المطر على المسلمين.

Edit with WPS Office

وكان للمطر أثر في تثبيت الأرض للمسلمين وتيسير حركتهم.

قال تعالى:

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: 11].

وهكذا اجتمع الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله.

سابعًا: بداية المعركة

بدأت المعركة بالمبارزة.

وخرج من قريش ثلاثة من فرسانها، فخرج إليهم من المسلمين رجال

Edit with WPS Office

من الأنصار.

وطلب المشركون أن يخرج إليهم نظراؤهم من قريش، فخرج حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم.

وكانت المبارزة بداية المواجهة الكبرى.

ثم التقى الجيشان.

ثامنًا: الدعاء والنصر

كان النبي ﷺ يدعو الله ويستغيث به.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9].

وكانت الملائكة من مدد الله تعالى للمؤمنين في بدر.

وهذا يؤكد أن النصر الحقيقي من عند الله.

لكن ذلك لا يعني ترك الأسباب.

فالنبي ﷺ خطط، وشاور، ونظم الصفوف، وأخذ بالأسباب، ثم توكل على الله.

تاسعًا: شجاعة الصحابة

Edit with WPS Office

ظهر في بدر عدد كبير من نماذج البطولة.

وكان من أبرزهم حمزة وعلي وأبو عبيدة وغيرهم.

وكان المسلمون يقاتلون بإيمان قوي.

وكانوا يعلمون أن المعركة ليست مجرد صراع على الأرض، بل دفاع عن مجتمع ناشئ وعن حقهم في الوجود بعد سنوات من الاضطهاد.

عاشرًا: مقتل أبي جهل

كان أبو جهل عمرو بن هشام من أشد أعداء الإسلام.

وقد شارك في اضطهاد المسلمين في مكة.

Edit with WPS Office

وفي بدر أصيب بجراح شديدة، ثم قتله معاذ ومعوذ ابنا عفراء رضي الله عنهما، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وكان مقتل أبي جهل رمزًا لسقوط أحد أبرز قادة المعارضة للإسلام.

الحادي عشر: نهاية المعركة

انتهت بدر بانتصار المسلمين.

وقُتل من قريش عدد من كبار قادتها، وأُسر عدد آخر.

أما المسلمون فقد استشهد منهم عدد من الصحابة.

وكان النصر كبيرًا بالنسبة إلى مجتمع صغير لم يمض على تأسيسه في المدينة إلا فترة قصيرة.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: الأسرى ومعاملة النبي ﷺ

تعامل النبي ﷺ مع الأسرى وفق الأحكام التي شرعها الله تعالى.

وكان من بين الأسرى من فدى نفسه بالمال، ومنهم من فدى نفسه بتعليم بعض المسلمين الكتابة.

وكان هذا الموقف يحمل دلالة مهمة على قيمة العلم.

فقد تحول بعض الأسرى إلى وسيلة لتعليم المسلمين القراءة و الكتابة.

وهكذا لم تكن معاملة الأسرى قائمة على الانتقام، بل كانت مرتبطة بـ العدل والمصلحة والرحمة.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: بدر والنصر الإلهي

لم ينسب القرآن النصر إلى القوة المادية وحدها.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: 123].

كان المسلمون أقل عددًا وعدة، ومع ذلك نصرهم الله.

لكن الآية لم تجعل النصر سببًا للغرور، بل أمرتهم بالتقوى والشكر.

وهذه قاعدة مهمة:

Edit with WPS Office

النصر الحقيقي يجب أن يزيد الإنسان تواضعًا وشكرًا لله، لا غرورًا واستعلاء.

الرابع عشر: بدر في القرآن

وردت أحداث بدر في سورة الأنفال، كما أشارت إليها سورة آل عمران.

وتقدم لنا الآيات تصورًا عميقًا للمعركة.

فالنصر ليس مجرد نتيجة عسكرية، وإنما امتحان للإيمان والطاعة و الانضباط.

قال تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأ

Edit with WPS Office

أنفال: 46].

وهذه الآية تحمل درسًا عسكريًا واجتماعيًا وسياسيًا بالغ الأهمية:

النزاع الداخلي يضعف الأمة.

الخامس عشر: بدر وبناء الثقة

كان المسلمون قبل بدر يعيشون في حالة من الاستضعاف.

لكن بدر أعطتهم ثقة كبيرة.

لقد أثبتت المعركة أن المجتمع الجديد قادر على الدفاع عن نفسه.

وأصبح للمسلمين وزن سياسي وعسكري أكبر في الجزيرة العربية.

Edit with WPS Office

وبدأت القبائل تنظر إلى المدينة باعتبارها قوة حقيقية.

السادس عشر: دروس قيادية من بدر

1. الشورى

استشار النبي ﷺ أصحابه قبل المعركة.

2. التخطيط

اختار المكان ونظم الجيش.

3. الانضباط

Edit with WPS Office

أمر أصحابه بالطاعة وعدم التفرق.

4. التوكل

بعد الأخذ بالأسباب، لجأ إلى الله بالدعاء.

5. رفع المعنويات

ثبت أصحابه وشجعهم.

6. الرحمة بعد النصر

لم يتحول الانتصار إلى انتقام أعمى.

السابع عشر: الدروس الإيمانية

Edit with WPS Office

النصر من عند الله

قال تعالى:

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 126].

الدعاء قوة

كان النبي ﷺ يدعو ربه في أصعب اللحظات.

الصبر مفتاح الفرج

بعد سنوات من الاضطهاد جاء النصر.

الطاعة سبب القوة

Edit with WPS Office

الانضباط والطاعة كانا من عوامل نجاح المسلمين.

الشكر بعد النصر

لم يأمرهم الله بالغرور، بل بالتقوى والشكر.

الثامن عشر: بدر ليست مجرد معركة

من الخطأ أن ننظر إلى بدر باعتبارها حدثًا عسكريًا فقط.

فهي كانت:

- اختبارًا للإيمان.
- اختبارًا للطاعة.
- اختبارًا للشجاعة.

Edit with WPS Office

- اختبارًا للشورى.
- اختبارًا للقيادة.
- اختبارًا للأخوة.
- اختبارًا للتوكل.
- اختبارًا للرحمة بعد القدرة.

ولهذا بقيت بدر حاضرة في الذاكرة الإسلامية بوصفها يوم الفرقان.

التاسع عشر: من دروس بدر في حياتنا

يمكن للمسلم أن يستفيد من بدر في حياته اليومية.

فقد يواجه الإنسان مشكلة أكبر من قدراته.

وقد يشعر أن إمكاناته قليلة.

Edit with WPS Office

لكن عليه أن:

يخطط، ويعمل، ويستشير، ويصبر، ثم يتوكل على الله.

ولا ينبغي أن تكون قلة الإمكانات سببًا للاستسلام.

فالقوة ليست دائمًا في العدد، وإنما قد تكون في قوة الإيمان والإ
رادة وحسن التخطيط.

العشرون: التواضع بعد الانتصار

من أعظم ما يميز القيادة النبوية أن النصر لم يجعل النبي ﷺ
متكبرًا.

Edit with WPS Office

كان متواضعًا لله.

وكان يعلم أن النصر فضل من الله.

وهذا درس لكل إنسان ينجح في حياته:

لا تنسب نجاحك إلى نفسك وحدك.

اشكر الله.

واحفظ حقوق الآخرين.

ولا تجعل النجاح سببًا في ظلم من حولك.

الحادي والعشرون: أثر بدر في مستقبل الدعوة

Edit with WPS Office

بعد بدر تغيرت موازين القوى في الجزيرة العربية.

أصبح للمسلمين حضور قوي.

وأصبحت المدينة مركزًا سياسيًا وعسكريًا مهمًا.

لكن قريش لم تستسلم.

بل بدأت تستعد للانتقام.

وكانت المعركة القادمة هي غزوة أحد.

وفي أحد سيواجه المسلمون اختبارًا مختلفًا؛ فبعد الانتصار الكبير في بدر، سيختبرون بالطاعة والانضباط، وسيعلمون أن النصر لا يضمنه مجرد كون الإنسان على الحق، وإنما لا بد من الطاعة والصبر والثبات.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كانت بدر يومًا عظيمًا في تاريخ الإسلام.

خرج المسلمون من المدينة وهم قلة، لا يريدون حربًا شاملة في البداية، فإذا بهم يجدون أنفسهم أمام جيش قريش.

وكانت المعادلة تبدو صعبة.

لكن النبي ﷺ لم يستسلم.

شاور أصحابه.

وخطط.

Edit with WPS Office

وأخذ بالأسباب.

ونظم الجيش.

ثم رفع يديه إلى الله.

فجاء النصر.

وقد علمتهم بدر أن القوة الحقيقية ليست في كثرة العدد وحدها، وإنما في الإيمان والطاعة والتخطيط والصبر.

وعلمتهم أيضًا أن النصر لا ينبغي أن يولد الغرور، وإنما الشكر و التواضع.

لقد كانت بدر يوم الفرقان؛ يوم انتصر فيه المسلمون، وسقط فيه عدد من كبار قادة قريش، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة.

لكن الطريق لم ينتهِ.

Edit with WPS Office

فبعد بدر سيأتي اختبار آخر.

وسيأتي يوم أحد.

وسيواجه المسلمون درسًا جديدًا في الطاعة والانضباط.

وسيظل رسول الله ﷺ في كل هذه الأحداث هو القائد والمربي و الرحيم بأصحابه.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثامن

غزوة أُحد: درس الطاعة والثبات

تمهيد

بعد انتصار المسلمين في بدر، تغيرت موازين القوى في الجزيرة العربية.

فقد فقدت قريش عددًا من كبار قادتها، وأصيبت بهيبة كبيرة أمام القبائل، ولذلك لم يكن من السهل عليها أن تتقبل ما حدث.

بدأت قريش تفكر في الانتقام، وأعدت جيشًا كبيرًا للخروج إلى المدينة.

وكانت غزوة أُحد في السنة الثالثة للهجرة، وجاءت لتكون اختبارًا جديدًا للمسلمين.

Edit with WPS Office

وفي بدر تعلم المسلمون أن الله ينصر عباده إذا صدقوا وصبروا، أما في أُحد فقد تعلموا درسًا آخر:

أن النصر يحتاج إلى الطاعة والانضباط، وأن مخالفة أمر القائد قد تكون لها عواقب خطيرة.

ولهذا لم تكن أُحد مجرد معركة، بل كانت مدرسة تربوية عظيمة، نزلت آيات كثيرة من سورة آل عمران لتشرح أحداثها ودروسها.

أولًا: لماذا خرجت قريش إلى أُحد؟

كانت قريش تريد الانتقام من المسلمين بعد هزيمتها في بدر.

وقد فقدت في بدر عددًا من كبار رجالها، وأصبح الثأر لبدر دافعًا قويًا لديها.

Edit with WPS Office

كما أرادت قريش أن تستعيد هيبتها أمام القبائل العربية.

فجمعت جيشًا كبيرًا، وخرجت به باتجاه المدينة.

وكانت قيادة الجيش لأبي سفيان بن حرب.

ثانيًا: جيش قريش

خرجت قريش بجيش كبير بلغ نحو ثلاثة آلاف مقاتل، ومعهم عدد من النساء، وكان الهدف رفع معنويات المقاتلين ودفعهم إلى القتال.

وكان المسلمون أقل عددًا بكثير.

ولم يكن النبي ﷺ يريد أن يدخل المسلمون المعركة بصورة

Edit with WPS Office

عشوائية، بل استشار أصحابه في كيفية مواجهة الجيش.

ثالثًا: الشورى قبل المعركة

أخبر النبي ﷺ أصحابه بخروج قريش، واستشارهم.

وكان رأي النبي ﷺ في البداية الميل إلى التحصن داخل المدينة.

لكن عددًا من الصحابة، وخاصة ممن لم يشهدوا بدرًا، أشاروا بـ
الخروج ومواجهة قريش خارج المدينة.

وكان النبي ﷺ قد لبس لأمته، فلما رأى أصحابه ذلك، أدركوا أنه عزم
على الخروج.

فخرج المسلمون معه.

Edit with WPS Office

وهنا يظهر مبدأ مهم في القيادة:

الشورى لا تعني أن القائد يتخلى عن مسؤوليته، وإنما يستمع إلى الآ راء ثم يتخذ القرار.

رابعًا: خروج عبد الله بن أبي

في أثناء الطريق انسحب عبد الله بن أبي بن سلول ومعه نحو ثلا ثمائة من أتباعه.

فأصبح عدد المسلمين قرابة سبعمائة مقاتل.

وكان هذا الانسحاب اختبارًا مبكرًا لثبات المسلمين.

Edit with WPS Office

ومع ذلك واصل النبي ﷺ السير مع أصحابه.

خامسًا: اختيار موقع المعركة

وصل المسلمون إلى جبل أُحد.

ووضع النبي ﷺ خطة دقيقة للمعركة.

وكان من أهم عناصرها وضع مجموعة من الرماة على جبل صغير يعرف بجبل عينين، وأمرهم بالبقاء في أماكنهم مهما حدث.

وقال لهم بمعنى واضح ألا يتركوا أماكنهم سواء رأوا المسلمين ينتصرون أو يتراجعون.

وكانت هذه التعليمات من أهم أسباب ما حدث بعد ذلك.

Edit with WPS Office

سادسًا: بداية المعركة

بدأت المعركة، وأظهر المسلمون شجاعة كبيرة.

وكانت بداية القتال في صالحهم.

وتراجع المشركون أمام هجوم المسلمين.

وبدا أن المسلمين يقتربون من نصر جديد يشبه بدرًا.

لكن المعركة لم تنته بعد.

وكانت اللحظة الحاسمة تقترب.

Edit with WPS Office

سابعًا: خطأ الرماة

عندما رأى بعض الرماة المسلمين تراجع المشركين، ظنوا أن المعركة انتهت.

فترك عدد كبير منهم أماكنهم، ونزلوا من الجبل لجمع الغنائم.

وكان قائدهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه يذكرهم بأمر النبي ﷺ، ويحذرهم من ترك الموقع.

لكن معظمهم نزل.

وبقي عدد قليل منهم.

وهنا ظهرت خطورة مخالفة التعليمات.

Edit with WPS Office

ثامنًا: التفاف خالد بن الوليد

كان خالد بن الوليد يومها في صف المشركين، وكان قائدًا عسكريًا بارعًا.

فلما رأى خلو الجبل من معظم الرماة، التف حول المسلمين من الخلف.

وكان هذا التحول سببًا في تغير مجرى المعركة.

فانتقل المسلمون من حالة التقدم إلى حالة الاضطراب.

Edit with WPS Office

تاسعًا: انتشار خبر مقتل النبي ﷺ

في شدة المعركة انتشر خبر أن النبي ﷺ قد قُتل.

وكان الخبر صدمة كبيرة للمسلمين.

واضطرب بعضهم.

وتراجع بعضهم.

لكن بعض الصحابة ظلوا ثابتين حول رسول الله ﷺ.

وكان من أعظمهم أبو بكر وعلي وطلحة وسعد بن أبي وقاص وأبو دجانة وغيرهم رضي الله عنهم.

Edit with WPS Office

عاشرًا: إصابة النبي ﷺ

تعرض النبي ﷺ في أحد لإصابات شديدة.

فأصيب وجهه الشريف، وكسرت رباعيته، وجُرح رأسه.

وسقط في حفرة، وسال الدم من وجهه.

وكان الصحابة يحاولون حمايته.

ومن أشهر من دافع عنه في تلك اللحظات طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، الذي أبلى بلاءً عظيمًا في حماية النبي ﷺ.

كما قاتلت نسيبة بنت كعب رضي الله عنها دفاعًا عنه في ذلك اليوم.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: شجاعة حمزة رضي الله عنه

كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه من أعظم أبطال المسلمين في أُحد.

وقاتل بشجاعة عظيمة.

لكنه استشهد في المعركة على يد وحشي بن حرب.

وكان استشهاده صدمة كبيرة للنبي ﷺ وللمسلمين.

فقد كان حمزة عمه وأخاه من الرضاعة، ومن أوائل من وقفوا إلى جانب الدعوة.

الثاني عشر: الحزن على الشهداء

Edit with WPS Office

استشهد في أُحد عدد كبير من الصحابة.

وكان من بينهم حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وعبد الله بن عمرو بن حرام وغيرهم رضي الله عنهم.

وكان النبي ﷺ شديد الحزن على أصحابه.

وكانت أُحد يومًا مؤلمًا للمسلمين.

لكنها في الوقت نفسه كانت مدرسة عظيمة في الصبر والإيمان.

الثالث عشر: موقف القرآن من أُحد

نزلت آيات كثيرة من سورة آل عمران تتحدث عن أحداث أُحد.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139].

وقال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 152].

وهذه الآية توضح سبب التحول في المعركة.

فالمشكلة لم تكن ضعف الحق، وإنما وقعت مخالفة للأمر، وحدث التنازع.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: لماذا لم يكن أحد هزيمة كاملة؟

قد يتساءل البعض:

إذا كان المسلمون قد تراجعوا وأصيب النبي ﷺ واستشهد عدد من الصحابة، فلماذا لم تكن أحد نهاية الدعوة؟

الجواب أن المعركة كانت اختبارًا، ولم تنجح قريش في القضاء على المسلمين أو احتلال المدينة.

ثم إن النبي ﷺ استطاع إعادة تنظيم صفوف المسلمين، وخرج بهم بعد المعركة إلى حمراء الأسد، في موقف يدل على قوة القيادة وعدم الاستسلام.

الخامس عشر: حمراء الأسد

Edit with WPS Office

بعد انتهاء أُحد، لم يسمح النبي ﷺ للمسلمين بأن يستسلموا للضعف.

وأمرهم بالخروج خلف قريش إلى حمراء الأسد.

وكان هذا التحرك رسالة واضحة بأن المسلمين رغم ما أصابهم ما ز الوا قادرين على المواجهة.

وقد أدى ذلك إلى إظهار قوة المسلمين أمام قريش والقبائل.

السادس عشر: موقف النبي ﷺ من الشهداء

كان النبي ﷺ يحب أصحابه، وكان استشهادهم مؤلمًا له.

لكنه كان يعلم أن الشهادة في سبيل الله ليست نهاية، وإنما انتقال

Edit with WPS Office

إلى حياة أخرى.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169].

فكان المسلمون يتعلمون أن التضحية في سبيل الحق لها ثمن، وأن المؤمن لا يقيس النجاح بالنتائج العاجلة وحدها.

السابع عشر: درس الطاعة

من أعظم دروس أُحد:

الطاعة والانضباط.

Edit with WPS Office

فالرماة تلقوا أمرًا واضحًا بالبقاء في أماكنهم.

لكن بعضهم اجتهد اجتهادًا خاطئًا، وترك موقعه قبل انتهاء المعركة.

وكانت النتيجة تغير مجرى القتال.

وهذا يعلمنا أن حسن النية لا يكفي دائمًا.

بل لا بد من الالتزام بالتعليمات الصحيحة، وخاصة عندما يتعلق الأمر بمصلحة الجماعة.

الثامن عشر: درس عدم الاغترار بالنصر

في بداية المعركة كان المسلمون متقدمين.

Edit with WPS Office

لكن هذا التقدم جعل بعضهم يظن أن المعركة انتهت.

فجاءت أُحد لتعلم المسلمين أن النصر لا يعني الاسترخاء.

وأن النجاح في مرحلة لا يعني انتهاء المهمة.

وهذا درس يصلح لكل إنسان:

قد تحقق نجاحًا كبيرًا، لكن الخطأ بعد النجاح قد يؤدي إلى خسائر كبيرة.

التاسع عشر: درس التوبة والاستغفار

كان من رحمة الله أن القرآن لم يكتفِ بذكر الخطأ، وإنما فتح باب

Edit with WPS Office

التوبة.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: 155].

وهذا يعلمنا أن الخطأ لا يعني نهاية الطريق.

فالإنسان قد يخطئ، لكنه يستطيع أن يتوب ويصحح ويعود إلى الله.

العشرون: رحمة النبي ﷺ بأصحابه

من أعظم المواقف بعد أُحد أن النبي ﷺ لم يحطم أصحابه نفسيًا.

Edit with WPS Office

بل ظل يربيهم ويشجعهم.

وكان القرآن نفسه يوجه النبي ﷺ إلى الرفق بهم.

قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159].

ثم قال:

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

وهذه من أعظم قواعد القيادة:

لا تجعل خطأ الناس سببًا في تحطيمهم، بل حول الخطأ إلى فرصة للتعلم والإصلاح.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: الشورى رغم الخطأ

من أعظم الدروس أن النبي ﷺ لم يتخل عن الشورى بسبب ما حدث.

فقد كانت مشورة بعض الصحابة سببًا في الخروج من المدينة.

ومع ذلك لم يقل النبي ﷺ بعد وقوع النتائج:

لن أشاور أحدًا بعد اليوم.

بل استمر في الشورى.

وهذا درس قيادي بالغ الأهمية:

Edit with WPS Office

فشل قرار واحد لا يعني فشل مبدأ الشورى.

الثاني والعشرون: المرأة في أحد

برزت في أُحد نماذج عظيمة من النساء المؤمنات.

ومن أشهرهن نسيبة بنت كعب رضي الله عنها، التي وقفت تدافع عن رسول الله ﷺ عندما اشتد القتال.

وهذا يؤكد أن خدمة الدين ليست حكرًا على الرجال.

فالمرأة المسلمة شاركت في خدمة المجتمع، والتمريض، والسقيا، و الدفاع عند الحاجة.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: مصعب بن عمير رضي الله عنه

استشهد مصعب بن عمير رضي الله عنه في أُحد.

وكان مصعب قد عاش قبل الإسلام حياة من النعيم، ثم ترك ذلك كله عندما أسلم.

ثم أصبح من أوائل الدعاة إلى الإسلام في المدينة.

وكان حامل لواء المسلمين يوم أُحد.

فجمع في حياته بين:

الإيمان.

Edit with WPS Office

والدعوة.

والتضحية.

والثبات.

والشهادة.

الرابع والعشرون: الفرق بين بدر وأُحد

يمكن أن نقارن بين المعركتين:

بدر

ظهر فيها الالتزام والطاعة والوحدة.

Edit with WPS Office

وكان النصر نتيجة لذلك مع فضل الله.

أُحد

وقع فيها خلل في الطاعة والانضباط.

فحدثت خسائر كبيرة.

لكن الفرق لا يعني أن الله نصر المسلمين في بدر ثم تخلى عنهم في أُحد.

بل كانت أُحد تربية واختبارًا.

فقد يحتاج المؤمن أحيانًا إلى تجربة الألم حتى يتعلم ما لا يتعلمه في لحظة الانتصار.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: أُحد مدرسة للأمة

أُحد تعلمنا أن:

- الطاعة ضرورة.
- الانضباط أساس النجاح.
- الشائعات قد تكون خطيرة.
- القائد يحتاج إلى الثبات وقت الأزمة.
- النصر لا يعني انتهاء الخطر.
- الخطأ لا يعني نهاية الطريق.
- التوبة والإصلاح ممكنان.
- الرحمة بالناس من صفات القيادة الناجحة.
- الشهداء لا يضيعون عند الله.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: أحد في حياة المسلم المعاصرة

قد لا يعيش المسلم معركة عسكرية، لكنه يواجه أنواعًا أخرى من الا ختبارات.

قد يبدأ مشروعًا وينجح، ثم يخطئ بسبب الغرور.

وقد يحقق هدفًا، ثم يهمل التفاصيل.

وقد يسمع شائعة فيتخذ قرارًا خاطئًا.

وقد يخطئ في حق الآخرين.

وهنا تأتي دروس أحد:

لا تغتر بالنجاح.

Edit with WPS Office

لا تترك موقعك قبل انتهاء المهمة.

لا تتخذ القرار تحت تأثير الشائعة.

إذا أخطأت فاعترف بخطئك وأصلحه.

ولا تجعل الفشل المؤقت سببًا لليأس.

خاتمة الفصل

كانت أُحد يومًا مختلفًا عن بدر.

ففي بدر ذاق المسلمون طعم النصر.

وفي أُحد ذاقوا مرارة الألم.

Edit with WPS Office

لكن كلا اليومين كان نعمة تربوية من الله.

ففي بدر تعلموا كيف ينتصرون.

وفي أحد تعلموا لماذا قد يخسرون.

تعلموا أن الإيمان وحده لا يعني ترك الأسباب.

وأن الشجاعة لا تغني عن الطاعة.

وأن النصر يحتاج إلى انضباط.

وأن الخطأ يمكن أن يتحول إلى درس.

وكان رسول الله ﷺ في وسط هذه الأحداث ثابتًا، رحيمًا، صابرًا، يضمد جراح أصحابه، ويواسي أسر الشهداء، ويعيد بناء الصفوف.

Edit with WPS Office

لقد جُرح رسول الله ﷺ، وسقط أصحابه شهداء، لكنه لم ينهزم نفسيًا.

وظل يحمل الرسالة.

وظل يعلم الأمة.

وظل يقودها نحو المستقبل.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل التاسع

غزوة الخندق والأحزاب: الصبر حين تشتد المحنة

تمهيد

بعد غزوة أُحد، دخلت الدعوة الإسلامية مرحلة جديدة من التحديات.

فقد أدركت قريش أن القضاء على المسلمين لن يكون أمرًا سهلًا، وأدرك المسلمون في الوقت نفسه أن الخطر المحيط بالمدينة أصبح أكبر.

ثم جاءت غزوة الخندق، أو غزوة الأحزاب، لتكون من أشد المواقف التي مرت بها الدولة الإسلامية في المدينة.

لم يكن العدو جيشًا واحدًا، بل تحالفًا من قبائل متعددة اجتمعت

Edit with WPS Office

بهدف القضاء على المسلمين وإنهاء وجودهم في المدينة.

وكان عدد المسلمين أقل بكثير من مجموع القوات التي اجتمعت ضدهم.

وأصبحت المدينة أمام خطر حقيقي.

وفي هذه اللحظات ظهر معدن القيادة النبوية.

فلم ينهار النبي ﷺ، ولم يستسلم، ولم ينتظر المعجزة دون عمل، وإنما جمع بين الشورى والتخطيط والعمل والصبر والتوكل على الله.

أولًا: لماذا سميت غزوة الأحزاب؟

سميت هذه الغزوة بـ الأحزاب لأن جماعات وقبائل متعددة تحالفت ضد المسلمين.

Edit with WPS Office

وقد وصف القرآن هذه اللحظات بقوله تعالى:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: 10].

كان الخطر شديدًا، ولذلك أصبحت هذه الغزوة اختبارًا حقيقيًا للإيمان والثبات.

ثانيًا: التحالف ضد المدينة

اجتمعت قريش مع عدد من القبائل، وتحركت جيوش كبيرة باتجاه المدينة.

وكان الهدف واضحًا:

Edit with WPS Office

القضاء على الدولة الإسلامية الناشئة.

فلو تمكنت الأحزاب من دخول المدينة والسيطرة عليها، لكان ذلك خطرًا على المسلمين جميعًا.

ولهذا كان لا بد من خطة دفاعية عاجلة.

ثالثًا: الشورى في مواجهة الخطر

جمع النبي ﷺ أصحابه للتشاور.

وكان المجتمع الإسلامي في المدينة يواجه خطرًا غير مسبوق.

وفي هذا الموقف اقترح سلمان الفارسي رضي الله عنه فكرة حفر الخندق حول الأجزاء المكشوفة من المدينة.

Edit with WPS Office

وكانت هذه الوسيلة معروفة في بعض البلاد الأخرى، لكنها لم تكن مألوفة للعرب في حروبهم.

فأخذ النبي ﷺ بالمقترح.

وهنا تظهر عبقرية القيادة النبوية:

الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها حيث وجدها.

لم يرفض النبي ﷺ الفكرة لأنها جاءت من رجل أصله من فارس، بل نظر إلى فائدتها ومناسبتها للموقف.

رابعًا: حفر الخندق

Edit with WPS Office

بدأ المسلمون في حفر الخندق.

وكان العمل شاقًا جدًا.

وكان الجو باردًا، والمؤن قليلة، والعدو يقترب.

ومع ذلك شارك النبي ﷺ بنفسه في الحفر.

وكان يحمل التراب مع أصحابه.

وهذا الموقف يوضح أن القيادة في الإسلام ليست مجرد أوامر تصدر من الأعلى، وإنما مشاركة في تحمل المشقة.

فالنبي ﷺ لم يقف بعيدًا عن أصحابه، بل كان بينهم.

Edit with WPS Office

خامسًا: الجوع والمشقة

كانت هذه الأيام من أشد الأيام على المسلمين.

وكان الطعام قليلًا.

ووردت في السنة أخبار عن شدة الجوع الذي أصاب النبي ﷺ وأصحابه.

وكان الصحابة يعملون في الحفر وهم في ظروف قاسية.

ومع ذلك لم يتوقفوا.

فالمحنة كانت شديدة، لكن الإيمان كان أقوى.

Edit with WPS Office

سادسًا: معجزة في أثناء الحفر

وردت في الأحاديث الصحيحة قصة الصخرة الكبيرة التي عجز الصحابة عن كسرها، فدعا النبي ﷺ وضربها، وظهرت عند ضربها بشارات بما سيفتح الله به على المسلمين.

وكان النبي ﷺ يبشر أصحابه رغم شدة الظروف.

وهذا يبين أن القائد الحقيقي لا ينقل الخوف إلى أتباعه، وإنما يمنحهم الأمل حتى في أحلك الظروف.

سابعًا: وصول الأحزاب

اكتمل الخندق، ووصلت جيوش الأحزاب.

فلما رأوا الخندق فوجئوا به.

Edit with WPS Office

فقد كان العرب لا يعرفون مثل هذه الوسيلة الدفاعية على هذا النحو.

وأصبح عبور الخندق أمرًا صعبًا.

وهكذا نجحت الخطة الدفاعية.

لم ينتصر المسلمون لأنهم كانوا أكثر عددًا، بل لأنهم استخدموا التخطيط المناسب للموقف.

ثامنًا: حصار المدينة

حاصرت الأحزاب المدينة.

Edit with WPS Office

وكان المسلمون في موقف صعب.

العدو أمامهم، والمنافقون في الداخل يثيرون الخوف، وبعض القبائل كانت تمثل تهديدًا محتملًا.

ووصف القرآن شدة الموقف:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: 11].

كان الاختبار حقيقيًا.

ففي أوقات الرخاء يمكن أن يدعي الإنسان القوة، أما وقت الخوف فتظهر حقيقة الإيمان.

تاسعًا: المنافقون في وقت الشدة

Edit with WPS Office

ظهرت حقيقة المنافقين في غزوة الأحزاب.

فبعضهم بدأ يثبط الناس، ويشكك في وعد الله، ويقول إن ما وعدهم به النبي ﷺ ليس إلا أوهامًا.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12].

أما المؤمنون فقالوا:

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22].

وهنا ظهر الفرق بين الإيمان والنفاق.

Edit with WPS Office

عاشرًا: المؤمنون أمام الخوف

كان المؤمنون يرون جيوشًا ضخمة تحاصر المدينة.

ومع ذلك لم يكن خوفهم سببًا للانهيار.

بل زادهم الموقف إيمانًا.

وهذا لا يعني أنهم لم يشعروا بالخوف، فالإنسان بطبيعته يخاف.

لكن الإيمان يمنع الخوف من تحويل الإنسان إلى شخص مستسلم.

الحادي عشر: الخندق نموذج للتخطيط

Edit with WPS Office

من أهم دروس الخندق أن النبي ﷺ لم يعتمد على القوة وحدها.

فقد استخدم وسيلة دفاعية جديدة.

واستفاد من خبرة سلمان الفارسي.

واختار المكان المناسب.

ونظم العمل.

ووزع المهام.

وتابع الحفر بنفسه.

وهذا نموذج متكامل للتخطيط.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: دور سلمان الفارسي

كان سلمان رضي الله عنه من أصحاب النبي ﷺ الذين أسلموا بعد رحلة طويلة من البحث عن الحق.

وكان اقتراحه حفر الخندق من أشهر مواقفه.

وقد قال المهاجرون والأنصار في فضله كلامًا يدل على محبتهم له.

وكان وجود سلمان في المجتمع الإسلامي دليلًا على أن الإسلام لم يجعل التفاضل قائمًا على الأصل أو اللون أو القومية.

فقد أصبح سلمان الفارسي واحدًا من كبار الصحابة.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: عمرو بن عبد ود

من أشهر فرسان قريش في الأحزاب عمرو بن عبد ود، وكان من الفرسان المعروفين بالشجاعة.

استطاع أن يعبر الخندق في موضع ضيق، وطلب المبارزة.

فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ودارت المبارزة بينهما، وانتهت بمقتل عمرو.

وكان هذا الموقف من المواقف البارزة في غزوة الخندق.

الرابع عشر: الخطر من الداخل

Edit with WPS Office

لم يكن الخطر من خارج المدينة فقط.

فقد كان هناك خطر من بعض الجهات الداخلية، وخاصة بعد اضطراب بعض العهود والاتفاقات.

وهذا جعل الموقف أكثر تعقيدًا.

فالمسلمون كانوا أمام عدو خارجي ضخم، مع احتمال وجود خطر داخلي.

وهذا يوضح أن إدارة الأزمات تحتاج إلى التعامل مع أكثر من مشكلة في الوقت نفسه.

الخامس عشر: دور النبي ﷺ في الأزمة

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ حاضرًا في كل مراحل الأزمة.

كان يخطط.

ويشاور.

ويعمل.

ويصبر.

ويتابع أخبار العدو.

ويطمئن أصحابه.

ولم يكن بعيدًا عن الخطر.

وكان هذا سببًا في ثقة الصحابة به.

Edit with WPS Office

فالقائد الذي يشارك الناس مخاطرهم يكون أقرب إلى قلوبهم من القائد الذي يطلب منهم التضحية وهو بعيد عنهم.

السادس عشر: الدعاء في الشدة

كان النبي ﷺ يلجأ إلى الله في المواقف الصعبة.

فالإيمان لا يلغي الأسباب، ولكنه يمنح الإنسان القوة النفسية التي تجعله قادرًا على الاستمرار.

وكان الصحابة يرون في النبي ﷺ نموذجًا للتوكل الحقيقي.

فهو يعمل بكل ما يستطيع، ثم يعلق قلبه بالله.

Edit with WPS Office

السابع عشر: نعيم بن مسعود رضي الله عنه

كان نعيم بن مسعود رضي الله عنه قد أسلم سرًا، ثم ذهب إلى النبي ﷺ، وأخبره بإسلامه.

فطلب منه النبي ﷺ أن يعمل على إضعاف التحالف بين الأحزاب و الجهات المتحالفة معهم.

فاستخدم نعيم ذكاءه وحسن تدبيره، وأدى دورًا مهمًا في إحداث الشك بين أطراف التحالف.

وهذا يبين أهمية التخطيط السياسي في إدارة الأزمات.

الثامن عشر: الريح التي أرسلها الله

Edit with WPS Office

بعد أن طال الحصار، أرسل الله تعالى على الأحزاب ريحًا شديدة.

قال تعالى:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9].

فاضطربت خيامهم، وانقلبت أوضاعهم، واشتد عليهم البرد والخوف.

ثم بدأ التحالف في الانهيار.

وانسحبت الأحزاب.

وانتهى الحصار دون أن يتمكنوا من دخول المدينة.

Edit with WPS Office

التاسع عشر: انتهاء غزوة الأحزاب

انتهت الغزوة دون مواجهة عسكرية شاملة بين الجيشين.

وكان ذلك نصرًا مهمًا للمسلمين.

فقد استطاعوا حماية المدينة، وأفشلوا أكبر تحالف عسكري ضدهم حتى ذلك الوقت.

وبعد انتهاء الأحزاب قال النبي ﷺ:

«الآن نغزوهم ولا يغزوننا».

وكانت هذه العبارة إشارة إلى تحول مهم في ميزان القوى.

فلم تعد المدينة في موقف دفاعي دائم كما كانت في السنوات السابقة.

Edit with WPS Office

العشرون: الأحزاب في القرآن الكريم

خصصت سورة الأحزاب جانبًا مهمًا من آياتها لهذه المرحلة.

ومن أهم الآيات قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9].

ثم يقول سبحانه:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب: 25].

وهذه الآيات تبين أن النصر في النهاية كان من عند الله، لكن

Edit with WPS Office

المؤمنين بذلوا الأسباب الممكنة.

الحادي والعشرون: درس الصبر

استمرت الأزمة أيامًا صعبة.

وكان المسلمون في حالة خوف وجوع وتعب.

ومع ذلك لم يستسلموا.

وهذا يعلمنا أن بعض الأزمات لا تنتهي بسرعة.

قد يحتاج الإنسان إلى الصبر أيامًا أو شهورًا أو سنوات.

والنجاح أحيانًا يكون في مجرد الاستمرار وعدم الانهيار.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: درس التخطيط

الخندق من أوضح الأمثلة على التخطيط في السيرة.

فالنبي ﷺ لم يقل:

نحن أصحاب الحق، إذن سننتصر دون عمل.

بل خطط، واستشار، وحفر، ونظم، وأخذ بالأسباب.

وهذا درس عظيم:

التوكل الحقيقي لا يعني ترك التخطيط.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: درس قبول الأفكار الجديدة

كان اقتراح الخندق جديدًا على العرب.

لكن النبي ﷺ لم يرفضه لأنه غير مألوف.

بل قبله لأنه مناسب للموقف.

وهذا يفتح بابًا مهمًا في التفكير:

ليس كل ما هو جديد مرفوضًا، وليس كل ما هو قديم صحيحًا.

العبرة بالدليل والمصلحة والقدرة على التطبيق.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: درس العمل الجماعي

حفر الخندق كان عملًا جماعيًا.

شارك فيه المهاجرون والأنصار.

وكان النبي ﷺ بينهم.

وهكذا أصبحت المسؤولية مشتركة.

فالنجاح في الأزمات الكبرى لا يتحقق بفرد واحد، وإنما بتعاون الجميع.

الخامس والعشرون: درس القيادة وقت الأزمة

Edit with WPS Office

أظهر النبي ﷺ في الخندق مجموعة من الصفات القيادية:

الثبات.

الشورى.

التخطيط.

العمل الجماعي.

المرونة.

القدرة على اتخاذ القرار.

رفع المعنويات.

Edit with WPS Office

الثقة بالله.

وهذه الصفات جعلت منه قائدًا قادرًا على إدارة أخطر الأزمات.

السادس والعشرون: ماذا نتعلم من الأحزاب؟

إذا واجه الإنسان أزمة كبيرة في حياته، فعليه أن يتذكر الخندق.

فقد تكون المشكلة أكبر من قدرته.

وقد يبدو الحل بعيدًا.

لكن عليه أن:

1. يفهم المشكلة جيدًا.

Edit with WPS Office

2. يستشير أهل الخبرة.

3. يبحث عن حلول جديدة.

4. يوزع المسؤوليات.

5. يعمل بجد.

6. يحافظ على معنويات فريقه.

7. يتوكل على الله.

8. يصبر حتى يأتي الفرج.

السابع والعشرون: الفرق بين المؤمن والمنافق

كانت الأحزاب اختبارًا كشفت فيه الأزمة حقيقة النفوس.

المؤمن رأى الخطر فقال:

هذا ما وعدنا الله ورسوله.

Edit with WPS Office

والمنافق رأى الخطر فقال:

ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا.

فالحدث واحد.

لكن رد الفعل مختلف.

وهذا يعلمنا أن الأزمات لا تصنع دائمًا شخصية الإنسان، بل تكشف ما بداخلها.

خاتمة الفصل

كانت غزوة الأحزاب من أعظم الأزمات التي مرت على المسلمين.

Edit with WPS Office

اجتمعت القبائل.

وتحركت الجيوش.

وحاصرت المدينة.

واشتد الخوف.

وعانى المسلمون من الجوع والتعب.

لكن النبي ﷺ لم يفقد الأمل.

استشار أصحابه.

وأخذ بفكرة الخندق.

Edit with WPS Office

وشارك في حفره.

وثبت أصحابه.

واستمر في التخطيط حتى جاء الفرج.

ثم أرسل الله تعالى الريح، وتفرقت الأحزاب، وعادت الجيوش من حيث جاءت.

وكانت هذه اللحظة بداية تحول استراتيجي كبير.

فبعد أن كان المسلمون يخشون أن تأتي قريش إلى المدينة، أصبح ميزان القوى يميل تدريجيًا لصالح المسلمين.

وبعد الخندق ستدخل الدعوة مرحلة جديدة.

وسيأتي صلح الحديبية، الذي سيبدو في ظاهره تنازلًا، لكنه سيكون في الحقيقة فتحًا عظيمًا.

Edit with WPS Office

وسنرى كيف استطاع رسول الله ﷺ أن يحول الهدنة إلى فرصة لنشر الإسلام، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل العاشر

صلح الحديبية: الفتح الذي جاء في صورة صلح

تمهيد

بعد غزوة الأحزاب تغيرت موازين القوى في الجزيرة العربية.

فقد فشلت قريش وحلفاؤها في القضاء على المسلمين، وأثبتت المدينة قدرتها على الصمود.

وكان المسلمون قد مروا خلال السنوات السابقة بمراحل شديدة:

الهجرة.

والاضطهاد.

Edit with WPS Office

وبدر.

وأُحد.

والخندق.

وبعد كل هذه الأحداث جاءت مرحلة جديدة من مراحل السيرة النبوية، مرحلة تقوم على الدعوة والاتصال بالقبائل والهدنة وفتح الأ بواب أمام الناس للتعرف إلى الإسلام.

وفي السنة السادسة للهجرة رأى النبي ﷺ في المنام أنه يدخل مكة مع أصحابه معتمرين.

فأعلن عزمه على الذهاب إلى مكة لأداء العمرة.

لم يكن المسلمون يريدون حربًا.

Edit with WPS Office

كانوا يريدون البيت الحرام.

لكن قريشًا لم تكن مستعدة للسماح لهم بدخول مكة.

ومن هنا بدأت أحداث الحديبية.

أولًا: رؤيا النبي ﷺ

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: 27].

رأى النبي ﷺ أنه يدخل المسجد الحرام مع أصحابه.

Edit with WPS Office

فاستبشر المسلمون.

وأعلن النبي ﷺ عزمه على العمرة.

ثانيًا: الخروج إلى مكة

خرج النبي ﷺ من المدينة ومعه عدد كبير من الصحابة.

وكانوا محرمين بالعمرة.

وحملوا الهدي.

ولم يخرجوا بنية القتال.

وكان هذا أمرًا مهمًا؛ لأن النبي ﷺ أراد أن يظهر لقريش وللعرب أن

Edit with WPS Office

المسلمين جاءوا زائرين للبيت، لا طالبين للحرب.

ثالثًا: إحرام المسلمين

لبس المسلمون ملابس الإحرام.

وساقوا الهدي.

وكان هذا دليلًا واضحًا على أن مقصدهم العبادة.

لكن قريشًا لم تتعامل مع الأمر بهذه البساطة.

فقد رأت أن دخول المسلمين إلى مكة سيكون انتصارًا سياسيًا لهم.

Edit with WPS Office

رابعًا: موقف قريش

قررت قريش منع المسلمين من دخول مكة.

وأرسلت عددًا من الرجال لمراقبة تحركات المسلمين.

وبدأ النبي ﷺ يبحث عن طريق يتجنب به المواجهة.

فكان هدفه تحقيق العمرة دون إراقة الدماء.

وهنا يظهر بوضوح أن النبي ﷺ لم يكن يبحث عن الحرب لمجرد الحرب.

خامسًا: الوصول إلى الحديبية

Edit with WPS Office

وصل المسلمون إلى منطقة الحديبية، وهي تقع بالقرب من مكة.

وتوقفوا هناك.

وأعلن النبي ﷺ أنه لن يقاتل قريشًا إلا إذا اضطروه إلى ذلك.

وكانت هذه بداية مفاوضات طويلة.

سادسًا: المفاوضات

أرسلت قريش عددًا من الرجال للتفاوض مع النبي ﷺ.

وكان من بينهم عروة بن مسعود الثقفي.

Edit with WPS Office

وقد رأى بنفسه احترام الصحابة للنبي ﷺ، وكيف كانوا يقتدون به في أقواله وأفعاله.

ثم عاد إلى قريش، وأخبرهم بما رأى من تعظيم أصحاب محمد ﷺ له.

وكان هذا موقفًا مهمًا في كشف قوة الرابطة الإيمانية التي بناها النبي ﷺ في أصحابه.

سابعًا: عثمان بن عفان رضي الله عنه

أرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قريش.

وكان الهدف أن يبلغهم أن المسلمين لم يأتوا للقتال.

وأنهم يريدون العمرة فقط.

Edit with WPS Office

وتأخر عثمان رضي الله عنه في مكة.

وانتشرت شائعة أنه قُتل.

وكانت هذه الشائعة خطيرة جدًا.

ثامنًا: بيعة الرضوان

لما بلغ النبي ﷺ خبر مقتل عثمان رضي الله عنه، دعا أصحابه إلى البيعة.

فبايعوه تحت الشجرة على ألا يفروا.

وسميت هذه البيعة بـ بيعة الرضوان.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18].

وكانت البيعة دليلًا على قوة إيمان الصحابة واستعدادهم للتضحية.

تاسعًا: عودة عثمان

تبين بعد ذلك أن عثمان رضي الله عنه لم يُقتل.

لكن الموقف أظهر أن المسلمين أصبحوا قوة لا يمكن تجاهلها.

وكانت قريش أمام خيار صعب:

Edit with WPS Office

إما الحرب.

وإما التفاوض.

فاختارت التفاوض.

عاشرًا: سهيل بن عمرو

أرسلت قريش سهيل بن عمرو للتفاوض مع النبي ﷺ.

فلما رآه النبي ﷺ قال ما معناه إن القوم أرادوا الصلح عندما أرسلوا هذا الرجل.

وبدأت المفاوضات.

Edit with WPS Office

وكانت المفاوضات دقيقة جدًا.

الحادي عشر: كتابة وثيقة الصلح

أمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال سهيل:

لا نعرف الرحمن الرحيم، ولكن اكتب: باسمك اللّٰهم.

فوافق النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

ثم قال النبي ﷺ:

هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله.

فقال سهيل:

لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولكن اكتب محمد بن عبد الله.

فوافق النبي ﷺ أيضًا.

وكان هذا الموقف من أعظم أمثلة الحكمة النبوية.

فالنبي ﷺ لم يكن يتنازل عن العقيدة.

بل كان يتعامل مع صياغة الوثيقة بما يحقق المصلحة ويمنع الحرب.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: شروط صلح الحديبية

اتفق الطرفان على مجموعة من الشروط.

ومن أبرزها:

- وقف الحرب بين المسلمين وقريش مدة محددة.
- عودة المسلمين إلى المدينة في ذلك العام دون أداء العمرة.
- أن يعود المسلمون في العام التالي لأداء العمرة.
- أن تكون هناك هدنة بين الطرفين.
- تنظيم العلاقة بين القبائل المتحالفة مع المسلمين وقريش.

وكانت بعض الشروط تبدو صعبة على المسلمين في ظاهرها.

لكن النبي ﷺ نظر إلى النتائج البعيدة.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه شديد التأثر ببعض شروط الصلح.

وسأل النبي ﷺ أسئلة تدل على شدة حرصه على الدين.

وكان يرى أن المسلمين على الحق، فلماذا يقبلون بعض الشروط التي تبدو في ظاهرها لصالح قريش؟

فأجابه النبي ﷺ بما يطمئنه، وكان يعلم أن وراء هذه الشروط حكمة كبيرة.

الرابع عشر: موقف أبي جندل

Edit with WPS Office

ومن أصعب لحظات الحديبية وصول أبي جندل بن سهيل إلى المسلمين، وكان قد أسلم وفر من مكة.

فلما رآه المسلمون في حالة من التعب والقيود، أرادوا حمايته.

لكن سهيل بن عمرو تمسك بشرط الصلح.

وكان الموقف شديدًا على الصحابة.

ومع ذلك التزم النبي ﷺ بالاتفاق.

وهنا ظهر خلق عظيم:

الوفاء بالعهد حتى عندما يكون الوفاء مؤلمًا.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: حزن الصحابة

كان بعض الصحابة يشعرون أن الصلح يحمل تنازلات كبيرة.

وكانوا يتساءلون:

كيف نرجع دون العمرة؟

لكن النبي ﷺ كان يرى ما وراء اللحظة الحالية.

وكان يعلم أن الهدنة ستفتح أبوابًا جديدة للدعوة.

السادس عشر: نزول سورة الفتح

Edit with WPS Office

بعد الحديبية نزل قول الله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: 1].

وكان هذا التعبير عظيم الدلالة.

فما ظنه بعض الصحابة تنازلًا أو خسارة، سماه الله فتحًا مبينًا.

وهنا نتعلم درسًا عظيمًا:

ليست كل خسارة في ظاهرها خسارة في حقيقتها، وليست كل مكاسب ظاهرة فتحًا حقيقيًا.

السابع عشر: لماذا كان الحديبية فتحًا؟

Edit with WPS Office

لأن الحرب توقفت.

وأصبح المسلمون قادرين على الاتصال بالقبائل.

وأصبح الناس يسمعون عن الإسلام بعيدًا عن أجواء الحرب.

وأصبحت الدولة الإسلامية معترفًا بها كقوة سياسية.

وتفرغ النبي ﷺ للدعوة وإرسال الرسائل إلى الملوك والزعماء.

وازداد عدد الداخلين في الإسلام.

الثامن عشر: انتشار الإسلام بعد الحديبية

بعد الحديبية حدث توسع كبير في الدعوة.

Edit with WPS Office

فالهدنة جعلت الناس يلتقون بالمسلمين ويتعرفون على الإسلام.

وكانت السنوات التي تلت الحديبية من أكثر الفترات التي انتشر فيها الإسلام.

وهذا يوضح أهمية السلام في نشر الأفكار والدعوة.

فأحيانًا يكون الحوار أكثر تأثيرًا من الصراع.

التاسع عشر: احترام العهود

كان النبي ﷺ شديد الحرص على الوفاء بالعهود.

وكان يعلم أن الدولة القوية ليست التي تنقض الاتفاقات عندما لا

Edit with WPS Office

تعجبها الشروط، بل التي تحترم التزاماتها.

قال تعالى:

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34].

وهذا خلق يحتاج إليه الأفراد والدول والمجتمعات.

العشرون: الحكمة السياسية

كان صلح الحديبية من أعظم الأمثلة على الحكمة السياسية في السيرة.

فالنبي ﷺ لم ينظر إلى العاطفة وحدها.

Edit with WPS Office

بل نظر إلى المستقبل.

كان يستطيع أن يدخل في حرب مع قريش، لكنه اختار السلام عندما كان السلام أكثر فائدة للدعوة.

وهذا يعلمنا أن:

الشجاعة ليست دائمًا في القتال، وإنما قد تكون في القدرة على اختيار السلام عندما يكون هو الخيار الأفضل.

الحادي والعشرون: الصبر على النتائج

كان الصحابة يريدون العمرة فورًا.

لكنهم عادوا إلى المدينة.

Edit with WPS Office

ومع ذلك لم يضيع وعد الله.

ففي العام التالي دخل المسلمون مكة وأدوا العمرة.

وهذا يعلّم المسلم ألا يستعجل النتائج.

قد يتأخر تحقيق الهدف، لكن التأخير لا يعني ضياع الهدف.

الثاني والعشرون: النبي ﷺ قائدًا بعيد النظر

من أبرز صفات القيادة النبوية في الحديبية:

النظر إلى المستقبل.

Edit with WPS Office

كان بعض الناس ينظر إلى شرط واحد.

أما النبي ﷺ فنظر إلى الصورة كاملة.

كان يرى ما وراء الاتفاق.

ويرى ما سيحدث إذا توقفت الحرب.

ويرى الفرص التي ستفتحها الهدنة.

وهذه القدرة على رؤية المستقبل من أهم صفات القيادة الحكيمة.

الثالث والعشرون: الدروس التربوية

1. لا تحكم على الأحداث من ظاهرها فقط

Edit with WPS Office

قد يبدو الأمر سلبيًا، بينما يحمل خيرًا كبيرًا.

2. الوفاء بالعهد من صفات المؤمن

حتى إذا كان الوفاء صعبًا.

3. الصبر على النتائج

ليس كل شيء يتحقق فورًا.

4. الحكمة لا تعني الضعف

النبي ﷺ كان قويًا، لكنه اختار السلام عندما رأى فيه المصلحة.

5. الحوار وسيلة من وسائل الدعوة

Edit with WPS Office

فقد أتاحت الهدنة للناس أن يتعرفوا على الإسلام.

6. الشورى مهمة

النبي ﷺ كان يناقش أصحابه ويستمع إليهم.

الرابع والعشرون: أم سلمة وموقف عظيم

بعد انتهاء الصلح، أمر النبي ﷺ أصحابه أن يتحللوا من الإحرام وينحروا هديهم.

لكن الصحابة من شدة الحزن لم يبادروا.

فدخل النبي ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها، وشكا إليها ما وجد من الناس.

Edit with WPS Office

فأشارت عليه أن يخرج وينحر هديه ويحلق دون أن يتكلم.

ففعل النبي ﷺ.

فلما رأى الصحابة ذلك قاموا جميعًا وفعلوا مثله.

وكان هذا موقفًا عظيمًا من أم سلمة، يدل على حكمتها وحسن إدراكها لطبيعة الموقف.

الخامس والعشرون: الحديبية مدرسة في القيادة

يمكن تلخيص القيادة النبوية في الحديبية في مجموعة من المبادئ:

الرؤية بعيدة المدى.

Edit with WPS Office

المرونة في الوسائل.

الثبات على المبادئ.

الوفاء بالعهد.

ضبط العاطفة.

اختيار السلام عند إمكانه.

تقديم المصلحة العامة.

الصبر على النتائج.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: الحديبية والفتح الحقيقي

كان المسلمون يرون أنفسهم عائدين إلى المدينة دون العمرة.

لكن القرآن أعلن:

.{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}.

وهنا يظهر الفرق بين عين الإنسان المحدودة وعلم الله الواسع.

قد يرى الإنسان بابًا يغلق فيحزن.

لكن ربما يكون إغلاق هذا الباب بداية لفتح أبواب أكبر.

ولهذا ينبغي للمؤمن أن يثق بحكمة الله، مع بذل الأسباب وعدم الا ستسلام.

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: من الحديبية إلى فتح مكة

لم تكن الحديبية نهاية الأحداث.

بل كانت بداية لمرحلة جديدة.

وبعد الصلح بدأت قوة المسلمين في التوسع.

ودخلت قبائل في الإسلام.

وتغيرت علاقات القوى في الجزيرة العربية.

ثم وقع نقض للصلح من جانب حلفاء قريش.

وأصبح الطريق مفتوحًا أمام حدث عظيم:

Edit with WPS Office

فتح مكة.

وهو الحدث الذي سيظهر فيه الجانب الآخر من شخصية النبي ﷺ:

النبي المنتصر.

القائد القادر.

الإنسان الذي عاد إلى المدينة التي أخرجته منها قريش.

ومع ذلك لم يكن همه الانتقام.

بل كان همه هداية الناس.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كان صلح الحديبية من أعظم المواقف في السيرة النبوية.

خرج النبي ﷺ وأصحابه يريدون العمرة.

فمنعتهم قريش.

ثم تفاوض الطرفان.

ووقّع النبي ﷺ اتفاقًا بدا لبعض الصحابة صعبًا.

لكن الله سماه:

فتحًا مبينًا.

وبعد الصلح انتشرت الدعوة بصورة واسعة، وتغيرت موازين القوى،

Edit with WPS Office

وأصبح الطريق إلى فتح مكة أقرب من أي وقت مضى.

وكان الحديبية درسًا في:

الصبر.

والحكمة.

والوفاء.

والتخطيط.

والنظر إلى المستقبل.

والثقة بالله.

لقد علمنا رسول الله ﷺ أن القائد الحكيم لا يتخذ قراراته تحت

Edit with WPS Office

ضغط العاطفة، وأن القوة الحقيقية ليست في رفض كل تنازل، وإنما في معرفة ما يمكن التنازل عنه وما لا يمكن التنازل عنه.

وبعد أن كان المسلمون عند الخندق يدافعون عن مدينتهم، أصبحوا بعد الحديبية على أبواب مكة.

وسرعان ما سيأتي اليوم الذي يعود فيه رسول الله ﷺ إلى مكة فاتحًا.

لكن هذه المرة لن يعود إليها مهاجرًا مطاردًا.

بل سيعود إليها قائدًا منتصرًا.

وسيكون أمامه رجال قريش الذين آذوه وآذوا أصحابه.

وهنا سيظهر أعظم درس في العفو عند المقدرة.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الحادي عشر

فتح مكة: يوم العفو والرحمة

تمهيد

كان فتح مكة من أعظم أحداث السيرة النبوية، بل من أعظم الأحداث في تاريخ الإسلام.

فبعد سنوات طويلة من الاضطهاد والهجرة والحروب، عاد رسول الله ﷺ إلى مكة التي أُخرج منها.

عاد إليها لا هاربًا، ولا خائفًا، وإنما قائدًا منتصرًا.

وكان يمكن لهذا اليوم أن يكون يوم انتقام.

فأهل مكة هم الذين أخرجوا النبي ﷺ وأصحابه من ديارهم، وعذبوا

Edit with WPS Office

المستضعفين، وصادروا الأموال، وخاضوا الحروب ضد المسلمين.

لكن رسول الله ﷺ اختار طريقًا آخر.

اختار العفو والرحمة.

وهنا ظهرت عظمة شخصيته ﷺ.

أولًا: سبب فتح مكة

كان صلح الحديبية قد وضع هدنة بين المسلمين وقريش.

لكن حلفاء قريش اعتدوا على حلفاء المسلمين، وساندتهم قريش في ذلك.

Edit with WPS Office

وبذلك اختل الاتفاق.

وكان النبي ﷺ يعلم أن هذا الأمر لا يمكن تجاهله.

فبدأ الاستعداد للتحرك نحو مكة.

وكان هدفه الأساسي إنهاء حالة الصراع وفتح مكة أمام الإسلام.

ثانيًا: الاستعداد للفتح

جمع النبي ﷺ المسلمين، وخرج بجيش كبير.

وكان عدد المسلمين في حدود عشرة آلاف مقاتل.

وكان هذا العدد يمثل تحولًا هائلًا مقارنة بعدد المسلمين يوم بدر.

Edit with WPS Office

ففي بدر كانوا بضع مئات.

أما الآن فأصبحوا قوة كبيرة.

ومع ذلك لم يكن النبي ﷺ يريد أن تتحول مكة إلى ساحة انتقام.

ثالثًا: السرية في التحرك

حرص النبي ﷺ على عدم إعلان تفاصيل خطته لقريش.

وكان يريد أن يدخل مكة بأقل قدر ممكن من القتال.

لأن الهدف لم يكن قتل أهل مكة، وإنما فتح المدينة وإزالة العوائق أمام الدعوة.

Edit with WPS Office

وهذا يوضح أن القوة عند النبي ﷺ كانت وسيلة لتحقيق السلام و الهداية، وليست غاية في ذاتها.

رابعًا: إسلام أبي سفيان

كان أبو سفيان بن حرب من أبرز قادة قريش الذين حاربوا المسلمين.

فلما اقترب المسلمون من مكة، خرج أبو سفيان واستطلع الأمر.

ثم التقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وأخذ إلى النبي ﷺ.

فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام.

Edit with WPS Office

فأسلم أبو سفيان.

وكان إسلامه تحولًا مهمًا؛ فقد كان من أبرز قادة المعارضة للإسلام، ثم أصبح بعد ذلك من المسلمين.

خامسًا: إعلان الأمان

أعلن النبي ﷺ أن من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

وكان هذا الإعلان رسالة واضحة:

الهدف ليس الانتقام.

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يريد تقليل الخوف، ومنع الفوضى، وحماية المدنيين.

سادسًا: دخول مكة

دخل النبي ﷺ مكة من عدة جهات.

وكان حريصًا على تجنب القتال.

ولم تقع مقاومة كبيرة.

وبذلك دخل المسلمون مكة.

وكان هذا اليوم من أعظم أيام التاريخ الإسلامي.

Edit with WPS Office

سابعًا: تواضع النبي ﷺ

مع أنه كان قائد جيش منتصر، دخل النبي ﷺ مكة متواضعًا لله.

ولم يدخلها دخول المتكبرين.

بل كان خاشعًا لله.

وكان يعلم أن النصر فضل من الله.

وهذا يوضح الفرق بين النصر النبوي والانتصارات الدنيوية القائمة على الغرور.

ثامنًا: تحطيم الأصنام

Edit with WPS Office

دخل النبي ﷺ المسجد الحرام.

وكانت حول الكعبة أصنام كثيرة.

فأخذ النبي ﷺ يطعنها بقوسه أو يشير إليها، وهي تتساقط.

قال تعالى:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81].

وكان سقوط الأصنام إعلانًا بانتهاء عبادة الأوثان في مكة.

تاسعًا: تطهير الكعبة

Edit with WPS Office

كانت الكعبة قد صارت عبر القرون مركزًا لعبادة الأصنام.

فجاء الإسلام ليعيدها إلى غايتها الأولى:

عبادة الله وحده.

وكان تطهير الكعبة من الأصنام حدثًا عظيمًا في تاريخ التوحيد.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ [الحج: 26].

عاشرًا: الأذان فوق الكعبة

ومن المشاهد المؤثرة في فتح مكة أن النبي ﷺ أمر بلال بن رباح

Edit with WPS Office

رضي الله عنه أن يؤذن.

فصعد بلال على الكعبة وأذن.

وكان هذا الموقف يحمل معنى عظيمًا.

فبلال الذي كان عبدًا مستضعفًا في مكة، يعذب من أجل إسلامه، أصبح يؤذن فوق الكعبة بعد سنوات.

وهكذا تغيرت موازين المجتمع.

لم يعد معيار الكرامة هو اللون أو النسب أو المال.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

Edit with WPS Office

الحادي عشر: أين الذين آذوا النبي ﷺ؟

بعد دخول مكة، أصبح الذين حاربوا النبي ﷺ في متناول يده.

أولئك الذين شتموه.

وأولئك الذين عذبوا أصحابه.

وأولئك الذين أخرجوه من وطنه.

وأولئك الذين قاتلوه في بدر وأحد والخندق.

كان يمكن أن يكون يومًا للثأر.

لكن النبي ﷺ اختار العفو عن كثير منهم.

Edit with WPS Office

وهنا ظهرت عظمة أخلاقه.

الثاني عشر: العفو عند المقدرة

من أشهر المواقف في فتح مكة أن النبي ﷺ لم يجعل النصر فرصة للانتقام الجماعي.

وقد خاطب أهل مكة بما يدل على الرحمة والعفو.

وانتهى الأمر إلى دخول كثير من أهل مكة في الإسلام.

وكان ذلك أعظم من أي انتقام.

فقتل الإنسان قد ينهي حياته.

Edit with WPS Office

لكن العفو قد يغير قلبه.

الثالث عشر: عكرمة بن أبي جهل

كان عكرمة بن أبي جهل من الذين عارضوا الإسلام، وفر من مكة بعد الفتح.

ثم عاد بعد ذلك وأسلم.

وأصبح من المسلمين.

وهذا يبين أن الإسلام لم يغلق باب التوبة أمام من كان في الماضي من أعدائه.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: صفوان بن أمية

كان صفوان بن أمية من أعداء الإسلام.

ثم أسلم بعد ذلك.

وكان من الذين دخلوا في الإسلام بعد فتح مكة.

وهكذا تحولت مكة تدريجيًا من مركز لمقاومة الدعوة إلى مركز من مراكز الإسلام.

الخامس عشر: وحشي بن حرب

Edit with WPS Office

كان وحشي قد قتل حمزة رضي الله عنه في أحد.

وكان ذلك مؤلمًا للنبي ﷺ.

ومع ذلك، لما أسلم وحشي، قبل النبي ﷺ إسلامه.

وهذا من أعظم صور فتح باب التوبة.

فالإسلام لا يحكم على الإنسان بماضيه إذا تاب توبة صادقة.

السادس عشر: أم هانئ

ومن المواقف التي تظهر حرمة الدماء موقف أم هانئ رضي الله عنها ، عندما أجارت رجلين، وأراد بعض الناس قتلهما، فأقر النبي ﷺ جوارها.

Edit with WPS Office

وقال:

«قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ».

وهذا يؤكد أن الأمان والعهود والحقوق كانت أمورًا معتبرة في المجتمع الإسلامي.

السابع عشر: العفو ليس ضعفًا

قد يظن البعض أن العفو عند المقدرة علامة ضعف.

لكن فتح مكة يثبت العكس.

فالنبي ﷺ كان قادرًا على العقوبة.

Edit with WPS Office

وكان يملك القوة.

لكنه اختار العفو لأن العفو في ذلك الموقف كان أكثر تحقيقًا للمصلحة.

إذن:

العفو قد يكون قوة أخلاقية وسياسية، وليس ضعفًا.

الثامن عشر: الإسلام يدخل مكة

بعد فتح مكة بدأت قريش تدخل في الإسلام.

وتغيرت صورة المجتمع.

Edit with WPS Office

وأصبح الإسلام هو الدين الغالب في مكة.

وبدأت الوفود تأتي إلى النبي ﷺ من أنحاء الجزيرة العربية.

وكان فتح مكة نقطة تحول كبرى في انتشار الإسلام.

التاسع عشر: إزالة آثار الجاهلية

لم يكن فتح مكة مجرد السيطرة على مدينة.

بل كان تغييرًا لمنظومة كاملة.

أزيلت الأصنام.

Edit with WPS Office

وتغيرت القيم.

وتراجعت العصبية.

وأصبحت التقوى معيارًا للكرامة.

وتحولت مكة إلى مركز للتوحيد.

العشرون: خطبة النبي ﷺ في مكة

خطب النبي ﷺ في أهل مكة، وأكد حرمة مكة وحرمة الدماء والأموال والأعراض.

وكان من أهم المعاني التي أكدها أن التفاضل الحقيقي بين الناس ليس بالأنساب والألوان، وإنما بالتقوى.

Edit with WPS Office

وهذا من أعظم المبادئ التي جاء بها الإسلام.

الحادي والعشرون: الرحمة بالناس

كان النبي ﷺ رحيمًا حتى في لحظة الانتصار.

وهذا يوضح أن الرحمة عنده لم تكن مرتبطة بضعف الإنسان.

بل كانت خلقًا ثابتًا.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

Edit with WPS Office

فالرسالة كلها قائمة على الرحمة والهداية.

الثاني والعشرون: فتح مكة وتغيير النفوس

أحيانًا يكون الانتصار الحقيقي هو تغيير النفوس.

فلو دخل النبي ﷺ مكة وانتقم من أهلها، ربما بقيت الأحقاد.

لكنه عندما عفا، فتح الباب أمامهم ليدخلوا في الإسلام.

وبالفعل أسلم عدد كبير من الذين كانوا بالأمس من أشد خصومه.

وهكذا انتصر الإسلام في القلوب قبل أن ينتصر في الأرض.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: درس في التعامل مع الخصوم

تعلمنا سيرة النبي ﷺ أن التعامل مع الخصوم لا يكون دائمًا بمنطق ا لانتقام.

بل قد تكون هناك حالات:

- للحوار.
- للصلح.
- للعفو.
- للمواجهة عند الضرورة.
- وللتسامح عند تحقق المصلحة.

وكان النبي ﷺ يوازن بين هذه الأمور بحكمة.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: فتح مكة في حياة المسلم

قد لا يكون المسلم قائدًا أو حاكمًا، لكنه يتعرض في حياته لمن يسيء إليه.

وهنا يمكن أن يتعلم من فتح مكة:

إذا كنت قادرًا على الانتقام، فاسأل نفسك:

هل الانتقام سيصلح الأمر؟

أم أن العفو سيغير الإنسان؟

فليس كل حق يجب أن يتحول إلى خصومة طويلة.

وقد يكون العفو في بعض المواقف أقوى من الانتقام.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: التواضع بعد النجاح

دخل النبي ﷺ مكة منتصرًا.

ومع ذلك لم يتحول إلى متكبر.

وهذه قاعدة عظيمة:

كلما زادت قدرة الإنسان، زادت حاجته إلى التواضع.

فالقوة الحقيقية ليست أن تجعل الناس يخافون منك، وإنما أن تكون قادرًا على ضبط نفسك عندما تكون قادرًا على كل شيء.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: فتح مكة والمرحلة الجديدة

بعد فتح مكة لم تعد قريش تمثل الخطر الأكبر على المسلمين.

لكن بقيت قبائل أخرى في الجزيرة العربية تراقب ما حدث.

وبعض القبائل لم تقبل التغيير الجديد.

فبعد فتح مكة مباشرة تقريبًا جاءت غزوة حنين.

وهناك سيواجه المسلمون اختبارًا مختلفًا تمامًا.

فقد أصبح عددهم كبيرًا جدًا، حتى إن بعضهم أعجب بكثرة العدد.

وسيعلمهم الله درسًا جديدًا:

Edit with WPS Office

أن النصر لا يكون بالكثرة وحدها.

خاتمة الفصل

كان فتح مكة يومًا من أعظم أيام السيرة.

عاد رسول الله ﷺ إلى مكة بعد سنوات من الهجرة.

عاد إليها منتصرًا.

وكان أهل مكة الذين آذوه في قبضته.

لكنه لم يجعل النصر طريقًا للانتقام.

بل جعله طريقًا للهداية.

Edit with WPS Office

حطم الأصنام.

وطهر الكعبة.

وأعلن حرمة الدماء والأموال.

وعفا عن كثير ممن آذوه.

ودخل أهل مكة في الإسلام.

وهكذا أثبت رسول الله ﷺ أن أعظم الانتصارات ليست تلك التي تسقط فيها المدن، وإنما تلك التي تفتح فيها القلوب.

لقد كان قادرًا على الانتقام، لكنه اختار الرحمة.

وكان قادرًا على التشفي، لكنه اختار العفو.

Edit with WPS Office

وكان قادرًا على أن يذكر الناس بماضيهم، لكنه فتح لهم باب المستقبل.

وهنا تظهر عظمة أخلاقه ﷺ:

قوة بلا ظلم، وعفو بلا ضعف، ورحمة بلا تنازل عن الحق.

وبعد فتح مكة ستأتي حنين، حيث سيواجه المسلمون جيشًا كبيرًا وهم أكثر عددًا من أي وقت مضى.

وسيكتشفون أن الكثرة وحدها لا تصنع النصر.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثاني عشر

غزوة حنين والطائف: حين لا تغني الكثرة عن الإيمان

تمهيد

بعد فتح مكة دخلت الجزيرة العربية مرحلة جديدة.

فقد أصبحت مكة، التي كانت لسنوات مركزًا لمقاومة الدعوة، تحت راية الإسلام.

لكن بعض القبائل لم تقبل هذا التحول بسهولة، ورأت أن قوة المسلمين أصبحت خطرًا على نفوذها.

وكان من أبرز هذه القبائل هوازن وثقيف.

Edit with WPS Office

فجمعت هوازن عددًا كبيرًا من المقاتلين، واستعدت لمواجهة المسلمين.

وكانت غزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة، بعد فتح مكة مباشرة.

وقد كانت هذه الغزوة درسًا بالغ الأهمية؛ لأن المسلمين دخلوا المعركة وهم أكثر عددًا من أي وقت مضى.

حتى قال بعضهم في بداية الأمر ما يدل على إعجابهم بكثرتهم.

لكن الأحداث أثبتت لهم أن النصر لا يقوم على العدد وحده.

أولًا: اجتماع هوازن وثقيف

كانت قبائل هوازن وثقيف من القبائل القوية في منطقة الطائف وما حولها.

Edit with WPS Office

ولما رأت فتح مكة، خشيت أن يمتد نفوذ المسلمين إليها.

فاجتمعت واستعدت للقتال.

وكان من أبرز قادتها مالك بن عوف النصري.

وقرر أن يجمع الناس ويخرج لمواجهة المسلمين قبل أن تزداد قوتهم.

ثانيًا: جيش المسلمين

خرج النبي ﷺ من مكة ومعه جيش كبير.

وكان عدد المسلمين في هذه الغزوة نحو اثني عشر ألفًا.

Edit with WPS Office

وكان هذا أكبر جيش للمسلمين حتى ذلك الوقت.

فقد كان مع النبي ﷺ عشرة آلاف ممن شهدوا فتح مكة، وانضم إليهم ألفان تقريبًا من أهل مكة الذين أسلموا حديثًا.

وكان العدد كبيرًا مقارنة بما كان عليه المسلمون في بدر وأُحد.

ثالثًا: أثر الكثرة في النفوس

عندما رأى بعض المسلمين كثرة الجيش، شعروا بقوة كبيرة.

وقد ورد أن بعضهم قال:

«لن نُغلب اليوم من قلة».

Edit with WPS Office

وكان هذا الشعور اختبارًا مهمًا.

فالمؤمن قد يفرح بقوته، لكن الخطر أن يتحول الفرح بالقوة إلى اعتماد عليها.

فجاءت أحداث حنين لتعلم المسلمين أن:

النصر من الله، وليس من كثرة العدد.

رابعًا: كمين هوازن

اختارت هوازن مكانًا مناسبًا للكمين.

وكانت المنطقة ذات طبيعة صعبة، وفيها شعاب وممرات.

Edit with WPS Office

واختبأ المقاتلون في مواضع مناسبة.

وعندما بدأ المسلمون الدخول إلى وادي حنين، فوجئوا بهجوم مفاجئ.

فحدث اضطراب في صفوف المسلمين.

خامسًا: اضطراب المسلمين

قال الله تعالى:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25].

Edit with WPS Office

كانت بداية المعركة صعبة جدًا.

وتراجع عدد من المسلمين.

وكان هذا درسًا عمليًا في أن الكثرة وحدها لا تكفي.

سادسًا: ثبات النبي ﷺ

في وسط هذا الاضطراب لم يهرب النبي ﷺ.

بل ثبت في مكانه.

وكان ينادي أصحابه.

ومن أشهر ما ورد في ذلك أنه كان يقول:

Edit with WPS Office

«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

وكان هذا الموقف من أعظم صور الشجاعة والثبات.

فالناس قد يثبتون عندما يكونون في أمان.

لكن القائد الحقيقي يظهر ثباته في لحظة الخطر.

سابعًا: موقف العباس رضي الله عنه

كان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قريبًا من النبي ﷺ.

وكان جهوري الصوت.

Edit with WPS Office

فطلب منه النبي ﷺ أن ينادي المسلمين.

فنادى أصحاب النبي ﷺ، وبدأ المسلمون يعودون إلى ساحة المعركة.

وهنا بدأت الصفوف تنتظم من جديد.

ثامنًا: عودة المسلمين

بعد الاضطراب الأول، عاد عدد كبير من الصحابة إلى النبي ﷺ.

واجتمعوا حوله.

ثم بدأت المعركة تتغير.

Edit with WPS Office

وكان المسلمون قد استعادوا توازنهم.

وهنا ظهر أثر القيادة والثبات.

تاسعًا: النصر بعد الشدة

استعاد المسلمون المبادرة.

وانهارت مقاومة هوازن.

وانتهت المعركة بانتصار المسلمين.

وقد ذكر القرآن أن الله أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿ثُمّ أنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: 26].

عاشرًا: درس الكثرة

كانت حنين درسًا خالدًا:

الكثرة لا تعني النصر.

قد يكون الإنسان قويًا في المال، أو العدد، أو العلم، أو المنصب، لكنه إذا اعتمد على هذه الأشياء وحدها فقد يضعف.

أما المؤمن فيأخذ بالأسباب، لكنه يعلم أن التوفيق من الله.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: الفرق بين التوكل والاعتماد على الأسباب

الإسلام لا يطلب من المسلم أن يهمل الأسباب.

بل عليه أن يخطط ويستعد.

لكن عليه أيضًا ألا يجعل قلبه متعلقًا بالأسباب.

فالطبيب يأخذ بالأسباب، لكن الشفاء من الله.

والطالب يذاكر، لكن التوفيق من الله.

والإنسان يعمل، لكن الرزق بيد الله.

وهذا هو التوكل الصحيح.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: الغنائم

بعد انتصار المسلمين، حصلوا على غنائم كثيرة.

وكان من بين الغنائم عدد كبير من الإبل والغنم، وأُسر عدد من النساء والأطفال.

ثم جاء وفد هوازن إلى النبي ﷺ بعد ذلك، وأعلن إسلامه وطلب رد السبي.

وكان موقف النبي ﷺ معهم قائمًا على الرحمة والحكمة.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: رد السبي

أعاد النبي ﷺ كثيرًا من السبي إلى هوازن بعد إسلامهم وطلبهم ذلك.

وكان هذا موقفًا من مواقف الرحمة.

وقد أدى إلى تقوية العلاقة بين المسلمين وهوازن.

فالنبي ﷺ لم يكن ينظر إلى النصر باعتباره فرصة للاستغلال، وإنما كان يبحث عن أفضل ما يحقق المصلحة والهداية.

الرابع عشر: إسلام مالك بن عوف

كان مالك بن عوف قائد هوازن.

Edit with WPS Office

ثم أسلم بعد ذلك، وأكرمه النبي ﷺ، ورد إليه أهله وماله.

وكان هذا نموذجًا جديدًا من نماذج تحول الخصم إلى حليف.

فالإسلام كان قادرًا على تحويل الصراع إلى أخوة عندما تزول أسباب العداوة.

الخامس عشر: غزوة الطائف

بعد حنين لجأ عدد من قادة هوازن وثقيف إلى الطائف.

فتوجه المسلمون إليها.

وكانت الطائف مدينة محصنة.

Edit with WPS Office

وحاصرها المسلمون مدة.

لكن الحصار لم يؤد إلى فتحها في ذلك الوقت.

فرفع النبي ﷺ الحصار وعاد.

وهذا موقف مهم جدًا.

فليس كل هدف يجب تحقيقه في لحظته.

وأحيانًا يكون الانسحاب المنظم قرارًا حكيمًا.

السادس عشر: عدم الاستعجال

Edit with WPS Office

كان من الممكن أن يستمر المسلمون في الحصار فترة أطول.

لكن النبي ﷺ رأى أن المصلحة في إنهائه.

وكان يعلم أن الإسلام لا يحتاج إلى تحقيق كل شيء بالقوة.

وبالفعل جاءت الأيام التي دخل فيها أهل الطائف في الإسلام.

وهكذا تحقق الهدف بطريقة مختلفة.

السابع عشر: دعوة أهل الطائف

لم تكن علاقة النبي ﷺ بأهل الطائف قائمة على الانتقام.

فقد كان النبي ﷺ قد تعرض منهم للأذى قبل الهجرة، ومع ذلك لم

Edit with WPS Office

يكن همه الثأر.

وكان يرجو هدايتهم.

وهذه من أعظم صور الرحمة في سيرته ﷺ.

الثامن عشر: بين الطائف وموقف النبي ﷺ القديم

عندما نتذكر أن أهل الطائف آذوا النبي ﷺ في مرحلة مكة، يصبح موقفه بعد ذلك أكثر دلالة.

فقد كان قادرًا على الانتقام.

لكنه لم يجعل الألم القديم يتحول إلى حقد دائم.

Edit with WPS Office

وكان هدفه هداية الناس.

وهذا يبين أن الرحمة النبوية لم تكن مرتبطة بمصلحة شخصية.

التاسع عشر: موقف النبي ﷺ من الأعراب

بعد حنين حدثت مواقف مع بعض الأعراب بسبب توزيع الغنائم.

وكان بعضهم يطلب المزيد.

وكان النبي ﷺ يتعامل مع ذلك بحلم.

وكان يعلم طبيعة الناس واختلاف طباعهم.

فالقائد الناجح لا يتوقع من الجميع أن يكونوا في درجة واحدة من

Edit with WPS Office

الصبر والفهم.

العشرون: تأليف القلوب

أعطى النبي ﷺ بعض زعماء قريش ومكة أموالًا كثيرة من الغنائم.

وكان ذلك من باب تأليف القلوب.

فبعض من أسلم حديثًا كان يحتاج إلى تثبيت وتقوية علاقته بالإسلام.

وهذا يدل على أن السياسة الشرعية تراعي اختلاف أحوال الناس.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: الأنصار وموقف عظيم

شعر بعض الأنصار أن النبي ﷺ أعطى المؤلفة قلوبهم من الغنائم أكثر مما أعطاهم.

فجمعهم النبي ﷺ وتحدث إليهم.

وقال لهم ما معناه:

ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتعودون أنتم برسول الله ﷺ؟

وكان كلامه مؤثرًا جدًا.

فبكى الأنصار، وقالوا إنهم رضوا برسول الله ﷺ نصيبًا وحظًا.

وهذا الموقف يكشف قوة العلاقة بين النبي ﷺ والأنصار.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: الحكمة في توزيع المال

لم يكن توزيع الغنائم قائمًا على المحاباة الشخصية.

بل كان وراءه هدف دعوي وسياسي وتربوي.

فالنبي ﷺ كان ينظر إلى مصلحة المجتمع والدعوة.

وهذا يوضح أهمية فهم القرارات في سياقها الكامل، لا من خلال جزء واحد منها.

الثالث والعشرون: الرحمة في القيادة

Edit with WPS Office

أظهر النبي ﷺ في حنين والطائف صفات عظيمة:

- الصبر.
- الشجاعة.
- الرحمة.
- الحكمة.
- ضبط النفس.
- حسن إدارة الأزمات.
- القدرة على احتواء المشكلات.
- النظر إلى المستقبل.

الرابع والعشرون: الدرس الإيماني الأكبر

كان أكبر درس في حنين هو قول الله تعالى:

Edit with WPS Office

{فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا}.

أي أن كثرة العدد لم تمنح المسلمين النصر في البداية.

فالمؤمن يجب أن يعرف أن قوته الحقيقية في علاقته بالله.

وهذا لا يعني ترك العمل.

بل يعني:

اعمل بكل ما تستطيع، ولا تجعل قلبك أسيرًا للأسباب.

الخامس والعشرون: حنين في حياة المسلم

قد ينجح الإنسان في حياته فيشعر أنه أصبح قويًا.

Edit with WPS Office

قد يحصل على:

مال.

علم.

منصب.

شهادة.

خبرة.

علاقات.

لكن عليه أن يتذكر حنين.

Edit with WPS Office

فكل هذه الأشياء نعم من الله، لكنها لا ينبغي أن تتحول إلى غرور.

وقد يكون الإنسان في بداية حياته ضعيفًا، ثم يفتح الله له أبوابًا واسعة.

فكلما زادت النعمة، وجب أن يزيد الشكر.

السادس والعشرون: درس عدم الاغترار

قد تكون كثرة المال سببًا للغرور.

وقد تكون كثرة الأتباع سببًا للغرور.

وقد تكون الشهرة سببًا للغرور.

Edit with WPS Office

وقد يكون العلم سببًا للغرور.

ولهذا يجب أن يبقى القلب متواضعًا.

فالإنسان مهما بلغ، يظل عبدًا لله.

السابع والعشرون: النصر الحقيقي

النصر ليس دائمًا أن تحقق كل أهدافك بالقوة.

قد يكون النصر في:

أن تمنع الظلم.

أن تحمي الناس.

Edit with WPS Office

أن تحقق السلام.

أن تهدي إنسانًا.

أن تحول خصمًا إلى صديق.

أن تصلح مجتمعًا.

وهذا هو المنهج الذي يظهر في السيرة النبوية.

الثامن والعشرون: من حنين إلى تبوك

بعد حنين والطائف استمرت الدولة الإسلامية في التوسع.

Edit with WPS Office

وأصبح المسلمون قوة كبيرة في الجزيرة العربية.

ثم جاء خبر عن استعداد الروم لمواجهة المسلمين.

فكانت المرحلة التالية هي غزوة تبوك.

وكانت تبوك اختبارًا مختلفًا؛ فالطريق طويل، والجو شديد الحرارة، والموارد قليلة، والمسافة بعيدة.

وهناك سيظهر معدن المؤمنين مرة أخرى.

خاتمة الفصل

كانت غزوة حنين درسًا عظيمًا في الإيمان.

Edit with WPS Office

دخل المسلمون المعركة وهم أكثر عددًا من أي وقت مضى.

ومع ذلك اضطربت صفوفهم في البداية.

فأنزل الله عليهم السكينة، وثبت النبي ﷺ، وعاد المسلمون إلى القتال، وانتصروا.

ثم ذهبوا إلى الطائف، وحاصروها، ثم عادوا دون فتحها.

ولم يكن ذلك فشلًا.

فالنبي ﷺ كان يعلم أن بعض الأمور تحتاج إلى وقت.

وكان يعلم أن الهداية لا تُفرض بالقوة.

وكان همه أن يصل الناس إلى الحق.

Edit with WPS Office

لقد علمتنا حنين أن:

الكثرة لا تغني عن الإيمان.

وأن:

القوة لا تغني عن التوكل.

وأن:

النجاح لا ينبغي أن يصنع الغرور.

وأن:

القائد الحقيقي يثبت عندما يفر الآخرون.

وفي قلب كل هذه الأحداث ظل رسول الله ﷺ كما عرفناه:

Edit with WPS Office

رحيمًا.

شجاعًا.

حكيمًا.

متواضعًا.

صبورًا.

لا ينتقم لنفسه، ولا يجعل القوة وسيلة للظلم.

وبعد حنين والطائف ستدخل السيرة مرحلة جديدة، ستظهر فيها قوة الدولة الإسلامية واتساع نفوذها، وسيأتي الاختبار الأخير الكبير في حياة النبي ﷺ قبل حجة الوداع.

إنها غزوة تبوك، غزوة العسرة، التي ستكشف صدق المؤمنين

Edit with WPS Office

وتكشف كذلك حقيقة المنافقين.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثالث عشر

غزوة تبوك: غزوة العُسرة واختبار الصدق

تمهيد

بعد فتح مكة وغزوة حنين والطائف، أصبحت الدولة الإسلامية قوة كبرى في الجزيرة العربية.

وكان نفوذ المسلمين قد اتسع، ودخلت قبائل كثيرة في الإسلام.

لكن أخبارًا وصلت إلى المدينة عن استعداد الروم وحلفائهم لمواجهة المسلمين.

وكانت مواجهة الروم أمرًا مختلفًا تمامًا؛ فالروم كانوا قوة عالمية كبرى، ولديهم جيش منظم وإمكانات ضخمة.

Edit with WPS Office

وفي هذه الظروف أعلن النبي ﷺ الاستعداد للخروج إلى تبوك.

وكانت الرحلة شاقة جدًا.

فالحرارة شديدة، والمسافة بعيدة، والثمار قد نضجت، والناس في حاجة إلى أعمالهم وأموالهم.

ولهذا سميت هذه الغزوة غزوة العُسرة.

وكانت تبوك اختبارًا حقيقيًا للصدق والإيمان.

أولًا: سبب الخروج إلى تبوك

وصلت إلى النبي ﷺ أخبار عن تجمع قوات الروم على حدود الشام.

Edit with WPS Office

وكان من الضروري أن يعرف المسلمون طبيعة هذا التهديد.

فأعلن النبي ﷺ الاستعداد للخروج.

وكانت هذه المرة مختلفة عن بعض الغزوات السابقة.

فالمسافة طويلة.

والجو شديد الحرارة.

والعدو المحتمل قوي.

والطريق يحتاج إلى أموال ومؤن كثيرة.

ثانيًا: إعلان الاستعداد

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ في بعض الغزوات لا يصرح بوجهته لأسباب أمنية.

لكن في تبوك أعلن وجهته للمسلمين.

وكان ذلك لأن الاستعداد يحتاج إلى تجهيز كبير.

فالمسلمون كانوا بحاجة إلى:

المال.

والدواب.

والطعام.

والسلاح.

Edit with WPS Office

والمؤن.

وكانت الظروف الاقتصادية صعبة.

ثالثًا: غزوة العُسرة

سميت تبوك بغزوة العسرة بسبب شدة الظروف.

قال تعالى:

﴿لَقَد تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: 117].

كان المسلمون يواجهون مشقة حقيقية.

Edit with WPS Office

ولذلك ظهر في هذه الغزوة صدق المؤمنين بصورة واضحة.

رابعًا: صدقة عثمان بن عفان

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه من أكثر الصحابة مساهمة في تجهيز جيش تبوك.

وقد بذل مالًا كثيرًا في سبيل تجهيز الجيش.

وكان موقفه مثالًا على أن المال يمكن أن يتحول إلى وسيلة عظيمة لخدمة الدين والمجتمع إذا أحسن الإنسان استخدامه.

خامسًا: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما

Edit with WPS Office

شارك كبار الصحابة في تجهيز الجيش.

وبذلوا من أموالهم ما يستطيعون.

وكان المجتمع كله يتحرك في اتجاه واحد.

فلم تكن المسؤولية مسؤولية النبي ﷺ وحده.

بل كان كل مسلم يحاول أن يقدم ما يستطيع.

سادسًا: الذين لا يجدون ما ينفقون

كان بعض المسلمين يريدون الخروج مع النبي ﷺ، لكنهم لم يجدوا ما يركبون عليه.

Edit with WPS Office

فجاؤوا إلى النبي ﷺ يطلبون منه أن يحملهم.

فلما لم يجد ما يحملهم عليه، رجعوا وهم يبكون.

قال تعالى:

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: 92].

وهذه الآية تصور صدقهم.

لم يكن حزنهم لأنهم سيحرمون من الغنائم، بل لأنهم سيحرمون من المشاركة في الجهاد.

Edit with WPS Office

سابعًا: المنافقون يتخلفون

في المقابل، بدأ المنافقون يبحثون عن الأعذار.

وكانوا يثبطون الناس عن الخروج.

قال تعالى:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 81].

وهنا ظهر الفرق بين:

من يبحث عن وسيلة للمشاركة، ومن يبحث عن عذر للتخلف.

ثامنًا: كعب بن مالك

Edit with WPS Office

من أشهر قصص تبوك قصة كعب بن مالك رضي الله عنه.

وكان كعب من الشعراء المعروفين ومن أصحاب النبي ﷺ.

وكان قادرًا على الخروج، وكانت لديه راحلة، ولم يكن لديه عذر حقيقي يمنعه.

لكنه تأخر في الاستعداد.

وكل يوم كان يقول:

سأخرج غدًا.

ثم يمر يوم آخر.

حتى خرج الجيش، وأدرك أنه قد فاتته الغزوة.

Edit with WPS Office

تاسعًا: صدق كعب بن مالك

عندما عاد النبي ﷺ إلى المدينة، جاء المتخلفون يقدمون الأعذار.

أما كعب رضي الله عنه فاختار الصدق.

وقال للنبي ﷺ إنه لم يكن لديه عذر حقيقي.

فصدق مع رسول الله ﷺ.

وكان هذا الصدق سببًا في ابتلائه مدة، لكنه كان في النهاية سببًا في قبول توبته.

Edit with WPS Office

عاشرًا: الهجر

أمر النبي ﷺ المسلمين أن يهجروا كعبًا وصاحبيه مدة.

وكان ذلك امتحانًا شديدًا.

فلم يكن الأمر سهلًا.

لكن كعبًا ثبت.

ولم يحاول اختلاق كذبة جديدة.

الحادي عشر: خمسون ليلة

Edit with WPS Office

استمر البلاء خمسين ليلة.

وكان كعب يشعر بثقل شديد.

حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت.

ثم جاء الفرج من الله.

قال تعالى:

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118].

الثاني عشر: الصدق ينجي

Edit with WPS Office

كانت قصة كعب درسًا خالدًا.

لقد كان بإمكانه أن يكذب.

وكان بإمكانه أن يخترع عذرًا مقبولًا.

لكنه اختار الحقيقة.

فكانت النتيجة مؤلمة في البداية، لكنها كانت عظيمة في النهاية.

وهكذا تعلمنا السيرة:

قد يكون الصدق صعبًا في لحظته، لكنه أكثر أمانًا في عاقبته.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: وصول المسلمين إلى تبوك

خرج المسلمون ووصلوا إلى تبوك.

لكنهم لم يجدوا جيشًا رومانيًا في انتظارهم بالصورة التي كانت متوقعة.

وهذا يوضح أن الهدف من الحملة لم يكن بالضرورة الدخول في معركة عسكرية.

بل كان إظهار قوة المسلمين، وتأمين الحدود الشمالية، والتعامل مع التهديد المحتمل.

الرابع عشر: القوة الرادعة

أحيانًا يكون أفضل انتصار هو أن تمنع الحرب قبل أن تبدأ.

Edit with WPS Office

فعندما علمت القوى الأخرى أن المسلمين قادرون على الوصول إلى هذه المنطقة رغم الظروف الصعبة، أصبح من الصعب التعامل معهم باعتبارهم قوة صغيرة.

وكان وصول المسلمين إلى تبوك رسالة واضحة عن قوة الدولة الإسلامية.

الخامس عشر: المعاهدات في تبوك

عقد النبي ﷺ عددًا من الاتفاقات مع بعض زعماء المناطق القريبة.

وكان ذلك من وسائل تنظيم العلاقة السياسية.

فلم يكن الهدف دائمًا هو الحرب.

Edit with WPS Office

بل كانت المعاهدات والسلام والاتفاقات جزءًا من سياسة الدولة الإسلامية.

السادس عشر: العودة إلى المدينة

بعد أن انتهت المهمة، عاد النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

وعادت القافلة دون معركة كبيرة.

وقد يبدو للبعض أن عدم وقوع معركة يعني عدم تحقيق شيء.

لكن الواقع أن الغزوة حققت أهدافًا مهمة:

إظهار قوة المسلمين.

Edit with WPS Office

تأمين الحدود.

إقامة علاقات سياسية.

كشف المنافقين.

وتربية المجتمع على الصدق والتضحية.

السابع عشر: تبوك وكشف المنافقين

كانت تبوك من أكثر الغزوات التي كشفت حقيقة المنافقين.

فالظروف كانت صعبة جدًا.

ولهذا ظهرت الأعذار.

Edit with WPS Office

وكان بعض المنافقين يثبطون الناس.

قال تعالى:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ [التوبة: 42].

الثامن عشر: تبوك واختبار النية

العمل السهل قد يشارك فيه كثير من الناس.

لكن العمل الشاق يكشف حقيقة النوايا.

ولهذا كانت تبوك اختبارًا:

Edit with WPS Office

من يخرج لله؟

ومن يخرج للمصلحة؟

ومن يبحث عن العذر؟

ومن يثبت عندما تصبح التضحية حقيقية؟

التاسع عشر: درس في تحمل المسؤولية

قصة كعب بن مالك تعلمنا أن الإنسان يجب أن يتحمل نتيجة أخطائه.

فكعب لم يقل:

Edit with WPS Office

الآخرون السبب.

ولم يختلق عذرًا.

بل اعترف بخطئه.

وكان اعترافه بداية طريق التوبة.

وهذا درس مهم في الحياة:

الاعتراف بالخطأ ليس هزيمة، بل بداية الإصلاح.

العشرون: النبي ﷺ والصدق

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يريد بناء مجتمع يقوم على الصدق.

ولهذا لم يقبل الأعذار الكاذبة.

وكان يميز بين من تخلف بعذر حقيقي، ومن تخلف بلا عذر.

فالدولة والمجتمع لا يمكن أن يبنيا على الكذب.

الحادي والعشرون: درس في التربية

تربية الإنسان لا تعني دائمًا أن نعاقبه.

بل تعني أن نساعده على فهم خطئه وتصحيحه.

وهذا ما ظهر في قصة كعب.

Edit with WPS Office

فالهجر لم يكن انتقامًا.

بل كان تربية وتقويمًا.

وعندما تاب، عاد إلى المجتمع أكثر صدقًا وثباتًا.

الثاني والعشرون: الصبر على البلاء

قضى كعب خمسين ليلة في اختبار شديد.

ومع ذلك لم يستسلم.

ولم يهرب إلى الكذب.

Edit with WPS Office

ولم يبحث عن مخرج غير مشروع.

وكان يعلم أن الله يعلم الحقيقة.

وهذه منزلة عظيمة من الصبر.

الثالث والعشرون: توبة الله على الثلاثة

لم تكن نهاية القصة عقوبة.

بل كانت توبة ورحمة.

قال تعالى:

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾.

Edit with WPS Office

وهذا من أعظم أبواب الأمل.

فالإنسان قد يخطئ.

وقد يتأخر.

وقد يقع في التقصير.

لكن باب التوبة مفتوح.

الرابع والعشرون: تبوك في حياة المسلم

قد تكون تبوك بالنسبة للمسلم درسًا في مواجهة الكسل.

Edit with WPS Office

فالإنسان أحيانًا يعرف ما يجب عليه فعله، لكنه يؤجل.

يقول:

غدًا.

ثم غدًا.

ثم بعد ذلك.

حتى تفوته الفرصة.

ولهذا فإن من دروس تبوك:

لا تؤجل الخير عندما تستطيع فعله اليوم.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: لا تجعل الراحة هدفًا

كانت تبوك في حر شديد.

وكان السفر شاقًا.

ومع ذلك خرج المؤمنون.

وهذا لا يعني أن الإسلام يرفض الراحة.

بل يعني أن هناك أوقاتًا تحتاج إلى التضحية.

فمن أراد النجاح لا بد أن يعرف متى يضحي براحة مؤقتة من أجل هدف أكبر.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: قوة المجتمع في تضحيات أفراده

لم يكن جيش تبوك قائمًا على جهود شخص واحد.

بل شارك فيه:

الغني بماله.

والقادر بجهده.

والفقير بنيته الصادقة.

وهكذا يبنى المجتمع القوي عندما يشعر كل فرد أن له دورًا.

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: النبي ﷺ في نهاية المرحلة المدنية

كانت تبوك من آخر الغزوات الكبرى في حياة النبي ﷺ.

وبعدها بدأت الوفود تأتي إلى المدينة.

وأصبح الإسلام ينتشر في أنحاء الجزيرة العربية.

وأصبحت الدولة الإسلامية أكثر قوة واستقرارًا.

وكانت المرحلة القادمة مرحلة الوفود، ثم حجة الوداع.

وهناك سيقف رسول الله ﷺ أمام عشرات الآلاف من المسلمين في أعظم مشهد من مشاهد حياته.

Edit with WPS Office

الثامن والعشرون: من تبوك إلى حجة الوداع

بعد سنوات طويلة من الدعوة والجهاد والصبر، اقتربت رحلة النبي ﷺ من نهايتها.

فقد بلغ الرسالة.

وأدى الأمانة.

ونصح الأمة.

وجاهد في الله حق جهاده.

وبعد أن أصبحت الجزيرة العربية تستقبل الإسلام، جاء الوقت الذي يجتمع فيه المسلمون حول رسول الله ﷺ في مكة.

وكانت حجة الوداع آخر حج للنبي ﷺ.

Edit with WPS Office

وفيها سيلقي خطبته العظيمة.

وسيضع أمام الأمة مبادئ كبرى في:

حرمة الدماء.

وحرمة الأموال.

وحقوق النساء.

والمساواة.

والتمسك بكتاب الله.

وأداء الأمانة.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كانت غزوة تبوك من أعظم الاختبارات في السيرة.

لم تكن المعركة الكبرى هي الهدف الأساسي، وإنما كان الاختبار الحقيقي في الطريق:

من سيخرج؟

ومن سيتخلف؟

ومن سيصدق؟

ومن سيكذب؟

Edit with WPS Office

ومن سيضحي؟

ومن سيبحث عن الراحة؟

وقد كشفت تبوك حقيقة النفوس.

وكانت قصة كعب بن مالك رضي الله عنه من أعظم قصص الصدق والتوبة.

لقد أخطأ.

لكنه لم يكذب.

فابتُلي.

وصبر.

Edit with WPS Office

ثم تاب الله عليه.

وهكذا تعلمنا من تبوك أن:

الصدق قد يكلف الإنسان ثمنًا في البداية، لكنه يمنحه النجاة في النهاية.

وتعلمنا أن:

التوبة ليست للملائكة، وإنما للإنسان الذي يخطئ ثم يرجع إلى الله.

وتعلمنا أن:

القيادة النبوية كانت تجمع بين الحزم والرحمة، وبين التربية والعدل.

وبعد تبوك بدأت الجزيرة العربية تدخل مرحلة جديدة.

Edit with WPS Office

بدأت الوفود تأتي إلى المدينة.

وأصبح الناس يدخلون في دين الله أفواجًا.

وبعد سنوات من الدعوة والجهاد والهجرة، سيقف رسول الله ﷺ في مكة في حجة الوداع، ليعلن أمام الأمة اكتمال الرسالة وتمام النعمة.

وهناك ستقترب السيرة من أعظم لحظاتها وأكثرها تأثيرًا:

حجة الوداع... والخطاب الأخير للأمة.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الرابع عشر

حجة الوداع: الرسالة التي اكتملت والوصية التي بقيت

تمهيد

بعد أكثر من عشرين عامًا من الدعوة إلى الله، وبعد الهجرة والجهاد والصبر والابتلاء، وبعد أن انتشر الإسلام في الجزيرة العربية، جاء الوقت الذي يجتمع فيه المسلمون حول رسول الله ﷺ في مكة.

كانت هذه الحجة هي حجة الوداع؛ لأنها كانت آخر حجة حجها النبي ﷺ.

خرج رسول الله ﷺ من المدينة في أواخر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة، وخرج معه خلق كثير من المسلمين.

وكان هذا الاجتماع من أعظم الاجتماعات في تاريخ الإسلام.

Edit with WPS Office

لم يكن المسلمون يعلمون أن هذا اللقاء سيكون آخر اجتماع كبير لهم مع رسول الله ﷺ.

لكن النبي ﷺ كان يلمح إلى قرب الرحيل، ويوجه الأمة إلى ما تحتاج إليه بعده.

أولًا: إعلان النبي ﷺ عن الحج

أعلن النبي ﷺ للناس أنه سيحج.

فاجتمع المسلمون من أنحاء الجزيرة العربية.

وكان كثير منهم يريدون أن يحجوا مع رسول الله ﷺ، ويتعلموا منه مناسك الحج.

Edit with WPS Office

وكانت هذه فرصة عظيمة؛ لأن النبي ﷺ سيطبق أمامهم شعائر الحج، ويبين لهم ما يفعلون.

ثانيًا: خروج النبي ﷺ من المدينة

خرج النبي ﷺ من المدينة ومعه عدد كبير من الصحابة.

وكان هذا المشهد مختلفًا عن كل ما سبقه.

فقد أصبح الإسلام منتشرًا، وأصبحت المدينة مركز الدولة الإسلا مية.

ولم يعد المسلمون قلة مطاردة كما كانوا في مكة.

لقد تغيرت الصورة بالكامل.

Edit with WPS Office

ثالثًا: الإحرام والتلبية

أحرم النبي ﷺ ولبى.

وكان الصحابة يلبون معه.

وأصبحت مكة تستقبل أعدادًا كبيرة من المسلمين القادمين من مناطق مختلفة.

وكان المشهد تعبيرًا عن وحدة الأمة.

لم يكن الناس يجتمعون على أساس القبيلة أو اللون أو النسب.

بل يجتمعون على التوحيد.

Edit with WPS Office

رابعًا: دخول مكة

دخل النبي ﷺ مكة، وأدى مناسك الحج.

وكانت مكة قد تغيرت تمامًا منذ فتحها.

فالأصنام أزيلت.

والكعبة أصبحت مركزًا للتوحيد.

والناس الذين كانوا بالأمس يحاربون الإسلام أصبحوا يؤدون الصلاة والطواف مع المسلمين.

وهذا من أعظم التحولات في التاريخ.

Edit with WPS Office

خامسًا: تعليم الناس المناسك

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه مناسك الحج عمليًا.

وقال:

«خذوا عني مناسككم».

فكان المسلمون يتعلمون منه:

الطواف.

والسعي.

Edit with WPS Office

والوقوف بعرفة.

والمبيت بمزدلفة.

ورمي الجمار.

والتحلل.

وسائر أعمال الحج.

وهذا يدل على أهمية التعليم العملي، فالنبي ﷺ لم يكن يكتفي بالكلام، بل كان يطبق أمام الناس.

سادسًا: يوم عرفة

Edit with WPS Office

كان يوم عرفة من أعظم أيام الحج.

وقف النبي ﷺ بعرفة، واجتمع حوله جمع كبير من المسلمين.

وكان هذا اليوم هو المناسبة التي ألقى فيها خطبته المشهورة.

وقف النبي ﷺ أمام الأمة بعد سنوات طويلة من الدعوة.

وكانت كلماته تحمل مبادئ عظيمة ستبقى للأجيال.

سابعًا: خطبة الوداع

كانت خطبة الوداع من أشهر خطب النبي ﷺ.

وفيها أكد مجموعة من المبادئ الكبرى التي يحتاج إليها المجتمع.

Edit with WPS Office

ومن أهمها:

حرمة الدماء.

وحرمة الأموال.

وحرمة الأعراض.

وإبطال عادات الجاهلية الظالمة.

والوصية بالنساء.

والتمسك بالدين.

وأداء الأمانة.

Edit with WPS Office

ثامنًا: حرمة الدماء

أكد النبي ﷺ حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

وهذا مبدأ أساسي في بناء المجتمع.

فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بأمان إذا أصبح دمه رخيصًا، وماله مستباحًا، وكرامته مهدرة.

ولهذا جعل الإسلام حماية الإنسان من أهم مقاصده.

تاسعًا: حرمة الأموال

Edit with WPS Office

أكد النبي ﷺ كذلك حرمة أموال الناس.

فلا يجوز الاعتداء على مال الإنسان بغير حق.

ولا يجوز الظلم.

ولا الخيانة.

ولا الغش.

ولا أكل أموال الناس بالباطل.

وهذه المبادئ ليست مجرد نصائح أخلاقية، بل أساس لبناء مجتمع مستقر.

Edit with WPS Office

عاشرًا: حرمة الأعراض

أكد النبي ﷺ حرمة أعراض الناس.

فكرامة الإنسان ليست شيئًا بسيطًا.

والاعتداء على الإنسان بالقول قد يكون شديد الأثر.

ولهذا جاء الإسلام بتحريم:

الغيبة.

والبهتان.

والقذف.

والسخرية.

Edit with WPS Office

والتنابز بالألقاب.

الحادي عشر: إبطال عادات الجاهلية

أعلن النبي ﷺ إبطال كثير من مظاهر الظلم التي كانت موجودة في الجاهلية.

ومنها الثأر الجاهلي.

والربا.

والتعصب القبلي.

وكان يريد أن ينقل المجتمع من قانون القوة والانتقام إلى قانون

Edit with WPS Office

العدل والحق.

الثاني عشر: الربا

أكد النبي ﷺ إبطال الربا.

وكان الربا من الأنظمة الاقتصادية التي أرهقت الناس في الجاهلية.

وقد جعل الإسلام التعامل المالي قائمًا على العدل.

فلا يجوز استغلال حاجة الإنسان لإلحاق الظلم به.

الثالث عشر: العصبية القبلية

Edit with WPS Office

كان المجتمع الجاهلي يقوم بدرجة كبيرة على العصبية.

فالقبيلة تقاتل من أجل القبيلة، سواء كانت على حق أو باطل.

وجاء الإسلام ليغير هذا المفهوم.

فلا قيمة للقبيلة إذا كانت سببًا في الظلم.

ولا قيمة للنسب إذا لم يصحبه عمل صالح.

الرابع عشر: حقوق النساء

أوصى النبي ﷺ بالنساء.

Edit with WPS Office

وبيّن أن لهن حقوقًا وعليهن واجبات.

وكان هذا جزءًا من إصلاح المجتمع.

فالأسرة هي أساس المجتمع، وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع.

ولهذا جاء الإسلام ليجعل العلاقة بين الزوجين قائمة على المعروف والرحمة.

قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

الخامس عشر: وحدة المسلمين

Edit with WPS Office

كان الحج مشهدًا عظيمًا لوحدة الأمة.

فالمسلمون جميعًا يقفون في مكان واحد.

ويلبسون لباسًا متقاربًا.

ويعبدون ربًا واحدًا.

ويتجهون إلى قبلة واحدة.

وهذا من أعظم صور المساواة والوحدة.

السادس عشر: المساواة بين الناس

أكد الإسلام أن التفاضل الحقيقي ليس باللون ولا بالنسب ولا بالمال.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

وهذا المبدأ كان تحولًا كبيرًا في مجتمع كانت العصبية القبلية فيه قوية.

السابع عشر: لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى

المعنى الذي قرره الإسلام هو أن أصل الناس واحد.

فالإنسان لا يختار نسبه ولا لونه ولا مكان ولادته.

لكن يستطيع أن يختار أخلاقه وأعماله.

Edit with WPS Office

ولهذا جعل الإسلام معيار التفاضل هو التقوى والعمل الصالح.

الثامن عشر: الاعتصام بالكتاب والسنة

أوصى النبي ﷺ أمته بالتمسك بدين الله.

وكان حريصًا على ألا تضيع الرسالة بعد وفاته.

فالمسلم يحتاج إلى مرجع ثابت يرجع إليه.

والقرآن هو كتاب الله الذي أنزله على رسوله ﷺ.

والسنة تبين للناس كيفية فهم القرآن وتطبيقه.

Edit with WPS Office

التاسع عشر: أداء الأمانة

الأمانة من أعظم الأخلاق التي أكدها الإسلام.

والأمانة ليست فقط حفظ المال.

بل تشمل:

الأمانة في العمل.

الأمانة في العلم.

الأمانة في الكلام.

الأمانة في المسؤولية.

Edit with WPS Office

الأمانة في الحكم.

الأمانة في الأسرة.

وكل إنسان مسؤول عن الأمانة التي حملها.

العشرون: تبليغ الرسالة

كان النبي ﷺ يعلم أنه أدى الأمانة.

ولهذا سأل الناس أمام الله:

هل بلغت؟

Edit with WPS Office

فشهد الصحابة له بأنه بلغ.

وكان هذا من أعظم المواقف.

فقد أدى النبي ﷺ الرسالة كاملة.

ولم يخف شيئًا مما أمره الله بتبليغه.

الحادي والعشرون: شهادة الصحابة

شهد الصحابة للنبي ﷺ بأنه بلغ الرسالة.

ثم رفع النبي ﷺ يده إلى السماء وقال:

«اللهم اشهد».

Edit with WPS Office

وكان هذا المشهد من أعظم مشاهد حجة الوداع.

فقد شهدت الأمة لرسولها بأنه أدى الأمانة.

الثاني والعشرون: نزول آية إكمال الدين

في يوم عرفة نزل قول الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وكان نزول هذه الآية إعلانًا عظيمًا عن اكتمال الدين وتمام النعمة.

وقد كان ذلك من أعظم اللحظات في تاريخ الرسالة.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: اكتمال المهمة

بعد سنوات طويلة من الدعوة، اكتملت الرسالة.

فالنبي ﷺ بدأ وحيدًا تقريبًا في مكة.

ثم آمن به أفراد.

ثم تكونت الجماعة.

ثم قامت الدولة.

ثم انتشر الإسلام.

Edit with WPS Office

ثم حج النبي ﷺ والمسلمون حوله.

وهكذا اكتملت الرحلة.

الرابع والعشرون: حجة الوداع مدرسة للأمة

لم تكن حجة الوداع مجرد شعائر حج.

بل كانت مدرسة كاملة في:

العقيدة.

والعبادة.

والأخلاق.

Edit with WPS Office

والحقوق.

والعدل.

والأسرة.

والاقتصاد.

والمجتمع.

والمسؤولية.

الخامس والعشرون: النبي ﷺ مع أمته

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ شديد الرحمة بأمته.

وكان يخشى عليها من الانحراف.

وكان يريد أن يتركها على الطريق الواضح.

وكان يدعو الله لها.

ويعلمها.

وينصحها.

ويحذرها.

وهذا يوضح عمق محبته ﷺ لأمته.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: قرب الرحيل

كانت حجة الوداع تحمل إشارات إلى قرب نهاية حياة النبي ﷺ.

وكان بعض الصحابة يشعرون بذلك.

أما النبي ﷺ فكان يستعد للقاء ربه.

وقد أدى الرسالة كاملة.

وكانت حياته كلها منذ البعثة وحتى الوفاة سلسلة متصلة من الدعوة والتربية والرحمة.

السابع والعشرون: من مكة إلى المدينة

Edit with WPS Office

بعد انتهاء الحج عاد النبي ﷺ إلى المدينة.

وكانت الأمة قد أصبحت قوية وواسعة الانتشار.

لكن الأيام القادمة ستكون مختلفة.

فقد بدأ النبي ﷺ يمرض.

وبدأت مرحلة النهاية.

وسيظهر فيها صبره ﷺ، وعبادته، وحرصه على أمته حتى آخر لحظات حياته.

الثامن والعشرون: ماذا ترك رسول الله ﷺ؟

Edit with WPS Office

لم يترك النبي ﷺ لأمته قصرًا ولا مالًا.

بل ترك:

قرآنًا يتلى.

وسنة تهدي.

وعقيدة توحد.

وأخلاقًا ترفع الإنسان.

وأمة تحمل الرسالة.

وهذه هي أعظم تركة يمكن أن يتركها قائد لأتباعه.

Edit with WPS Office

التاسع والعشرون: الدروس المستفادة من حجة الوداع

1. حرمة الإنسان

دم الإنسان وماله وعرضه ليست أمورًا مستباحة.

2. العدل

لا يستقيم المجتمع إلا بالعدل.

3. المساواة

الناس سواء في أصل الإنسانية، والتفاضل بالتقوى والعمل الصالح.

4. حفظ الأسرة

Edit with WPS Office

الأسرة تحتاج إلى الرحمة والحقوق المتبادلة.

5. الوفاء

الأمانة والعهد من أساسيات الإيمان.

6. ترك الظلم

لا يجوز أن يبنى المجتمع على الثأر والانتقام.

7. التمسك بالدين

الإنسان يحتاج إلى مرجع ثابت في حياته.

Edit with WPS Office

الثلاثون: رسالة إلى الأجيال

إذا كان النبي ﷺ قد ترك لنا شيئًا نتعلمه من حجة الوداع، فهو أن بناء الأمة لا يكون بالقوة وحدها.

بل يحتاج إلى:

الإيمان.

والعلم.

والعدل.

والرحمة.

والأخلاق.

Edit with WPS Office

وحفظ الحقوق.

والتعاون.

والمسؤولية.

فالرسالة ليست مجرد شعارات.

بل سلوك وحياة.

خاتمة الفصل

كانت حجة الوداع خاتمة عظيمة لمرحلة الرسالة.

وقف النبي ﷺ أمام أعداد ضخمة من المسلمين.

Edit with WPS Office

وبلغهم ما أراد الله أن يبلغه.

وأكد حرمة الدماء والأموال والأعراض.

وأوصى بالنساء.

وأبطل الربا والثأر الجاهلي.

وأكد وحدة المسلمين.

وأتم تعليمهم مناسك الحج.

ثم نزل قول الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

Edit with WPS Office

كانت الرسالة قد اكتملت.

لكن حياة رسول الله ﷺ لم تنته بعد.

عاد إلى المدينة.

وبدأت تظهر عليه علامات المرض.

وكان الصحابة يشعرون أن شيئًا عظيمًا يقترب.

وفي الفصل القادم سنعيش مع مرض رسول الله ﷺ وأيامه الأخيرة ، وكيف ظل ﷺ حتى آخر لحظاته حريصًا على الصلاة، وعلى أمته، وعلى أن يلقى الله وقد أدى الأمانة.

لقد اكتملت الرسالة، وبقيت السيرة شاهدًا على أعظم حياة عرفتها البشرية.

Edit with WPS Office

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الخامس عشر

مرض رسول الله ﷺ ووفاته: الرحيل الذي أبكى المدينة

تمهيد

بعد أن أتم رسول الله ﷺ حجة الوداع، عاد إلى المدينة المنورة.

كانت الرسالة قد اكتملت، وبلغ النبي ﷺ ما أُنزل إليه من ربه، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

لكن حياة الإنسان مهما طالت فإن لها نهاية.

وبدأت تظهر على النبي ﷺ علامات المرض.

وكان مرضه الأخير من أشد الأحداث على أصحابه، فقد أحبوه حبًا عظيمًا، وعاشوا معه سنوات طويلة، وشهدوا معه مراحل الدعوة كلها.

Edit with WPS Office

كانوا يرونه قائدًا ومعلمًا ونبيًا ورحمةً لهم.

ثم جاء اليوم الذي سيغيب فيه جسده عن الدنيا، وتبقى رسالته وسنته وهديه في الأمة.

أولًا: بداية المرض

بدأ مرض النبي ﷺ في أواخر حياته، واشتد عليه المرض.

وكان ﷺ رغم شدة ألمه حريصًا على الصلاة وعلى أمته.

وكان يوصي أصحابه، ويذكرهم بما يجب عليهم.

وهذا يوضح أن اهتمامه بالأمة لم يكن مرتبطًا بصحته أو قوته.

Edit with WPS Office

بل ظل يحمل هم الرسالة حتى آخر أيامه.

ثانيًا: شدة الحمى

اشتد المرض على النبي ﷺ، وارتفعت حرارته.

وكان ﷺ يتحمل الألم بصبر.

وكان الصحابة يرون عليه آثار المرض، فيحزنون لذلك حزنًا شديدًا.

وكان مرضه اختبارًا للمحبين من أصحابه.

فمن أحب إنسانًا بصدق يتألم عندما يراه مريضًا.

Edit with WPS Office

ثالثًا: الاستمرار في الصلاة

كان النبي ﷺ شديد الحرص على الصلاة.

وكان يسأل عن الصلاة وأمر المسلمين بها.

ولما اشتد عليه المرض، أمر أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يصلي بالناس.

وكان هذا الأمر من أبرز العلامات على قرب انتقال القيادة في الصلاة إلى أبي بكر.

رابعًا: اختيار أبي بكر للصلاة

Edit with WPS Office

قال النبي ﷺ:

«مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس».

فذهب أبو بكر رضي الله عنه وصلى بالناس.

وكان أبو بكر شديد التأثر.

فكان إذا وقف للصلاة بالنبي ﷺ يتذكر مكانة الرسول، ويشعر بثقل الموقف.

خامسًا: محاولة النبي ﷺ الخروج للصلاة

اشتد المرض على النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

ومع ذلك حاول الخروج إلى الصلاة.

وقد كان يتحرك بمساعدة رجلين.

فلما رآه الصحابة فرحوا فرحًا شديدًا.

وكان أبو بكر يريد أن يتأخر حتى يتقدم النبي ﷺ.

لكن النبي ﷺ أشار إليه أن يستمر في الصلاة.

سادسًا: آخر صلاة يصليها النبي ﷺ

في مرضه الأخير خرج النبي ﷺ إلى الصلاة، فوجد أبا بكر يصلي بـ
الناس.

Edit with WPS Office

فأراد أبو بكر أن يتأخر.

فأشار إليه النبي ﷺ أن يبقى.

وصلى النبي ﷺ خلف أبي بكر.

وكان هذا المشهد من آخر المشاهد التي رآها الصحابة للنبي ﷺ في الصلاة.

سابعًا: غرفة عائشة رضي الله عنها

اشتد المرض على النبي ﷺ.

واستأذن زوجاته أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها.

Edit with WPS Office

فأذن له.

فانتقل إلى حجرتها.

وهناك كانت آخر أيامه.

وكانت عائشة رضي الله عنها ترعاه وتعتني به.

ثامنًا: حرصه على الأمة

حتى وهو في مرضه، كان النبي ﷺ يفكر في أمته.

وكان يحذرها من الفتن.

Edit with WPS Office

وكان يوصي بالصلاة.

وكان حريصًا على أن تظل الأمة متمسكة بدينها.

وهذا يبين أن قلبه ﷺ كان متعلقًا بأمته حتى آخر لحظة.

تاسعًا: آخر الأيام

اشتد المرض على النبي ﷺ.

وكانت المدينة تعيش حالة من القلق.

فالصحابة كانوا يرون المرض يشتد على رسول الله ﷺ.

وكانوا يأملون أن يتحسن.

Edit with WPS Office

لكن إرادة الله كانت أن يقترب موعد الرحيل.

عاشرًا: صباح الاثنين

جاء صباح يوم الاثنين.

وكان النبي ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها.

وفي ذلك الصباح كان أبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس.

وكشف النبي ﷺ ستر حجرته، فنظر إلى أصحابه وهم يصلون.

وكانت ابتسامته ﷺ من آخر المشاهد التي رآها الصحابة منه.

Edit with WPS Office

ثم أرخى الستر.

وكان ذلك قبل وفاته بوقت قصير.

الحادي عشر: آخر لحظاته ﷺ

اشتد المرض على النبي ﷺ.

وكان عند عائشة رضي الله عنها.

وكان رأسه على صدرها أو بين سحرها ونحرها.

وكان يذكر الله.

وكانت آخر كلماته من الدنيا:

Edit with WPS Office

«اللّهم في الرفيق الأعلى».

واختار النبي ﷺ لقاء ربه.

الثاني عشر: وفاة رسول الله ﷺ

توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين، في الثاني عشر من ربيع الأول سنة 11 هـ على المشهور.

وكان عمره ﷺ ثلاثًا وستين سنة.

وكانت وفاته أعظم مصيبة نزلت بالصحابة.

فقد فقدوا نبيهم ومعلمهم وقائدهم.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: صدمة المدينة

عندما انتشر خبر الوفاة، لم يصدق بعض الصحابة ما حدث.

وكانت الصدمة عظيمة.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من شدة حزنه يقول كلامًا يدل على عدم تصديقه لوفاة النبي ﷺ.

كان يحب رسول الله ﷺ حبًا عظيمًا.

وكانت لحظة الرحيل فوق احتمال النفس البشرية.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: موقف أبي بكر الصديق

دخل أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ.

وكشف عن وجهه وقبله.

ثم خرج إلى الناس.

وكان الصحابة في حالة اضطراب شديد.

فخاطبهم أبو بكر بكلمات خالدة.

وقال:

«من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

Edit with WPS Office

ثم تلا قول الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144].

الخامس عشر: أثر كلمات أبي بكر

عندما سمع الصحابة الآية، أدركوا الحقيقة.

لقد مات رسول الله ﷺ.

لم تكن هذه الحقيقة سهلة.

لكن الإسلام كان أكبر من حياة شخص واحد.

Edit with WPS Office

فالنبي ﷺ بشر، وقد كتب الله عليه الموت.

أما الدين فباقٍ.

والقرآن باقٍ.

والرسالة باقية.

السادس عشر: أعظم درس في التوحيد

كان موت النبي ﷺ نفسه دليلًا على أن العبادة لله وحده.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30].

فالأنبياء يموتون، والخلق جميعًا يموتون، والله سبحانه وتعالى حي لا يموت.

وهذا هو معنى التوحيد.

السابع عشر: حزن الصحابة

بكى الصحابة بكاء شديدًا.

وكانت المدينة في حالة حزن لم تشهد مثلها من قبل.

فقد كان النبي ﷺ بينهم:

Edit with WPS Office

يعلمهم.

ويصلي بهم.

ويحكم بينهم.

ويواسيهم.

ويعيش معهم.

وفجأة غاب عنهم جسده.

الثامن عشر: حزن فاطمة رضي الله عنها

كانت فاطمة رضي الله عنها شديدة الحزن على أبيها.

Edit with WPS Office

وكانت وفاته من أصعب الأحداث عليها.

وكانت محبتها له عظيمة.

وقد بقيت ذكراه في قلبها حتى وفاتها.

التاسع عشر: موقف الأنصار

كان الأنصار من أكثر الناس ارتباطًا بالنبي ﷺ.

فقد نصروه وآووه، وفتحوا له بيوتهم وقلوبهم.

وبعد وفاته ظهرت قضية اختيار الخليفة.

Edit with WPS Office

واجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة.

وكان الموقف يحتاج إلى حكمة عظيمة حتى لا تحدث فرقة بين المسلمين.

العشرون: بيعة أبي بكر

بعد التشاور والمناقشة، تمت بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكان أبو بكر من أقرب أصحاب النبي ﷺ إليه.

وقد اختاره المسلمون لقيادة الأمة بعده.

وكان انتقال القيادة أمرًا بالغ الصعوبة.

Edit with WPS Office

لكن الصحابة استطاعوا تجاوز الأزمة والمحافظة على وحدة المسلمين.

الحادي والعشرون: دفن رسول الله ﷺ

غُسل النبي ﷺ وكُفن.

ثم صلى عليه المسلمون.

ودُفن في المكان الذي توفي فيه، في حجرة عائشة رضي الله عنها.

وهكذا انتهت الحياة الدنيوية لأعظم رسول، وبدأت الأمة مرحلة جديدة.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: لم تنتهِ الرسالة بوفاته

كان موت النبي ﷺ نهاية حياته الدنيوية، لكنه لم يكن نهاية رسالته.

فالقرآن بقي.

والسنة بقيت.

والصحابة حملوا العلم.

ثم حمله العلماء من بعدهم.

ثم انتشر الإسلام في أرجاء الأرض.

وهكذا استمرت الرسالة.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: ماذا ترك رسول الله ﷺ؟

ترك ﷺ أعظم تراث عرفته البشرية:

كتاب الله.

سنته.

أخلاقه.

سيرته.

تعاليمه.

أصحابه الذين تربوا على يديه.

Edit with WPS Office

ترك أمة تعرف ربها، وتعرف طريقها، وتملك منهجًا للحياة.

الرابع والعشرون: آخر وصية بالصلاة

كانت الصلاة من أعظم ما اهتم به النبي ﷺ في مرضه.

وكان يوصي بها.

وهذا يدل على مكانتها.

فالصلاة ليست مجرد عبادة فردية، وإنما صلة بين الإنسان وربه، ومدرسة يومية للتقوى والانضباط.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: الرحمة حتى النهاية

حتى في آخر أيامه، كان النبي ﷺ رحيمًا.

لم يكن همه نفسه.

بل كان همه أمته.

وهذه من أعظم صفات النبوة.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: درس في التعامل مع الموت

علّمنا النبي ﷺ أن الموت حق.

وأن الإنسان مهما بلغ من المكانة لا يخلد في الدنيا.

لكن الفرق بين إنسان عاش لنفسه، وإنسان عاش لرسالة.

الأول يموت وينتهي أثره سريعًا.

أما من عاش للحق والخير، فقد يستمر أثره بعد موته قرونًا.

ورسول الله ﷺ أعظم مثال على ذلك.

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: كيف بقي النبي ﷺ حيًا في قلوب أمته؟

بقي حيًا في:

صلوات المسلمين عليه.

اتباع سنته.

قراءة سيرته.

تعلم أخلاقه.

الاقتداء بهديه.

محبة الصحابة له.

وتعليم الأجيال سيرته.

Edit with WPS Office

فكلما عرف المسلم رسول الله ﷺ، ازداد حبًا له وحرصًا على اتباعه.

الثامن والعشرون: المحبة الحقيقية للنبي ﷺ

محبة النبي ﷺ ليست مجرد كلمات.

المحبة الحقيقية تعني:

اتباع سنته.

الاقتداء بأخلاقه.

الدفاع عن سنته بالعلم والحكمة.

Edit with WPS Office

الصلاة والسلام عليه.

تعظيم ما جاء به.

والعمل بما أمر به.

قال تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

التاسع والعشرون: رسالة النبي ﷺ للأجيال

لو أردنا تلخيص حياة رسول الله ﷺ في كلمات، لقلنا:

عبد الله.

Edit with WPS Office

ورسوله.

الداعي إلى التوحيد.

المعلم.

المربي.

القائد.

الرحيم.

الصابر.

العادل.

Edit with WPS Office

المتواضع.

الشجاع.

الوفي.

والرحمة المهداة للعالمين.

الثلاثون: رحل النبي ﷺ وبقي الأثر

رحل رسول الله ﷺ عن الدنيا، لكن أثره لم يرحل.

فمن المدينة خرجت الرسالة إلى العالم.

ومن القرآن تعلمت البشرية معاني التوحيد.

Edit with WPS Office

ومن السنة تعلم الناس الأخلاق والعبادة.

ومن سيرته تعلموا الصبر والرحمة والعدل.

ولهذا فإن أعظم طريقة للتعبير عن حب رسول الله ﷺ هي أن نقرأ سيرته، ونفهم سنته، ونعمل بهديه.

خاتمة الفصل

في صباح الاثنين رحل رسول الله ﷺ عن الدنيا.

رحل جسده، وبقيت رسالته.

بكى الصحابة.

Edit with WPS Office

وحزنت المدينة.

وشعر المسلمون أن جزءًا عظيمًا من حياتهم قد غاب.

لكن أبا بكر رضي الله عنه أعادهم إلى الحقيقة الكبرى:

محمد ﷺ رسول الله، وقد أدى رسالته، والله حي لا يموت.

وهكذا تعلمت الأمة أن محبتها للنبي ﷺ لا تعني أن تجعل العبادة له، وإنما أن تعبده لله، وتتبع رسوله.

لقد عاش رسول الله ﷺ حياة عظيمة.

ولد يتيم الأب.

وعاش صادقًا أمينًا.

Edit with WPS Office

ونزل عليه الوحي.

ودعا إلى التوحيد.

وصبر على الأذى.

وهاجر.

وبنى الدولة.

وعلم الأمة.

وجاهد.

وعفا.

Edit with WPS Office

ورحم.

وأدى الأمانة.

وبلغ الرسالة.

ثم لقي ربه.

وبقي السؤال أمام كل مسلم:

ماذا فعلنا بما تركه لنا رسول الله ﷺ؟

هل عرفناه؟

هل أحببناه؟

هل اتبعناه؟

Edit with WPS Office

هل جعلنا سيرته منهجًا في حياتنا؟

فإن أعظم وفاء له ﷺ أن نحيا بما جاء به، وأن نحمل الخير الذي حمله، وأن نكون امتدادًا للرحمة التي بعث بها.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل السادس عشر

شمائل رسول الله ﷺ وأخلاقه: محمد الإنسان القدوة

تمهيد

لم تكن عظمة رسول الله ﷺ في الأحداث التي عاشها فقط، ولا في الانتصارات التي تحققت على يديه، وإنما كانت عظمته الكبرى في شخصيته وأخلاقه.

فقد كان ﷺ نموذجًا متكاملًا للإنسان الصالح:

عبدًا لله.

ونبيًا.

ومعلمًا.

Edit with WPS Office

وزوجًا.

وأبًا.

وقائدًا.

وصاحبًا.

وحاكمًا.

وقاضيًا.

وكانت حياته كلها تطبيقًا عمليًا للقيم التي دعا إليها.

ولهذا قال الله تعالى في وصفه:

Edit with WPS Office

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

ولم يكن هذا الخلق العظيم صفة في جانب واحد من حياته، بل كان منهجًا شاملًا ظهر في عبادته، وأسرته، وتعاملاته، وقيادته، وفي علاقته بالفقراء والضعفاء، بل وحتى في تعامله مع خصومه.

أولًا: رحمته ﷺ

كانت الرحمة من أبرز صفات رسول الله ﷺ.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

فلم تكن رحمته مقتصرة على المسلمين فقط، بل كانت رحمته منهجًا في التعامل مع الخلق.

Edit with WPS Office

وكان ﷺ يرحم:

الصغير.

والكبير.

والفقير.

والضعيف.

واليتيم.

والمرأة.

وحتى الحيوان.

Edit with WPS Office

وكان يعلم أصحابه أن الرحمة ليست ضعفًا، بل قوة أخلاقية.

ثانيًا: رحمته بالأطفال

كان النبي ﷺ يحب الأطفال ويلاطفهم.

وكان يحمل بعضهم، ويمسح على رؤوسهم، ويسلم عليهم.

وكان إذا سمع بكاء الطفل في الصلاة خفف فيها مراعاة لأمه.

وهذا يدل على دقة إحساسه بمشاعر الآخرين.

فقد كان يرى الأمور من زاوية الإنسان الذي أمامه.

Edit with WPS Office

ثالثًا: رحمته باليتامى

كان النبي ﷺ شديد العناية باليتيم.

وقد جاء الإسلام ليحفظ حقوق اليتامى، ويحذر من ظلمهم.

قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9].

ولأن النبي ﷺ نفسه نشأ يتيمًا، كان يعرف معنى فقد الأب، ولذلك كانت رعايته للأيتام ذات مكانة عظيمة في دعوته.

رابعًا: تواضعه ﷺ

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ متواضعًا رغم علو منزلته.

كان يجلس مع أصحابه.

ويأكل معهم.

ويجيب دعوة الفقير.

ويزور المريض.

ويشارك أصحابه في أعمالهم.

ولم يكن يسمح لمكانته النبوية أن تجعله متكبرًا على الناس.

Edit with WPS Office

خامسًا: بساطته في الحياة

كانت حياته ﷺ بسيطة.

لم يكن همه جمع المال.

ولا بناء القصور.

ولا التوسع في متاع الدنيا.

وكان يمر عليه وقت لا يوقد في بيته نار للطعام.

وكانت الدنيا في يده، لكنها لم تكن في قلبه.

وهذا من أعظم دروس الزهد.

Edit with WPS Office

سادسًا: شجاعته ﷺ

كان النبي ﷺ من أشجع الناس.

وكان أصحابه إذا اشتد القتال احتموا به.

وفي المواقف الصعبة لم يكن يهرب.

وفي حنين ثبت عندما اضطرب بعض الجيش.

وكان يقول:

«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب».

فالشجاعة عنده لم تكن تهورًا، وإنما ثباتًا عند الخطر.

Edit with WPS Office

سابعًا: حلمه ﷺ

كان النبي ﷺ حليمًا.

وكان يتحمل إساءة بعض الناس.

ولم يكن سريع الغضب لنفسه.

وكان إذا غضب لله، كان غضبه مرتبطًا بالحق وليس بالانتقام الشخصي.

وهذا يفرق بين الغضب الذي تحركه الأنا، والغضب الذي تحركه المسؤولية الأخلاقية.

Edit with WPS Office

ثامنًا: عفوه ﷺ

من أعظم صور العفو في حياته ما حدث يوم فتح مكة.

كان قادرًا على الانتقام من الذين أخرجوه وحاربوه.

لكنه اختار العفو عن كثير منهم.

وكان ذلك سببًا في دخول أعداد كبيرة منهم في الإسلام.

فقد كان ﷺ ينظر إلى المستقبل، وليس إلى الماضي وحده.

تاسعًا: صدقه ﷺ

Edit with WPS Office

عرف الناس رسول الله ﷺ بالصدق قبل البعثة.

حتى إن أهل مكة لقبوه:

الصادق الأمين.

ولما أعلن دعوته، لم يستطيعوا أن يتهموه بالكذب في حياته السابقة.

وكان صدقه أساس دعوته.

فالرسالة العظيمة تحتاج إلى رسول عظيم الصدق.

عاشرًا: أمانته ﷺ

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ أمينًا حتى مع خصومه.

وكان أهل مكة يأتمنونه على أموالهم قبل الهجرة.

وعندما هاجر إلى المدينة، ترك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليرد الودائع إلى أصحابها.

وهذا موقف بالغ الدلالة.

فحتى الذين آذوه كانوا يأتمنونه على أموالهم.

الحادي عشر: وفاؤه ﷺ

كان النبي ﷺ وفيًا للعهود.

Edit with WPS Office

وكان يحترم الاتفاقات ما دام الطرف الآخر ملتزمًا بها.

وكان يذكر أصحابه بأهل الوفاء من الماضي.

ومن أعظم صور الوفاء عنده وفاؤه لأصحابه ولمن أحسن إليه.

الثاني عشر: عدله ﷺ

كان العدل عند النبي ﷺ فوق القرابة والمكانة.

فلم يكن القانون عنده يطبق على الضعيف ويُترك للقوي.

وكان يؤكد أن الناس متساوون أمام الحق.

وهذا أساس بناء المجتمع العادل.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: عدله بين الناس

لم يكن النبي ﷺ يميز بين الناس بسبب أموالهم.

فقد كان يجلس مع الفقراء كما يجلس مع الأغنياء.

ويستمع إلى الضعيف كما يستمع إلى القوي.

وكان معيار الكرامة هو التقوى والعمل الصالح.

الرابع عشر: معاملته للفقراء

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ قريبًا من الفقراء.

وكان يجلس معهم ويواسيهم.

وكان يحث أصحابه على الصدقة.

وكان يرى أن المجتمع المسلم لا يكتمل إذا عاش الغني في رفاهية وترك الفقير محتاجًا.

الخامس عشر: إكرام الضيف

كان ﷺ يكرم ضيوفه.

وكان إكرام الضيف من الأخلاق التي أكدها الإسلام.

Edit with WPS Office

ولم يكن ذلك مجرد مظهر اجتماعي، بل كان تعبيرًا عن الكرم وحسن التعامل.

السادس عشر: علاقته بأهل بيته

كان النبي ﷺ حسن المعاشرة لأهل بيته.

وكان يساعد في بعض أعمال المنزل.

وكان يمازح أهله.

وكان يستمع إليهم.

وكان يعامل زوجاته بالرحمة والاحترام.

Edit with WPS Office

وهذا مهم جدًا؛ لأن حقيقة أخلاق الإنسان تظهر داخل بيته.

السابع عشر: تعامله مع زوجاته

كان النبي ﷺ يعرف طبيعة المرأة ومشاعرها.

وكان يراعي الغيرة الطبيعية.

ولم يكن يعامل زوجاته بقسوة.

وكان يوجههن بالحكمة.

وكان بيته مدرسة في الرحمة والمودة.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: علاقته بأبنائه وأحفاده

كان ﷺ يحب أبناءه وأحفاده.

وكان يقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكان يحملهما.

وكان يظهر المحبة لهم أمام الناس.

وهذا يوضح أن إظهار العاطفة للأبناء ليس ضعفًا، بل تربية.

التاسع عشر: علاقته بأصحابه

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يعرف أصحابه واحدًا واحدًا.

وكان يعرف أحوالهم.

وكان يستمع إليهم.

ويشجعهم.

ويواسيهم.

ويعطي كل إنسان ما يناسبه.

فكان مع العالم بطريقة.

ومع الجاهل بطريقة.

ومع الشاب بطريقة.

Edit with WPS Office

ومع الكبير بطريقة.

العشرون: حسن الاستماع

كان النبي ﷺ يستمع إلى المتحدث ولا يقاطعه بلا حاجة.

وكان يعطي الناس اهتمامه.

وهذه صفة مهمة جدًا في القيادة.

فالناس لا يحتاجون دائمًا إلى من يتحدث إليهم، بل يحتاجون أحيانًا إلى من يستمع إليهم.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: الابتسامة

كان النبي ﷺ كثير التبسم.

وكانت ابتسامته صدقة معنوية.

وكان يزرع الطمأنينة في نفوس الناس.

وهذا يعلمنا أن التعامل الحسن لا يحتاج إلى أموال.

فابتسامة صادقة قد تغير يوم إنسان كامل.

الثاني والعشرون: مزاحه ﷺ

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يمزح، لكنه لم يكن يقول إلا الحق.

وكان مزاحه لطيفًا بعيدًا عن السخرية والإهانة.

وهذا يوضح أن الإسلام لا يمنع الفرح.

ولكنه يمنع أن يتحول المزاح إلى كذب أو إيذاء.

الثالث والعشرون: رحمته بالحيوان

من أخلاق النبي ﷺ الرحمة بالحيوان.

وكان ينهى عن تعذيبه.

وعلم أصحابه أن الحيوان مخلوق من خلق الله.

Edit with WPS Office

فلا يجوز تعذيبه أو إهماله.

وهذا جزء من شمول الرحمة في الإسلام.

الرابع والعشرون: زهده ﷺ

كان النبي ﷺ زاهدًا في الدنيا.

ولم يكن يرفض نعم الله، لكنه لم يجعل الدنيا غايته.

كان يأكل ما تيسر.

ويلبس ما تيسر.

Edit with WPS Office

ويعيش حياة بسيطة.

وكان قلبه متعلقًا بالآخرة.

الخامس والعشرون: عبادته ﷺ

كان ﷺ كثير العبادة.

يقوم الليل حتى تتفطر قدماه.

ويذكر الله كثيرًا.

ويستغفره.

ويدعوه.

Edit with WPS Office

ويصوم.

وكانت عبادته تعبيرًا عن أعظم معنى في حياته:

أنه عبد لله قبل أن يكون رسولًا للناس.

السادس والعشرون: خوفه من الله

كان النبي ﷺ أعلم الناس بالله.

ومع ذلك كان شديد الخشية منه.

وكان يدعو الله ويستغفره.

Edit with WPS Office

وهذا يعلمنا أن العلم بالله يزيد الإنسان تواضعًا وخشية، لا غرورًا.

السابع والعشرون: صبره ﷺ

مرت على النبي ﷺ ابتلاءات كثيرة:

فقد أباه قبل مولده.

ثم فقد أمه.

ثم فقد جده.

ثم عمه.

ثم زوجته خديجة رضي الله عنها.

Edit with WPS Office

وتعرض للأذى في مكة.

وأُخرج من وطنه.

وخاض الحروب.

وفقد عددًا من أصحابه.

ومع ذلك لم يتوقف عن الدعوة.

الثامن والعشرون: ثباته ﷺ

كان ثابتًا في دعوته.

Edit with WPS Office

لم تغيره السخرية.

ولم تغيره الحروب.

ولم يغيره النصر.

ولم تغيره كثرة الأتباع.

ظل ثابتًا على عبادة الله والدعوة إليه.

التاسع والعشرون: رحمته حتى مع المخالف

كان النبي ﷺ يأمل هداية من خالفه.

ومن أشهر الأمثلة موقفه مع أهل الطائف.

Edit with WPS Office

فبعد أن آذوه لم يدعُ عليهم بالهلاك، بل كان يرجو أن يخرج من أصلا بهم من يعبد الله.

وهذا مستوى عظيم من الرحمة.

الثلاثون: أخلاقه كانت قرآنًا

قالت عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق النبي ﷺ:

«كان خُلُقُه القرآن».

وهذه العبارة من أعظم ما يمكن أن يقال عن شخصيته.

فقد كان يطبق القرآن في حياته.

Edit with WPS Office

إذا أمر القرآن بالرحمة، كان رحيمًا.

وإذا أمر بالعدل، كان عادلًا.

وإذا أمر بالصبر، كان صابرًا.

وإذا أمر بالعفو، كان عفوًا.

الحادي والثلاثون: النبي ﷺ قدوة

لم يجعل الله النبي ﷺ مجرد ناقل للرسالة، بل جعله قدوة.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21].

فمن أراد أن يتعلم الصبر فلينظر إلى سيرته.

ومن أراد الرحمة فلينظر إلى سيرته.

ومن أراد الشجاعة فلينظر إلى سيرته.

ومن أراد التواضع فلينظر إلى سيرته.

الثاني والثلاثون: لماذا ندرس شمائله؟

لأن معرفة الأحداث وحدها لا تكفي.

قد يعرف الإنسان متى وقعت الهجرة، ومتى حدثت بدر، ومتى وقع

Edit with WPS Office

فتح مكة.

لكن الأهم أن يعرف:

كيف كان النبي ﷺ يتصرف؟

كيف كان يتعامل مع الناس؟

كيف كان يغضب؟

كيف كان يفرح؟

كيف كان يربي؟

كيف كان يعفو؟

كيف كان يعبد الله؟

Edit with WPS Office

هذه المعرفة هي التي تحول السيرة من معلومات إلى منهج حياة.

الثالث والثلاثون: كيف نقتدي به ﷺ؟

يمكن للمسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ في حياته اليومية:

في صدقه.

في أمانته.

في كلامه.

في معاملته لأسرته.

Edit with WPS Office

في رحمته بالضعفاء.

في احترامه للناس.

في عبادته.

في صبره.

في تواضعه.

وفي عفوه.

الرابع والثلاثون: الرسول ﷺ في ميزان الأخلاق

إذا نظرنا إلى حياته من زاوية الأخلاق، وجدنا منظومة متكاملة:

Edit with WPS Office

صدق في القول.

أمانة في التعامل.

عدل في الحكم.

رحمة في القلب.

شجاعة في المواقف.

تواضع في القوة.

صبر في البلاء.

عفو عند المقدرة.

Edit with WPS Office

وفاء بالعهد.

وهذه هي الشخصية التي صنعت أعظم تحول في تاريخ الجزيرة العربية.

الخامس والثلاثون: أعظم درس

أعظم درس يمكن أن نتعلمه من شمائل النبي ﷺ أن الإنسان يستطيع أن يكون قويًا ورحيمًا في الوقت نفسه.

يمكن أن يكون قائدًا ومتواضعًا.

يمكن أن يكون عالمًا ولا يتكبر.

يمكن أن يكون منتصرًا ولا ينتقم.

Edit with WPS Office

يمكن أن يكون حازمًا ولا يكون ظالمًا.

وهذا هو التوازن الذي جسده رسول الله ﷺ في حياته.

خاتمة الفصل

لم يكن رسول الله ﷺ عظيمًا لأنه نبي فقط، وإنما كانت عظمته أيضًا في أخلاقه التي شهد بها القريب والبعيد.

كان صادقًا قبل البعثة.

وأمينًا قبل أن يكون قائدًا.

ورحيمًا حتى مع من آذاه.

Edit with WPS Office

ومتواضعًا مع أصحابه.

وحسن المعاشرة لأهله.

وشجاعًا عند الخطر.

وصابرًا عند البلاء.

وعفوًا عند المقدرة.

وعابدًا لله حتى آخر لحظة من حياته.

ولهذا بقيت سيرته حية في قلوب المسلمين.

فالسيرة ليست تاريخًا نقرؤه ثم نغلق الكتاب.

Edit with WPS Office

بل مدرسة نتعلم منها كيف نعيش.

وإذا كان الفصل السابق قد تحدث عن رحيله ﷺ، فإن هذا الفصل يعيدنا إلى حياته لنكتشف سرًا عظيمًا:

لم يكن رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى أخلاق لم يعمل بها، بل كان أول من جسدها في حياته.

وهذا هو معنى قول الله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل السابع عشر

محمد ﷺ في بيته: زوجًا وأبًا وجدًا

تمهيد

إذا كانت عظمة الإنسان تظهر في مواقفه العامة، فإن حقيقتها تظهر أكثر داخل بيته.

فالإنسان قد يكون لطيفًا مع الناس خارج المنزل، لكنه قاسٍ مع أسرته، وقد يكون محبوبًا عند الآخرين لكنه لا يحسن التعامل مع أقرب الناس إليه.

أما رسول الله ﷺ فقد كان في بيته كما كان خارجه: رحيمًا، كريمًا، متواضعًا، صبورًا، حسن العشرة.

ولذلك قال ﷺ:

Edit with WPS Office

«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

فكانت حياته الأسرية مدرسة متكاملة في المحبة والرحمة و المسؤولية.

أولًا: النبي ﷺ زوجًا

كان رسول الله ﷺ زوجًا محبًا، حسن المعاشرة، يعرف طبيعة المرأة ومشاعرها.

وكان يراعي مشاعر زوجاته، ويستمع إليهن، ويمازحهن، ويعطيهن حقوقهن.

ولم يكن يرى أن القوة تعني القسوة داخل البيت.

Edit with WPS Office

بل كان يرى أن قوة الرجل تظهر في حسن تعامله مع أهله.

ثانيًا: الوفاء لخديجة رضي الله عنها

كانت خديجة رضي الله عنها أول زوجات النبي ﷺ، وكانت أول من آمن به وصدقه.

وقفت إلى جانبه في أصعب مراحل الدعوة.

فكانت له زوجة وصاحبة ومؤازرة.

ولم ينس النبي ﷺ فضلها بعد وفاتها.

وكان يذكرها بالخير، ويكرم صديقاتها.

Edit with WPS Office

وهذا من أعظم صور الوفاء.

ثالثًا: الحب والوفاء

كان النبي ﷺ يقول عن خديجة رضي الله عنها كلامًا يدل على مكانتها الكبيرة في قلبه.

ولم يكن يرى أن الوفاء لشخص مات يعني نسيان الحاضر.

بل كان الوفاء عنده خلقًا ثابتًا.

وهذا يعلمنا أن الإنسان الكريم لا ينسى من وقف بجانبه في أصعب أيامه.

Edit with WPS Office

رابعًا: عائشة رضي الله عنها

كانت عائشة رضي الله عنها من أقرب زوجات النبي ﷺ إليه.

وكانت صاحبة علم وفهم.

وقد نقلت للأمة جزءًا كبيرًا من حياة النبي ﷺ الخاصة.

فمن خلالها عرف المسلمون كيف كان النبي ﷺ داخل بيته.

وكانت روايتها للسنة من أهم مصادر معرفة شمائله وحياته اليومية.

خامسًا: الملاطفة مع الزوجة

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يلاطف زوجاته.

وكان يخرج مع عائشة رضي الله عنها أحيانًا.

ومن صور الملاطفة أنه سابقها في بعض المرات.

فسبقته مرة، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها.

وقال لها ما معناه إن هذا مقابل ذلك.

وهذا يدل على أن الحياة الزوجية ليست أوامر ومسؤوليات فقط، وإنما تحتاج أيضًا إلى المرح والمودة.

سادسًا: فهم المشاعر

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يفهم مشاعر زوجاته.

وكان يعرف الغيرة الطبيعية.

وكان يتعامل معها بحكمة.

فلم يكن يطالب المرأة بأن تكون بلا مشاعر.

بل كان يعرف طبيعتها ويحسن التعامل معها.

وهذا من كمال حكمته ﷺ.

سابعًا: مساعدته لأهل بيته

سألت عائشة رضي الله عنها عن عمل النبي ﷺ في بيته، فذكرت أنه

Edit with WPS Office

كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إليها.

وهذا موقف بالغ الأهمية.

فمع أنه قائد الأمة ونبيها، لم يكن يرى خدمة أهله أمرًا ينتقص من مكانته.

بل كان يشاركهم في شؤون البيت.

ثامنًا: لا يعيش بمنطق التسلط

لم يكن النبي ﷺ يتعامل مع البيت على أنه مكان لإصدار الأوامر.

بل كان بيتًا للمودة والرحمة.

Edit with WPS Office

وكان يتعامل مع أهله بالحسنى.

وهذا يوضح أن القيادة الأسرية ليست تسلطًا، وإنما مسؤولية ورعاية.

تاسعًا: النبي ﷺ أبًا

كان النبي ﷺ أبًا حنونًا.

وكان يحب أبناءه.

ولم يكن يخفي مشاعره تجاههم.

وكان يقبلهم ويحتضنهم.

Edit with WPS Office

وكان يحزن لفراقهم.

وكانت عاطفته تجاههم واضحة.

عاشرًا: بناته رضي الله عنهن

كان للنبي ﷺ بنات، وكان يحبهن ويكرمهن.

ومن أشهرهن:

زينب.

ورقية.

وأم كلثوم.

Edit with WPS Office

وفاطمة رضي الله عنهن.

وكانت علاقته ببناته قائمة على الرحمة والمحبة.

وكان يقدر مشاعرهن.

الحادي عشر: فاطمة رضي الله عنها

كانت فاطمة رضي الله عنها شديدة القرب من أبيها.

وكان النبي ﷺ يحبها حبًا كبيرًا.

وكان إذا دخلت عليه قام إليها، وقبلها، وأجلسها في مكانه.

Edit with WPS Office

وكان إذا دخل عليها قامت له أيضًا.

وهذا يدل على عظيم المحبة والاحترام بين الأب وابنته.

الثاني عشر: فاطمة في قلب أبيها

كانت فاطمة رضي الله عنها من أحب الناس إلى النبي ﷺ.

وكان يحزن لحزنها.

وكان يفرح لفرحها.

وقد عاشت معه مرحلة الدعوة وما فيها من تعب وصبر.

وكانت ترى من أبيها القدوة في كل شيء.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: النبي ﷺ وأحفاده

كان النبي ﷺ يحب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكان يحملهم.

ويقبلهما.

ويظهر حبه لهما أمام الناس.

وكان يقول عن الحسن:

«إن ابني هذا سيد».

Edit with WPS Office

وكان الحسن والحسين جزءًا من البيت النبوي الذي امتلأ بالمحبة و الرحمة.

الرابع عشر: تقبيل الأطفال

كان النبي ﷺ يقبل الأطفال.

ورأى بعض الناس ذلك واستغربوه.

فبيّن لهم أن الرحمة من أسباب رحمة الله بالعبد.

وهذا يعلم الآباء أن إظهار الحب للأطفال ليس ترفًا، بل حاجة تربوية.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: الصلاة ووجود الأطفال

كان النبي ﷺ يصلي بالناس، وكان يحمل أحيانًا أمامة بنت زينب رضي الله عنها.

فإذا قام حملها، وإذا سجد وضعها.

وهذا يوضح أن وجود الطفل لم يكن شيئًا يفسد الرحمة أو يلغي المسؤولية.

السادس عشر: الحسن والحسين

كان الحسن والحسين من أحب أهل البيت إلى النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

وكان يراهما في المسجد أو في البيت، فيقترب منهما ويقبلهما.

وكان ﷺ يربيهما بالمحبة.

وهذا يوضح أن التربية ليست عقابًا دائمًا، وإنما تحتاج إلى بناء علا
قة عاطفية آمنة.

السابع عشر: الأب الذي يعبّر عن مشاعره

من أهم الدروس في حياة النبي ﷺ أنه لم يكن يخجل من التعبير
عن حبه.

كان يقول:

أحبك.

Edit with WPS Office

ويقبل أبناءه.

ويحتضن أحفاده.

ويظهر الحزن لفراق أحبائه.

وهذا درس مهم للآباء.

فالطفل الذي يسمع كلمات الحب ويرى الرحمة يتعلم أن الحب قيمة طبيعية.

الثامن عشر: الحزن على الأبناء

فقد النبي ﷺ أبناءه في حياته.

Edit with WPS Office

وكان فراقهم مؤلمًا.

ومن أشد المواقف وفاة ابنه إبراهيم.

فحزن النبي ﷺ وبكى.

وقال:

«إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا».

وهذا يوضح أن البكاء لا ينافي الصبر.

التاسع عشر: الصبر لا يعني انعدام الحزن

Edit with WPS Office

من الأخطاء أن يظن الإنسان أن الصابر لا يحزن.

النبي ﷺ حزن.

وبكى.

لكنه لم يعترض على قضاء الله.

وهنا يظهر الفرق بين:

الحزن الطبيعي

و

الاعتراض على قدر الله.

فالحزن إنساني.

Edit with WPS Office

أما الصبر فهو أن يبقى الإنسان ثابتًا على الإيمان.

العشرون: النبي ﷺ مع أهل بيته في المرض

كان النبي ﷺ يهتم بأهل بيته.

وكان يسأل عنهم.

وكان يراعي أحوالهم.

وكان يوجههم إلى الخير.

وهذا يوضح أن الأسرة ليست مكانًا للعيش المشترك فقط، وإنما مسؤولية دينية وأخلاقية.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: العدل بين الزوجات

كان النبي ﷺ حريصًا على العدل بين زوجاته.

وكان يقسم بينهن في المبيت والنفقة ونحو ذلك مما يدخل تحت قدرته.

وكان يقول:

«اللّٰهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك».

وهذا يدل على دقة العدل في الحياة الزوجية.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: الحكمة في معالجة الخلافات

لم تكن الحياة الزوجية خالية من الاختلاف.

فطبيعة البشر تقتضي وجود اختلاف في وجهات النظر.

لكن النبي ﷺ كان يعالج المشكلات بالحكمة.

وكان يتجنب تحويل الخلاف البسيط إلى خصومة كبيرة.

وهذا درس لكل أسرة.

الثالث والعشرون: البيت النبوي مدرسة

Edit with WPS Office

كان البيت النبوي مدرسة يتعلم منها الصحابة.

ومن خلال أمهات المؤمنين وصلت تفاصيل كثيرة من السنة.

فعائشة رضي الله عنها نقلت أحكامًا كثيرة تتعلق بالعبادات والحياة الزوجية.

وأم سلمة رضي الله عنها نقلت مواقف وأحاديث.

وهكذا أصبح البيت النبوي مصدرًا مهمًا من مصادر العلم.

الرابع والعشرون: النبي ﷺ والخصوصية الأسرية

مع أن الصحابة كانوا يسألون عن حياة النبي ﷺ، كانت هناك حدود للخصوصية.

Edit with WPS Office

وكانت زوجاته هن اللواتي ينقلن ما يتعلق بالأمور الخاصة التي تحتاجها الأمة للعلم.

وهذا يبين أن الإسلام يوازن بين العلم وحفظ الخصوصية.

الخامس والعشرون: النبي ﷺ مع أقاربه

كان النبي ﷺ يصل رحمه.

ويزور أقاربه.

ويدعوهم إلى الله.

وكانت صلته بأهله جزءًا من دعوته.

Edit with WPS Office

لكنه لم يجعل القرابة سببًا لتجاوز الحق.

فالقريب عنده محبوب، لكن الحق فوق الجميع.

السادس والعشرون: أبوية تتجاوز القرابة

كان النبي ﷺ يتعامل مع أصحابه أحيانًا بعاطفة الأب.

كان يربيهم.

وينصحهم.

ويعلمهم.

Edit with WPS Office

ويواسيهم.

ولهذا أحبوه حبًا عظيمًا.

فكان يشعرون أنه ليس قائدًا فقط، بل أب روحي ومربٍّ ومعلم.

السابع والعشرون: التربية بالحوار

لم يكن النبي ﷺ يعتمد دائمًا على الأوامر المباشرة.

بل كان يستخدم السؤال والحوار.

ومن أشهر أساليبه أن يسأل أصحابه:

«أتدرون من المفلس؟»

Edit with WPS Office

ثم يعلمهم المعنى الصحيح.

وهذا أسلوب تربوي يجعل الإنسان يفكر قبل أن يسمع الإجابة.

الثامن والعشرون: التربية بالقدوة

كان النبي ﷺ يعلم الناس بفعله قبل قوله.

إذا دعا إلى الصلاة، كان أول المصلين.

إذا دعا إلى الصدقة، كان أكثر الناس بذلًا.

إذا دعا إلى الرحمة، كان أرحم الناس.

Edit with WPS Office

إذا دعا إلى الصبر، كان أصبر الناس.

ولهذا كان تأثيره عظيمًا.

التاسع والعشرون: الأبوة في زمننا

يمكن للآباء اليوم أن يتعلموا من النبي ﷺ:

أن يسمعوا أبناءهم.

أن يقبلوهم.

أن يحتضنوهم.

أن يحترموا مشاعرهم.

Edit with WPS Office

أن يعلموهم بالحكمة.

أن يصبروا على أخطائهم.

أن يكونوا قدوة لهم.

وأن يجمعوا بين الحزم والرحمة.

الثلاثون: الزوجية في المنهج النبوي

الحياة الزوجية الناجحة تحتاج إلى:

المودة.

Edit with WPS Office

والرحمة.

والاحترام.

والحوار.

والصبر.

والتسامح.

والعدل.

والتعاون.

وقد جسد النبي ﷺ هذه المعاني في حياته.

Edit with WPS Office

الحادي والثلاثون: أعظم درس

من أعظم الدروس التي تقدمها حياة النبي ﷺ داخل بيته:

أن حسن الخلق يبدأ من البيت.

فإذا كان الإنسان رحيمًا مع الناس وقاسيًا مع أهله، فقد نقص من كمال خلقه.

أما إذا كان رحيمًا مع أهله، عادلًا معهم، متواضعًا في بيته، فقد اقترب من الهدي النبوي.

الثاني والثلاثون: لماذا نحتاج إلى هذا الجانب من السيرة؟

Edit with WPS Office

لأن بعض الناس يقرأون السيرة من زاوية الغزوات فقط.

فيعرفون بدرًا وأحدًا والخندق وفتح مكة.

لكنهم لا يعرفون كيف كان النبي ﷺ في بيته.

وهذا نقص في فهم شخصيته.

فالنبي ﷺ لم يكن قائدًا في الميدان فقط.

بل كان زوجًا وأبًا وجدًا وصاحبًا وجارًا.

الثالث والثلاثون: البيت الذي صنع الأمة

خرج من البيت النبوي رجال ونساء حملوا العلم إلى الأمة.

Edit with WPS Office

خرجت منه أمهات المؤمنين.

وكانت فاطمة رضي الله عنها نموذجًا في الصبر.

وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما من أعلام أهل البيت.

وكان البيت النبوي جزءًا من بناء الأمة.

الرابع والثلاثون: محمد ﷺ الإنسان

عندما نقرأ هذا الجانب من حياته، نكتشف أن رسول الله ﷺ كان يعيش مشاعر الإنسان:

يفرح.

Edit with WPS Office

ويحزن.

ويحب.

ويشتاق.

ويبكي.

ويضحك.

لكنه كان يضبط هذه المشاعر بالإيمان.

وهذا يجعل الاقتداء به ممكنًا وواقعيًا.

Edit with WPS Office

الخامس والثلاثون: رسالة إلى كل أب

أيها الأب:

لا تجعل أبناءك يعرفون منك الأوامر فقط.

اجعلهم يعرفون منك الحب.

لا تجعل البيت مكانًا للخوف.

اجعله مكانًا للأمان.

لا تجعل أبناءك يخشون الحديث معك.

اجعلهم يجدون عندك الحكمة والنصيحة.

فقد كان رسول الله ﷺ رحيمًا بأهله وأبنائه وأحفاده.

Edit with WPS Office

السادس والثلاثون: رسالة إلى كل زوج

أيها الزوج:

القوة ليست في رفع الصوت.

وليست في كثرة الأوامر.

وليست في السيطرة.

القوة في ضبط النفس.

والحكمة.

Edit with WPS Office

والرحمة.

والعدل.

وحسن العشرة.

وهذا من هدي رسول الله ﷺ.

السابع والثلاثون: رسالة إلى كل أم وزوجة

والبيت كذلك مسؤولية مشتركة.

فالمودة لا يصنعها شخص واحد.

والرحمة لا يقوم بها طرف واحد.

Edit with WPS Office

والأسرة الناجحة هي التي يتعاون أفرادها على الخير.

خاتمة الفصل

كان محمد ﷺ في بيته كما كان في حياته كلها:

رحيمًا.

متواضعًا.

وفيًا.

صبورًا.

Edit with WPS Office

محبًا.

عادلا ً.

وكان يعرف أن الأسرة ليست مجرد مكان للسكن، بل هي أول مدرسة يتعلم فيها الإنسان الأخلاق.

فكان زوجًا رحيمًا.

وأبًا حنونًا.

وجدًا محبًا.

وصاحبًا وفيًا.

وكانت حياته الأسرية تطبيقًا عمليًا لقوله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

فإذا أردنا أن نعرف أخلاق رسول الله ﷺ حقًا، فلا يكفي أن نعرف كيف كان مع أصحابه وأعدائه، بل ينبغي أن نعرف كيف كان مع أقرب الناس إليه.

وهنا تتجلى عظمة أخرى من عظمته:

كان نبيًا في المسجد، وقائدًا في الميدان، ومعلمًا في المجتمع، وزوجًا رحيمًا، وأبًا حنونًا، وجدًا محبًا.

وهكذا كان رسول الله ﷺ قدوة في كل جوانب الحياة.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثامن عشر

رسول الله ﷺ مع أصحابه: مدرسة النبوة وصناعة الجيل الأول

تمهيد

لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ مجرد أتباع عاشوا في زمنه، بل كانوا جيلًا تربى على يديه، وشهد نزول الوحي، وتعلم منه الإيمان و العبادة والأخلاق، ثم حمل رسالته إلى من بعده.

لقد صنع النبي ﷺ من أفراد متفرقين أمة.

ومن قبائل متنازعة إخوة.

ومن أناس عاديين رجالًا حملوا أعظم رسالة عرفتها البشرية.

ولم تكن هذه الصناعة قائمة على القوة أو المال، وإنما قامت على الإ

Edit with WPS Office

إيمان والتربية والقدوة والمحبة والصبر.

أولًا: النبي ﷺ المربي

كان رسول الله ﷺ معلمًا ومربيًا في الوقت نفسه.

فلم يكن هدفه أن يحفظ أصحابه المعلومات فقط، بل أن يغير شخصياتهم.

كان يعلمهم:

ماذا يؤمنون؟

وكيف يعبدون الله؟

Edit with WPS Office

وكيف يتعاملون مع الناس؟

وكيف يواجهون الشدائد؟

وكيف يتحملون المسؤولية؟

ولهذا كان الصحابي يخرج من عند النبي ﷺ وقد تغيرت نظرته إلى الحياة.

ثانيًا: التربية بالإيمان

بدأ النبي ﷺ ببناء العقيدة.

فعلّم أصحابه توحيد الله.

Edit with WPS Office

وعرّفهم بربهم.

وربط قلوبهم بالآخرة.

وعلمهم أن الدنيا مرحلة وليست النهاية.

وكان هذا الأساس الذي بنى عليه كل شيء.

فإذا صلحت العقيدة، أصبح الإنسان قادرًا على تحمل الصعوبات.

ثالثًا: التربية بالقدوة

كان النبي ﷺ أول من يطبق ما يدعو إليه.

فإذا دعا إلى الصبر كان صابرًا.

Edit with WPS Office

وإذا دعا إلى الصدق كان أصدق الناس.

وإذا دعا إلى الجهاد كان في مقدمة الناس.

وإذا دعا إلى الرحمة كان أرحم الناس.

ولهذا كان تأثيره في أصحابه عظيمًا.

رابعًا: المحبة بين النبي ﷺ وأصحابه

نشأت بين النبي ﷺ وأصحابه علاقة عميقة من المحبة.

كانوا يحبونه حبًا شديدًا.

Edit with WPS Office

وكان يحبهم ويعرف فضلهم.

وكان يذكر أسماءهم ويهتم بأحوالهم.

ولم تكن علاقته بهم علاقة قائد بجنود فقط.

بل كانت علاقة مربٍّ بتلاميذه وأبٍ بأبنائه وإمام بأمته.

خامسًا: احترام شخصية الصحابي

لم يكن النبي ﷺ يلغي شخصية أصحابه.

بل كان يكتشف مواهبهم ويوجهها.

فمنهم القائد.

Edit with WPS Office

ومنهم العالم.

ومنهم القاضي.

ومنهم الداعية.

ومنهم المفاوض.

ومنهم الكاتب.

ومنهم المقاتل.

ومنهم صاحب الرأي.

وهكذا وظف النبي ﷺ طاقات أصحابه في خدمة الإسلام.

Edit with WPS Office

سادسًا: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

كان أبو بكر رضي الله عنه من أقرب أصحاب النبي ﷺ إليه.

وكان يتميز بالصدق واللين والإيمان والثبات.

ولما اشتد البلاء في مكة كان ثابتًا.

وفي الهجرة كان رفيق النبي ﷺ.

وبعد وفاة النبي ﷺ تحمل مسؤولية قيادة الأمة.

وهذا يبين عمق التربية التي تلقاها في مدرسة النبوة.

Edit with WPS Office

سابعًا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه قوي الشخصية.

وكان شديدًا في الحق.

واستطاع النبي ﷺ أن يوجه هذه القوة لخدمة الإسلام.

فأصبح عمر من أعظم قادة الأمة.

وكان يجمع بين القوة والعدل.

وهذا يوضح أن التربية النبوية لم تكن تهدف إلى تغيير شخصية الإ
نسان، بل إلى توجيهها إلى الخير.

Edit with WPS Office

ثامنًا: عثمان بن عفان رضي الله عنه

كان عثمان رضي الله عنه معروفًا بالحياء والكرم.

وكان من السابقين إلى الإسلام.

وأنفق من ماله في سبيل الله.

وكان النبي ﷺ يقدر حياءه.

وأصبح عثمان فيما بعد ثالث الخلفاء الراشدين.

تاسعًا: علي بن أبي طالب رضي الله عنه

Edit with WPS Office

كان علي رضي الله عنه من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ.

نشأ في بيت النبي ﷺ فترة من حياته.

وكان شجاعًا وعالمًا.

وشارك في مواقف كثيرة مع النبي ﷺ.

وتربى على العلم والإيمان والشجاعة.

عاشرًا: بلال بن رباح رضي الله عنه

كان بلال رضي الله عنه من أوائل من أسلم.

وتعرض للتعذيب بسبب إيمانه.

Edit with WPS Office

لكن النبي ﷺ وأصحابه ثبتوا معه.

ثم أصبح بلال مؤذن رسول الله ﷺ.

وكانت قصة حياته مثالًا على أن الإسلام لا يجعل اللون أو الأصل سببًا للفضل.

الحادي عشر: سلمان الفارسي رضي الله عنه

جاء سلمان رضي الله عنه من أرض فارس باحثًا عن الحق.

وانتهى به الطريق إلى المدينة.

فآمن بالنبي ﷺ.

Edit with WPS Office

وأصبح من كبار الصحابة.

وكان صاحب رأي ومشورة.

ومن أشهر مواقفه اقتراح حفر الخندق في غزوة الأحزاب.

الثاني عشر: صهيب الرومي رضي الله عنه

كان صهيب رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام.

وتعرض للأذى.

وهاجر إلى المدينة وترك شيئًا من ماله في سبيل الوصول إلى النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

فكان مثالًا في التضحية.

الثالث عشر: مصعب بن عمير رضي الله عنه

كان مصعب من شباب مكة الذين عاشوا في نعيم قبل الإسلام.

ثم اختار الإيمان.

وبعثه النبي ﷺ إلى المدينة ليعلم الناس الإسلام.

فكان أول سفير في الإسلام بمعنى مشهور.

وكان سببًا في إسلام عدد كبير من أهل المدينة.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: معاذ بن جبل رضي الله عنه

كان معاذ رضي الله عنه من العلماء.

وأرسله النبي ﷺ إلى اليمن داعيًا ومعلمًا وقاضيًا.

وكان اختياره لهذه المهمة دليلًا على ثقة النبي ﷺ بعلمه وقدرته.

الخامس عشر: أسامة بن زيد رضي الله عنه

كان أسامة شابًا صغير السن.

ومع ذلك جعله النبي ﷺ قائدًا لجيش.

Edit with WPS Office

وكان في الجيش كبار الصحابة.

وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يكتشف الطاقات ولا يجعل العمر وحده معيارًا للكفاءة.

السادس عشر: التربية على المسؤولية

كان النبي ﷺ يعطي أصحابه مسؤوليات حقيقية.

فكان يرسلهم دعاة.

ويبعثهم قضاة.

ويوليهم قيادة الجيوش.

Edit with WPS Office

ويكلفهم بالمهام.

وكانت هذه المسؤولية وسيلة لتكوين الشخصية.

فالإنسان لا يتعلم المسؤولية بالحديث عنها فقط، بل بممارستها.

السابع عشر: التربية بالتدرج

لم يكن النبي ﷺ يطلب من الناس أن يصبحوا كاملين في يوم واحد.

بل كان يربيهم بالتدرج.

بدأ بالعقيدة.

Edit with WPS Office

ثم العبادة.

ثم الأخلاق.

ثم الأحكام.

ثم المسؤوليات.

وهذا من أعظم قواعد التربية.

الثامن عشر: مراعاة الفروق الفردية

كان النبي ﷺ يعلم أن الناس مختلفون.

Edit with WPS Office

فكان يخاطب كل إنسان بما يناسبه.

وكان يعطي بعض أصحابه وصايا مختلفة.

لأن ما يحتاجه العالم قد لا يحتاجه الجاهل.

وما يحتاجه الشاب قد يختلف عن حاجة الكبير.

وهذا من دقة التربية النبوية.

التاسع عشر: التعليم بالسؤال

كان النبي ﷺ يستخدم الأسئلة.

فيقول:

Edit with WPS Office

«أتدرون من المفلس؟»

ثم يبين لهم الإجابة.

وكان يسألهم أحيانًا عن أشياء يعرفها ليجذب انتباههم.

وهذا أسلوب تربوي فعال.

العشرون: التعليم بالقصة

استخدم النبي ﷺ القصص في التعليم.

وكان يذكر قصص السابقين.

Edit with WPS Office

ويضرب الأمثال.

ويشرح المعاني بطريقة تقربها إلى العقول.

فالإنسان بطبيعته يتأثر بالقصة أكثر من المعلومة المجردة.

الحادي والعشرون: التعليم بالتطبيق

لم يكن النبي ﷺ يكتفي بالقول.

فعندما علمهم الصلاة صلى أمامهم.

وعندما علمهم الحج قال:

«خذوا عني مناسككم».

Edit with WPS Office

وهكذا كان التطبيق جزءًا أساسيًا من التربية.

الثاني والعشرون: تصحيح الأخطاء بالرحمة

كان الصحابة يخطئون.

لكن النبي ﷺ لم يكن يحول الخطأ إلى إهانة لصاحبه.

كان يصحح الخطأ ويعلم الإنسان.

ومن أشهر الأمثلة قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فلم يعنفه النبي ﷺ بعنف يؤدي إلى زيادة الضرر، بل علمه ووجهه.

وهذا درس في أن الهدف من التربية هو الإصلاح.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: رفع المعنويات

كان النبي ﷺ يشجع أصحابه.

ويذكر لهم فضائلهم.

وكان يقول عن بعضهم ما يدل على مكانته.

وكان هذا التشجيع يزيد الثقة بالنفس.

فالإنسان يحتاج أحيانًا إلى كلمة صادقة تشجعه على الاستمرار.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: الثناء المنضبط

لم يكن النبي ﷺ يمدح الإنسان بطريقة تجعله مغرورًا.

بل كان يذكر صفته أو فضله في الموضع المناسب.

فكان الثناء عنده وسيلة للتربية وليس صناعة للغرور.

الخامس والعشرون: التربية على الصبر

تعرض الصحابة للابتلاء.

فبعضهم عُذب.

وبعضهم هاجر.

Edit with WPS Office

وبعضهم فقد أهله وماله.

وبعضهم فقد أحبته.

لكنهم تعلموا من النبي ﷺ أن الطريق إلى الحق يحتاج إلى صبر.

السادس والعشرون: بناء روح الأخوة

من أعظم إنجازات النبي ﷺ أنه جعل المهاجرين والأنصار إخوة.

وأصبح المسلم يشعر أن أخاه في الدين أقرب إليه من العصبية القبلية.

وهذا كان تحولًا اجتماعيًا عظيمًا.

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

عندما وصل المهاجرون إلى المدينة كانوا قد تركوا أموالهم وبيوتهم.

فآخى النبي ﷺ بينهم وبين الأنصار.

فوجد المهاجر أخًا يساعده.

ووجد الأنصاري أخًا يشاركه الحياة.

وهكذا تحولت الأخوة من شعار إلى واقع.

Edit with WPS Office

الثامن والعشرون: الشورى

كان النبي ﷺ يستشير أصحابه.

وفي غزوة بدر أخذ برأي الحباب بن المنذر رضي الله عنه في اختيار موقع النزول.

وفي الخندق أخذ بفكرة سلمان الفارسي.

وهذا يدل على أن القيادة النبوية لم تكن استبدادية.

بل كانت قائمة على الشورى والاستفادة من الخبرات.

التاسع والعشرون: احترام الرأي الآخر

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يستمع إلى آراء أصحابه.

وإذا ظهر له أن الرأي الآخر أصوب، أخذ به.

وهذا يعلم القادة أن الاعتراف بالرأي الصحيح ليس ضعفًا.

بل هو قوة وحكمة.

الثلاثون: صناعة القائد

كان النبي ﷺ يربي أصحابه ليكونوا قادة بعده.

فلم يكن يريد أتباعًا يعتمدون عليه في كل شيء.

بل كان يريد رجالًا قادرين على حمل المسؤولية.

Edit with WPS Office

وهذا هو السبب في أن الصحابة استطاعوا مواصلة المسيرة بعد وفاته.

الحادي والثلاثون: التربية على الاستقلال

علّم النبي ﷺ أصحابه أن يعتمدوا على الله.

وأن يأخذوا بالأسباب.

وأن يتحملوا المسؤولية.

ولذلك أصبح الصحابي قادرًا على اتخاذ القرار في غياب النبي ﷺ في بعض المواقف.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: الجيل الذي صنع الحضارة

لم يكن أصحاب النبي ﷺ ملائكة.

كانوا بشرًا.

يخطئون ويصيبون.

لكنهم كانوا يتعلمون من النبي ﷺ ويعودون إلى الحق.

وكانت هذه التربية سببًا في بناء جيل غيّر وجه التاريخ.

الثالث والثلاثون: أثر التربية النبوية بعد الوفاة

Edit with WPS Office

عندما توفي النبي ﷺ لم تنهار الأمة.

بكى الصحابة، واضطربوا، لكنهم استمروا.

أبو بكر تولى القيادة.

وعمر وقف إلى جانب الحق.

وعثمان حمل مسؤولية الدولة.

وعلي حمل العلم والشجاعة.

وهكذا ظهر أثر التربية النبوية.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: مدرسة النبوة في التربية

يمكن تلخيص المنهج النبوي في التربية في مجموعة من القواعد:

القدوة قبل الكلام.

الإيمان قبل التفاصيل.

التدرج في التعليم.

مراعاة الفروق الفردية.

التشجيع.

تصحيح الخطأ بالحكمة.

تحمل المسؤولية.

Edit with WPS Office

الشورى.

الرحمة.

بناء الشخصية.

الخامس والثلاثون: ماذا نتعلم اليوم؟

تحتاج الأسرة إلى التربية النبوية.

وتحتاج المدرسة إليها.

ويحتاج المعلم إليها.

Edit with WPS Office

ويحتاج القائد إليها.

ويحتاج الأب إليها.

ويحتاج المجتمع إليها.

فالتربية ليست مجرد نقل معلومات.

إنها صناعة إنسان.

السادس والثلاثون: المعلم في المنهج النبوي

على المعلم أن يكون قدوة.

فالطالب قد ينسى ما يقوله المعلم، لكنه يتذكر شخصيته.

Edit with WPS Office

إذا كان المعلم صادقًا، تعلم منه الصدق.

وإذا كان عادلًا، تعلم منه العدل.

وإذا كان رحيمًا، تعلم منه الرحمة.

السابع والثلاثون: القائد في المنهج النبوي

القائد الناجح لا يعيش فوق الناس.

بل يعيش بينهم.

يعرف أحوالهم.

Edit with WPS Office

ويستمع إليهم.

ويشاورهم.

ويحمل مسؤوليتهم.

وهكذا كان رسول الله ﷺ.

الثامن والثلاثون: الأسرة في المنهج النبوي

الأب والأم لا ينبغي أن يكونا مجرد مصدر للأوامر.

بل ينبغي أن يكونا قدوة.

فالأطفال يتعلمون من سلوك الوالدين أكثر مما يتعلمون من الكلمات.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: أعظم نجاح للنبي ﷺ

من أعظم نجاحات رسول الله ﷺ أنه لم يترك وراءه أتباعًا فقط.

بل ترك رجالًا ونساءً قادرين على حمل الرسالة.

وهذا هو معنى التربية الحقيقية.

أن تجعل من تعلمه قادرًا على تعليم غيره.

الأربعون: خلاصة المنهج

Edit with WPS Office

لقد استطاع رسول الله ﷺ أن يحول:

الضعف إلى قوة.

والفرقة إلى وحدة.

والجهل إلى علم.

والعصبية إلى أخوة.

والخوف إلى شجاعة.

والأنانية إلى تضحية.

وذلك من خلال منهج تربوي متكامل أساسه الإيمان بالله.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ أعظم مربٍّ عرفته الأمة.

لم يصنع أصحابه بالقوة، بل صنعهم بالإيمان.

ولم يرفعهم بالشعارات، بل بالقدوة.

ولم يعالج أخطاءهم بالإهانة، بل بالتعليم والرحمة.

وكان يعرف أن الإنسان إذا أصلح قلبه، صلح عمله.

وإذا قوي إيمانه، استطاع تحمل الصعوبات.

وإذا عرف مسؤوليته، أصبح قادرًا على خدمة أمته.

Edit with WPS Office

ولهذا بقي جيل الصحابة نموذجًا فريدًا في التاريخ.

لقد دخلوا مدرسة النبوة أفرادًا، وخرجوا منها رجالًا حملوا الرسالة إلى العالم.

ومن هنا نفهم أن رسول الله ﷺ لم يكن مجرد نبي بلغ آيات ربه، بل كان معلمًا ومربيًا وصانعًا للإنسان.

وكانت أعظم ثمرات هذه المدرسة:

جيلًا آمن.

وعمل.

وضَحّى.

وثبت.

Edit with WPS Office

وحمل الأمانة.

ثم سلمها إلى الأجيال التي جاءت بعده.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل التاسع عشر

رسول الله ﷺ مع غير المسلمين: الرحمة والعدل والوفاء

تمهيد

لم تكن رسالة رسول الله ﷺ رسالة خاصة بقوم دون قوم، بل بعثه الله تعالى رحمة للعالمين.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

وقد عاش النبي ﷺ في مجتمع متنوع، فيه المسلمون، وفيه اليهود، وفيه المشركون، وفيه أهل الكتاب وغيرهم.

وكان تعامله مع غير المسلمين قائمًا على مجموعة من المبادئ

Edit with WPS Office

الواضحة:

العدل، والرحمة، والوفاء بالعهد، وحفظ الحقوق، والدعوة بالحكمة.

وفي الوقت نفسه، كان ﷺ ثابتًا على عقيدته، لا يساوم عليها ولا يخلط بين البر بالإنسان وبين التنازل عن الدين.

أولًا: الإسلام دين العدل

كان العدل من أعظم المبادئ التي قامت عليها رسالة النبي ﷺ.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].

Edit with WPS Office

والعدل لا يكون مع الموافق فقط، بل يظهر حقيقيًا عندما يتعامل الإنسان مع من يخالفه.

ولهذا أمر الله المسلمين ألا يحملهم بغض قوم على الظلم.

قال تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8].

ثانيًا: النبي ﷺ في مكة

عاش النبي ﷺ سنوات طويلة في مكة وسط قوم لم يؤمنوا به.

وكانوا يؤذونه ويكذبونه ويحاربون دعوته.

Edit with WPS Office

ومع ذلك لم يكن يظلم أحدًا.

كان يدعوهم بالحكمة.

ويجادلهم بالتي هي أحسن.

ويصبر على أذاهم.

وهذا يوضح أن الدعوة إلى الله لا تقوم على الانتقام الشخصي.

ثالثًا: الدعوة بالحكمة

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

وكان هذا منهج النبي ﷺ.

فكان يحاور الناس.

ويستمع إليهم.

ويجيب عن أسئلتهم.

ويبين لهم الحق.

ولم يكن هدفه إهانة المخالف، وإنما هدايته إلى الحق.

Edit with WPS Office

رابعًا: موقفه من أهل الكتاب

كان النبي ﷺ يتعامل مع اليهود والنصارى باعتبارهم من أهل الكتاب.

وكان يدعوهم إلى توحيد الله واتباع الحق.

وكان الحوار بينهم قائمًا على بيان العقيدة والاحترام الإنساني.

قال تعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46].

خامسًا: وثيقة المدينة

Edit with WPS Office

عندما وصل النبي ﷺ إلى المدينة، كان المجتمع يضم جماعات مختلفة.

وكان من أهم خطواته تنظيم العلاقة بين هذه المكونات من خلال وثيقة المدينة.

وقد تضمنت تنظيم الحقوق والواجبات والعلاقات داخل المجتمع.

وكان هذا من أوائل النماذج السياسية التي قامت على تنظيم التعدد داخل المجتمع.

سادسًا: حفظ العهود

كان النبي ﷺ شديد الوفاء بالعهود.

فإذا عقد عهدًا لم ينقضه من نفسه.

Edit with WPS Office

وكان يحترم الاتفاقات.

وكان يحذر من الخيانة والغدر.

وهذا يوضح أن القوة في الإسلام لا تعني إلغاء الأخلاق.

سابعًا: صلح الحديبية

من أبرز الأمثلة على الوفاء بالعهد صلح الحديبية.

فقد قبل النبي ﷺ شروطًا بدت لبعض الصحابة صعبة.

وكان ينظر إلى المصلحة الأبعد.

Edit with WPS Office

وكان مستعدًا للالتزام بما تم الاتفاق عليه.

وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أن الصلح كان فتحًا عظيمًا للمسلمين.

ثامنًا: عدم الغدر

كان النبي ﷺ ينهى عن الغدر.

وكان يعلم أصحابه أن الالتزام بالأخلاق لا يتغير بسبب وجود الحرب.

فالعدو لا يعطي الإنسان الحق في أن يصبح ظالمًا.

Edit with WPS Office

تاسعًا: الأمان

كان من هدي النبي ﷺ حفظ الأمان.

فإذا دخل غير المسلم بأمان إلى مجتمع المسلمين، فلا يجوز الاعتداء عليه.

قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: 6].

وهذا من أعظم صور حفظ الحقوق.

عاشرًا: التعامل التجاري

Edit with WPS Office

تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين في البيع والشراء.

فلم يكن الإسلام يمنع التعامل الإنساني والتجاري مع غير المسلمين.

والمعيار هو الالتزام بالحق والعدل.

الحادي عشر: قصة الدرع

من المواقف التي تذكر في هذا السياق أن النبي ﷺ تعامل مع اليهود في المدينة، ومن ذلك معاملته لهم في بعض الشؤون المالية.

وقد كان المجتمع يتعامل فيما بينهم بالبيع والشراء والرهن ونحو ذلك.

وهذا يؤكد أن العلاقة مع غير المسلم ليست بالضرورة علاقة صراع

Edit with WPS Office

دائم.

الثاني عشر: زيارة المريض

كان النبي ﷺ يهتم بالجانب الإنساني في التعامل.

ومن ذلك ما ورد في زيارته لغلام يهودي كان يخدمه عندما مرض.

فذهب إليه النبي ﷺ وعرض عليه الإسلام.

وفي ذلك رحمة وإنسانية ودعوة في الوقت نفسه.

الثالث عشر: احترام الإنسان

Edit with WPS Office

مرّت جنازة يهودي أمام النبي ﷺ، فقام لها.

فلما قيل له إنها جنازة يهودي، قال:

«أليست نفسًا؟»

وهذا موقف عظيم في احترام الإنسان من حيث هو إنسان.

فالاختلاف في الدين لا يلغي الكرامة الإنسانية.

الرابع عشر: البر والإحسان

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

فالبر والإحسان والعدل مع المسالمين من مبادئ الإسلام.

الخامس عشر: عدم الإكراه في الدين

قال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

فالإيمان الحقيقي لا يقوم على الإكراه.

بل يقوم على الاقتناع والاختيار.

Edit with WPS Office

وكانت مهمة النبي ﷺ البلاغ والبيان والدعوة.

قال تعالى:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: 21-22].

السادس عشر: الرحمة حتى في الحرب

حتى في حالات الحرب كان النبي ﷺ يضع ضوابط.

وكان ينهى عن قتل من لا يشارك في القتال، كالنساء والأطفال.

وكان يوصي أصحابه بحفظ العهود وعدم الغدر.

Edit with WPS Office

وهذا يبين أن الحرب في الإسلام ليست فوضى.

بل لها أخلاق وضوابط.

السابع عشر: فتح مكة والعفو

كان فتح مكة من أعظم مواقف النبي ﷺ.

فقد عاد إلى المدينة التي أخرجته وحاربته.

وكان قادرًا على الانتقام.

لكن النبي ﷺ لم يجعل النصر وسيلة لتصفية الحسابات الشخصية.

وأعلن الأمان والعفو عن كثير من أهل مكة.

Edit with WPS Office

وكان ذلك سببًا في تحول عظيم في قلوب الناس.

الثامن عشر: موقفه من عكرمة بن أبي جهل

كان عكرمة بن أبي جهل من أشد خصوم النبي ﷺ.

ثم أسلم بعد فتح مكة.

فلم يعامله النبي ﷺ على أساس ماضيه فقط، وإنما فتح له بابًا جديدًا.

وهذا من أعظم معاني الإسلام:

أن الإنسان يستطيع أن يبدأ حياة جديدة.

Edit with WPS Office

التاسع عشر: صفوان بن أمية

كان صفوان بن أمية من الذين عارضوا النبي ﷺ.

ثم دخل في الإسلام بعد فتح مكة.

وكانت هذه التحولات نتيجة من نتائج الرحمة والحكمة والصبر.

فليس كل مخالف يبقى مخالفًا إلى الأبد.

العشرون: هداية المخالفين

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يتمنى هداية الناس.

وكان يحزن عندما يرى من يرفض الحق.

قال الله تعالى:

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6].

فكان قلبه متعلقًا بهداية الناس.

الحادي والعشرون: موقفه من المنافقين

كان في المدينة منافقون يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

Edit with WPS Office

ومع ذلك لم يكن النبي ﷺ يقتلهم لمجرد النفاق الباطن.

وكان يتعامل معهم وفق الظاهر وما يترتب عليه من أحكام.

وهذا يدل على دقة الشريعة في التعامل مع الناس.

الثاني والعشرون: عدم الانتقام الشخصي

كان النبي ﷺ لا ينتقم لنفسه.

وإذا انتهكت حرمات الله كان يتعامل مع الأمر بما يقتضيه الشرع.

وهذا يوضح الفرق بين الحق الشخصي وبين تطبيق العدل.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: احترام الكرامة الإنسانية

من أهم ما نتعلمه من السيرة أن الإنسان له كرامة.

ولا يجوز أن يتحول الاختلاف في الدين أو الفكر إلى مبرر للظلم و العدوان.

فالعدل قيمة لا تتغير بتغير الأشخاص.

الرابع والعشرون: الفرق بين البر والموالاة

الإسلام يفرق بين:

البر والإحسان والعدل مع غير المسلم المسالم

Edit with WPS Office

وبين

التنازل عن العقيدة أو قبول الباطل الديني.

فالمسلم يستطيع أن يكون عادلًا ورحيمًا مع غير المسلم، مع بقائه ثابتًا على عقيدته.

وهذا توازن مهم في فهم السيرة.

الخامس والعشرون: النبي ﷺ نموذج عالمي

كانت رسالة النبي ﷺ موجهة إلى الناس كافة.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28].

ولذلك لم تكن سيرته خاصة بقبيلة أو قوم.

بل أصبحت نموذجًا عالميًا في الدعوة والعدل والرحمة.

السادس والعشرون: رسائله إلى الملوك

أرسل النبي ﷺ رسائل إلى عدد من الملوك والحكام يدعوهم فيها إلى الإسلام.

ومنهم:

هرقل.

Edit with WPS Office

وكسرى.

والمقوقس.

والنجاشي.

وكانت هذه الرسائل تعبيرًا عن عالمية الدعوة.

السابع والعشرون: الدعوة بالحكمة

لم تكن رسائل النبي ﷺ سبًا أو إهانة.

بل كانت دعوة إلى الحق.

Edit with WPS Office

وكان يخاطب كل قوم بما يناسب مقامهم.

وهذا من الحكمة في الدعوة.

الثامن والعشرون: الإسلام لا يبني علاقاته على الكراهية

لم يجعل النبي ﷺ الكراهية الشخصية أساس العلاقات.

بل جعل:

العدل أساسًا.

والوفاء أساسًا.

والرحمة أساسًا.

Edit with WPS Office

والحق أساسًا.

مع الحفاظ على العقيدة.

التاسع والعشرون: كيف نتعامل اليوم؟

إذا أردنا أن نقتدي بالنبي ﷺ في عصرنا، فعلينا أن نتعلم:

احترام الإنسان.

العدل مع المخالف.

الوفاء بالعهود.

Edit with WPS Office

رفض الغدر.

الحوار بالحكمة.

الدعوة بالحسنى.

حفظ الحقوق.

والثبات على العقيدة.

الثلاثون: خطر تشويه السيرة

من الأخطاء أن نقرأ السيرة قراءة انتقائية.

فنأخذ منها مواقف الحرب فقط، ونترك الرحمة.

Edit with WPS Office

أو نأخذ منها الرحمة فقط، ونترك العدل والحزم.

السيرة متكاملة.

فيها الرحمة والحزم.

والعفو والعدل.

والسلام والاستعداد للدفاع.

واللين في موضعه والقوة في موضعها.

الحادي والثلاثون: التوازن النبوي

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ رحيمًا، لكنه لم يكن ضعيفًا.

وكان قويًا، لكنه لم يكن ظالمًا.

وكان متسامحًا، لكنه لم يكن متنازلًا عن الحق.

وكان يدعو إلى السلام، لكنه كان يحمي المجتمع من العدوان.

وهذا هو التوازن الذي يجب أن نفهمه.

الثاني والثلاثون: العدل حتى مع العدو

من أروع المبادئ القرآنية:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.

Edit with WPS Office

أي لا تجعلوا كراهية قوم سببًا في ترك العدل.

وهذا مبدأ حضاري عظيم.

الثالث والثلاثون: الرحمة ليست ضعفًا

قد يظن البعض أن الرحمة تعني التنازل.

لكن سيرة النبي ﷺ تثبت أن الإنسان يستطيع أن يكون رحيمًا وقويًا في الوقت نفسه.

فالرحمة خلق.

والقوة مسؤولية.

Edit with WPS Office

والحكمة أن يضع الإنسان كلًا منهما في موضعه.

الرابع والثلاثون: العفو عندما يكون العفو إصلاحًا

العفو ليس دائمًا مناسبًا في كل موقف.

لكن النبي ﷺ كان يعرف متى يعفو.

وكان العفو عنده وسيلة للإصلاح وليس مجرد عاطفة.

وفي فتح مكة كان العفو سببًا في فتح القلوب.

Edit with WPS Office

الخامس والثلاثون: متى يكون الحزم؟

كان النبي ﷺ حازمًا عندما يتعلق الأمر بحماية المجتمع والحقوق و العهود.

فالحزم ليس عكس الرحمة.

بل قد يكون الحزم أحيانًا صورة من صور الرحمة إذا منع الظلم و العدوان.

السادس والثلاثون: رسالة إلى المسلمين

على المسلم أن يكون صورة حسنة لدينه.

فإذا تعامل مع غير المسلم بالظلم والكذب والغدر، فقد أساء إلى نفسه وإلى الصورة التي يقدمها عن الإسلام.

Edit with WPS Office

أما إذا كان صادقًا وعادلًا ورحيمًا، فإنه يعكس جانبًا من الأخلاق التي جاء بها النبي ﷺ.

السابع والثلاثون: رسالة إلى الإنسانية

السيرة النبوية تقدم نموذجًا لعالم يمكن أن يعيش فيه المختلفون مع وجود الاختلاف.

فليس المطلوب أن يتفق الناس في كل شيء.

لكن المطلوب:

العدل.

Edit with WPS Office

والاحترام.

وحفظ الحقوق.

والوفاء.

وعدم الاعتداء.

والحوار.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين.

وكان تعامله مع غير المسلمين قائمًا على العدل والرحمة والوفاء.

Edit with WPS Office

لم يكن يساوم على عقيدته، لكنه لم يجعل اختلاف العقيدة مبررًا للظلم.

وكان يحفظ العهود.

ويحفظ الأمان.

ويزور المريض.

ويحترم الإنسان.

ويعفو عندما يكون العفو إصلاحًا.

ويحزم عندما تقتضي حماية الحق والمجتمع ذلك.

وهذه الصورة المتوازنة هي التي ينبغي أن نفهم بها السيرة.

Edit with WPS Office

فالإسلام ليس ظلمًا باسم القوة، وليس تنازلًا باسم التسامح.

بل هو حق وعدل ورحمة وحكمة.

وقد جسد رسول الله ﷺ هذه المعاني في حياته.

ولهذا بقيت سيرته نموذجًا للإنسان الذي يستطيع أن يجمع بين الثبات على المبدأ، والرحمة بالإنسان.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل العشرون

رسول الله ﷺ قائدًا وبانيًا للدولة والمجتمع

تمهيد

لم تكن حياة رسول الله ﷺ مقتصرة على الدعوة الفردية أو التعليم الروحي، وإنما انتقلت رسالته في المدينة إلى مرحلة بناء مجتمع متكامل، له عقيدته، وقيمه، ونظامه، ومؤسساته، وعلاقاته الداخلية والخارجية.

وفي المدينة المنورة ظهر جانب آخر من شخصية النبي ﷺ: القائد و المربي والحاكم والقاضي وصانع المجتمع.

وقد استطاع ﷺ أن ينتقل بأمة كانت تعيش الانقسام والصراع إلى مجتمع يجمعه الإيمان، وينظمه العدل، وتحكمه المسؤولية.

ولم يكن بناء الدولة عنده غاية مستقلة، وإنما كان وسيلة لإقامة

Edit with WPS Office

الحق وحماية الناس وتنظيم شؤون المجتمع.

أولًا: الهجرة وبداية المرحلة الجديدة

كانت الهجرة النبوية نقطة تحول تاريخية.

فقد انتقل المسلمون من مكة إلى المدينة، وبدأت مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة.

لم تكن الهجرة مجرد انتقال من مكان إلى مكان، وإنما كانت انتقالًا من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة بناء المجتمع.

وفي المدينة أصبح للمسلمين مجتمع قادر على تنظيم شؤونه و الدفاع عن نفسه ونشر رسالته.

Edit with WPS Office

ثانيًا: المسجد أول مؤسسة في المجتمع الجديد

كان من أول الأعمال التي قام بها النبي ﷺ بعد وصوله إلى المدينة بناء المسجد.

ولم يكن المسجد مكانًا للصلاة فقط.

بل كان مركزًا للعبادة والتعليم والتربية والتشاور والتواصل الا جتماعي.

ومن المسجد خرجت أجيال الصحابة.

وفيه تعلموا القرآن والسنة.

وفيه اجتمعوا حول رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

وهذا يوضح أن بناء الإنسان كان مقدمًا على بناء الحجر.

ثالثًا: بناء الإنسان قبل بناء الدولة

لم يبدأ النبي ﷺ بالقوة العسكرية.

بل بدأ ببناء الإنسان.

فربى الصحابة على:

الإيمان.

والتقوى.

والصدق.

Edit with WPS Office

والأمانة.

والتضحية.

والرحمة.

والعدل.

وعندما أصبح الإنسان صالحًا، أصبح قادرًا على بناء مجتمع صالح.

رابعًا: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

من أعظم خطوات بناء المجتمع الجديد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

Edit with WPS Office

فقد كان المهاجرون قد تركوا أموالهم وبيوتهم.

وكان الأنصار قد فتحوا لهم قلوبهم وبيوتهم.

فأصبح المجتمع الجديد قائمًا على الأخوة بدل العصبية.

وهذا كان تحولًا اجتماعيًا عظيمًا.

خامسًا: القضاء على العصبية القبلية

كانت العصبية القبلية من أسباب النزاعات في الجزيرة العربية.

فجاء الإسلام ليجعل معيار التفاضل هو التقوى والعمل الصالح.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

وبذلك انتقل المجتمع من الانتماء القبلي الضيق إلى الانتماء إلى أمة تجمعها العقيدة والقيم.

سادسًا: وثيقة المدينة

من أهم الخطوات السياسية في المدينة وضع وثيقة تنظم العلاقة بين مكونات المجتمع.

وقد تضمنت تنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم، وتحديد المسؤوليات والحقوق، وترتيب شؤون المجتمع.

وأظهرت هذه الوثيقة أن المجتمع الجديد لم يكن قائمًا على الفوضى

Edit with WPS Office

، وإنما على نظام واتفاقات ومسؤوليات.

سابعًا: المواطنة والمسؤولية

كان المجتمع المدني يضم جماعات مختلفة.

وكان لكل جماعة حقوق وعليها مسؤوليات.

وكانت حماية المجتمع مسؤولية مشتركة في إطار النظام المتفق عليه.

وهذا يوضح أهمية فكرة المسؤولية الجماعية في بناء المجتمعات.

Edit with WPS Office

ثامنًا: سيادة العدل

كان العدل أساس الحكم النبوي.

فلا قيمة للسلطة إذا تحولت إلى ظلم.

وكان النبي ﷺ يؤكد أن الناس أمام الحق سواء.

وكانت العدالة لا تتغير بسبب القرابة أو المال أو المكانة.

تاسعًا: النبي ﷺ قاضيًا

كان النبي ﷺ يفصل بين الناس في الخصومات.

وكان يسمع من الطرفين.

Edit with WPS Office

ويحكم بما يظهر له من الحق.

وكان يحذر من أن يحصل أحد على حق غيره بسبب قوة حجته أو قدرته على الكلام.

وهذا يوضح أهمية القضاء العادل.

عاشرًا: الشورى

كان النبي ﷺ يستشير أصحابه.

قال تعالى:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

Edit with WPS Office

وكانت الشورى وسيلة للاستفادة من آراء أهل الخبرة.

ومن أمثلتها مشاوراته في بدر وأحد والخندق وغيرها.

الحادي عشر: احترام أصحاب الخبرة

لم يكن النبي ﷺ يتعامل مع أصحابه باعتبارهم متساوين في المهارات.

بل كان يعرف قدرات كل شخص.

فهذا بارع في القتال.

وهذا في الكتابة.

Edit with WPS Office

وهذا في التجارة.

وهذا في السياسة.

وهذا في الدعوة.

وهكذا وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

الثاني عشر: التخطيط

كان النبي ﷺ يأخذ بالأسباب.

وفي الهجرة مثلًا اتخذ ترتيبات دقيقة.

Edit with WPS Office

فلم تكن الهجرة حركة عشوائية.

بل كان هناك تخطيط للطريق، واختيار للرفيق، وترتيب للمعلومات، وأخذ بالأسباب مع التوكل على الله.

وهذا يعلمنا أن التوكل لا يعني ترك التخطيط.

الثالث عشر: الأمن

اهتم النبي ﷺ بأمن المجتمع.

فكان لا يسمح بأن يتحول المجتمع إلى ساحة للفوضى.

وكانت حماية الناس وأموالهم وأعراضهم من مقاصد الشريعة.

Edit with WPS Office

وكانت الدولة مطالبة بحماية المجتمع من العدوان الداخلي و الخارجي.

الرابع عشر: الدفاع عن المجتمع

عندما تعرض مجتمع المدينة للتهديد، لم يكن أمام المسلمين إلا الدفاع عن أنفسهم.

فوقعت بدر وأحد والخندق وغيرها من الأحداث.

وكانت هذه المواجهات جزءًا من واقع الجزيرة العربية في ذلك الوقت.

وكان النبي ﷺ يضع للحرب أخلاقًا وضوابط.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: أخلاق الحرب

لم تكن الحرب في المنهج النبوي بلا قيود.

فكان ينهى عن الغدر.

وينهى عن قتل غير المقاتلين.

ويحذر من الاعتداء.

ويؤكد الالتزام بالعهود.

وهذا يدل على أن القوة لا تلغي الأخلاق.

Edit with WPS Office

السادس عشر: الاقتصاد في المجتمع النبوي

اهتم النبي ﷺ بتنظيم الحياة الاقتصادية.

وحث على العمل.

وحرم الغش.

ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل.

وشجع على الصدقة.

وأقام نظام الزكاة.

وكان الهدف بناء مجتمع متكافل لا يترك الضعيف فريسة للحاجة.

Edit with WPS Office

السابع عشر: مكافحة الغش

قال ﷺ:

«من غش فليس مني».

وهذه قاعدة عظيمة في الحياة الاقتصادية.

فالتاجر المسلم لا يخدع المشتري.

ولا يخفي العيب.

ولا يستغل حاجة الناس.

فالأمانة الاقتصادية جزء من الدين.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: حماية حقوق الفقراء

اهتم الإسلام بالفقراء والمساكين.

وفرض الزكاة.

وحث على الصدقة.

وأقام مفهوم التكافل.

فالمجتمع المسلم ليس مجموعة أفراد يعيش كل منهم لنفسه، وإنما بينهم مسؤولية مشتركة.

Edit with WPS Office

التاسع عشر: مكانة العمل

كان النبي ﷺ يحث على العمل والكسب الحلال.

وكان يرفض أن يعيش الإنسان عالة على الآخرين دون سبب.

فالعمل الشريف عبادة إذا قصد به الإنسان الكسب الحلال وخدمة نفسه وأسرته ومجتمعه.

العشرون: حماية المال العام

لم يكن المال العام مباحًا لأصحاب السلطة.

وكان النبي ﷺ يحذر من الخيانة في الأموال التي يتولاها الإنسان بحكم مسؤوليته.

Edit with WPS Office

وهذا أصل مهم في مكافحة الفساد.

الحادي والعشرون: اختيار المسؤولين

كان النبي ﷺ يختار لبعض المهام من يرى فيه القدرة والكفاءة.

فلم يكن كل شخص يصلح لكل وظيفة.

وكانت المسؤولية أمانة.

ولهذا ينبغي أن يتولاها من يستطيع القيام بها.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: المسؤولية أمانة

قال النبي ﷺ:

«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته».

وهذه القاعدة تشمل:

الحاكم.

والقاضي.

والمعلم.

والأب.

والأم.

Edit with WPS Office

وكل إنسان له مسؤولية.

فكل سلطة تقابلها مسؤولية.

الثالث والعشرون: علاقة الحاكم بالمحكوم

لم يكن النبي ﷺ حاكمًا بعيدًا عن الناس.

بل كان يعيش بينهم.

ويعرف أحوالهم.

ويستمع إلى شكاواهم.

Edit with WPS Office

ويزور مرضاهم.

ويجلس مع فقرائهم.

وهذا يجعل القيادة قريبة من المجتمع.

الرابع والعشرون: بساطة القائد

لم تكن السلطة عند النبي ﷺ وسيلة للترف.

كان يعيش حياة بسيطة.

ويلبس ما يتيسر.

ويأكل ما يتيسر.

Edit with WPS Office

ويجلس مع أصحابه.

وهذا أعطى القيادة معنى مختلفًا.

فالسلطة عنده مسؤولية لا امتياز شخصي.

الخامس والعشرون: العفو السياسي

كان النبي ﷺ يعرف متى يعفو.

ومن أعظم الأمثلة فتح مكة.

فبعد سنوات من الصراع، دخل مكة منتصرًا.

Edit with WPS Office

وكان بإمكانه أن ينتقم.

لكنه اختار العفو عن كثير من أهلها.

وكان هذا القرار نقطة تحول في تاريخ مكة.

السادس والعشرون: فتح مكة

كان فتح مكة لحظة عظيمة.

دخل النبي ﷺ مكة منتصرًا.

لكن انتصاره لم يتحول إلى غرور.

بل دخل متواضعًا لله.

Edit with WPS Office

ثم أعلن الأمان.

وكان هذا من أعظم المواقف التي أظهرت الفرق بين الفتح للانتقام والفتح لإقامة الحق.

السابع والعشرون: إدارة الأزمات

واجه النبي ﷺ أزمات كثيرة:

أزمة الهجرة.

وأزمة بدر.

وأزمة أحد.

Edit with WPS Office

وأزمة الأحزاب.

وأزمة الحديبية.

وأزمات داخلية.

ومع ذلك كان يتعامل معها بالصبر والتخطيط والشورى.

الثامن والعشرون: غزوة الخندق نموذجًا للتخطيط

عندما تجمعت الأحزاب ضد المدينة، لم يكتف النبي ﷺ بالدعاء.

بل أخذ بالأسباب.

Edit with WPS Office

واستشار أصحابه.

وقبل فكرة حفر الخندق.

وشارك بنفسه في الحفر.

وهذا نموذج رائع للقائد الذي يشارك الناس العمل الصعب.

التاسع والعشرون: القائد الذي يعمل مع الناس

لم يكن النبي ﷺ يأمر أصحابه بالعمل ثم يجلس بعيدًا.

بل كان يعمل معهم.

ففي الخندق شارك في الحفر.

Edit with WPS Office

وكان يحمل التراب.

وهذا يرفع معنويات الناس أكثر من آلاف الكلمات.

الثلاثون: صناعة الوحدة

كان المجتمع في المدينة يحتاج إلى الوحدة.

وكان النبي ﷺ يعالج أسباب الفرقة.

ويحذر من النزاع.

ويؤكد الأخوة.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].

وكانت الوحدة من أسباب قوة المجتمع.

الحادي والثلاثون: إدارة التنوع

لم تكن المدينة مجتمعًا من لون واحد.

بل كانت فيها قبائل وجماعات مختلفة.

وكان النبي ﷺ يدير هذا التنوع من خلال العهود والحقوق و الواجبات.

Edit with WPS Office

وهذا يعلمنا أن اختلاف الناس لا يعني بالضرورة الفوضى.

الثاني والثلاثون: بناء المجتمع أخلاقيًا

لم يكتف النبي ﷺ بوضع الأنظمة.

بل بنى الأخلاق.

فنهى عن:

الكذب.

والغش.

والسرقة.

Edit with WPS Office

والظلم.

والغيبة.

والنميمة.

والخيانة.

وأمر بالصدق والأمانة وصلة الرحم والتكافل.

لأن القانون وحده لا يستطيع بناء مجتمع صالح إذا فسدت أخلاق أفراده.

الثالث والثلاثون: التعليم أساس الدولة

Edit with WPS Office

اهتم النبي ﷺ بالتعليم.

وكان المسجد مركزًا للعلم.

وكان الصحابة يتعلمون القرآن والسنة.

وكان يبعث المعلمين إلى القبائل والأمصار.

فالدولة التي لا تبني الإنسان بالعلم لا تستطيع أن تبني حضارة مستقرة.

الرابع والثلاثون: الكتابة والتوثيق

اهتم النبي ﷺ بالكتابة.

Edit with WPS Office

وكان له كتبة للوحي.

وكتبة للرسائل.

وكانت المراسلات والعهود توثق.

وهذا يدل على أهمية التوثيق في إدارة الدولة.

الخامس والثلاثون: العلاقات الخارجية

لم تكن المدينة معزولة عن العالم.

بل أرسل النبي ﷺ الرسائل إلى الملوك.

Edit with WPS Office

وأقام العهود.

وأدار العلاقات مع القبائل.

وهذا يدل على وجود تصور للعلاقات الخارجية.

السادس والثلاثون: العالمية

لم يكن النبي ﷺ يبني مجتمعًا مغلقًا.

بل كانت رسالته عالمية.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28].

Edit with WPS Office

فالدولة في المدينة كانت قاعدة لدعوة أوسع وأشمل.

السابع والثلاثون: الحاكم والخضوع للحق

كان النبي ﷺ أول من يلتزم بما يأمر به الناس.

فلم يجعل السلطة وسيلة للإفلات من المسؤولية.

وكان الحق فوق الأشخاص.

وهذا أصل عظيم في الحكم الرشيد.

Edit with WPS Office

الثامن والثلاثون: لا استبداد في القيادة النبوية

لم تكن القيادة النبوية قائمة على تجاهل آراء الآخرين.

بل كان النبي ﷺ يشاور أصحابه.

ويستمع إلى النصيحة.

ويقبل الرأي الصواب.

وهذا يدل على أن قوة القائد لا تعني احتقاره لآراء من حوله.

التاسع والثلاثون: التوازن بين القوة والرحمة

كان النبي ﷺ رحيمًا.

Edit with WPS Office

لكنه كان حازمًا عندما يحتاج الأمر إلى الحزم.

وكان قويًا في مواجهة العدوان.

لكنه لم يجعل القوة وسيلة للظلم.

وكان هذا التوازن من أسرار نجاحه القيادي.

الأربعون: الدولة وسيلة وليست غاية

لم يكن هدف النبي ﷺ بناء دولة من أجل السلطة.

فالغاية كانت عبادة الله وإقامة العدل وحماية المجتمع وإبلاغ الرسالة.

Edit with WPS Office

وهذا فارق مهم.

فالسلطة في المنهج الإسلامي أمانة وليست غنيمة.

الحادي والأربعون: نموذج القيادة النبوية

يمكن تلخيص القيادة النبوية في عدة مبادئ:

القدوة.

الشورى.

العدل.

Edit with WPS Office

الرحمة.

التخطيط.

تحمل المسؤولية.

اختيار الأكفاء.

حماية الضعفاء.

حفظ العهود.

مكافحة الفساد.

بناء الإنسان.

Edit with WPS Office

الثاني والأربعون: ماذا نتعلم اليوم؟

يمكن للمجتمعات المعاصرة أن تستفيد من المبادئ العامة في القيادة النبوية، مثل:

سيادة العدل.

محاربة الفساد.

احترام القانون.

حماية الحقوق.

اختيار الأكفاء.

تشجيع العلم.

Edit with WPS Office

رعاية الفقراء.

تقوية المجتمع.

احترام التنوع.

تحمل المسؤولية.

الثالث والأربعون: أعظم إنجاز

كان أعظم إنجاز للنبي ﷺ أنه لم يبنِ مجتمعًا يعتمد على شخصه فقط.

بل بنى أمة قادرة على الاستمرار.

Edit with WPS Office

وعندما توفي ﷺ استمرت الرسالة.

وهذا دليل على نجاح التربية والقيادة.

الرابع والأربعون: بعد وفاة النبي ﷺ

كانت وفاة النبي ﷺ أعظم اختبار للأمة.

لكن الصحابة استطاعوا تجاوز الصدمة.

وتولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قيادة المسلمين.

ثم جاء عمر.

Edit with WPS Office

ثم عثمان.

ثم علي رضي الله عنهم.

واستمرت الدولة وانتشرت الدعوة.

وكان ذلك من آثار البناء النبوي.

الخامس والأربعون: القائد الذي لا يصنع أتباعًا بل رجالًا

كان النبي ﷺ يصنع الإنسان القادر على تحمل المسؤولية.

ولهذا أصبح أصحابه بعده قادة وعلماء ودعاة وقضاة.

فالقائد العظيم ليس من يجعل الناس محتاجين إليه دائمًا.

Edit with WPS Office

بل من يعلمهم حتى يستطيعوا مواصلة الطريق من بعده.

خاتمة الفصل

لقد كان رسول الله ﷺ قائدًا فريدًا.

بنى المسجد، وبنى الإنسان.

وآخى بين المهاجرين والأنصار.

ونظم المجتمع.

وأقام العدل.

Edit with WPS Office

وشاور أصحابه.

وأخذ بالأسباب.

وحارب الفساد.

وحفظ العهود.

ورعى الفقراء.

ودافع عن المجتمع.

وأدار العلاقات الداخلية والخارجية.

وكان مع كل ذلك متواضعًا قريبًا من الناس.

لقد أثبتت سيرته أن بناء الدولة لا يبدأ بالقوة وحدها، وإنما يبدأ ببناء

Edit with WPS Office

الإنسان.

وأن المجتمع لا يستقر بالقوانين وحدها، وإنما يحتاج إلى الأخلاق.

وأن القيادة لا تكون بالهيمنة، وإنما بالقدوة والعدل والشورى و المسؤولية.

وهكذا استطاع رسول الله ﷺ أن يحول مجتمعًا متفرقًا إلى أمة تحمل رسالة.

فكان نبيًا وقائدًا ومربيًا وحاكمًا وقاضيًا، لكنه ظل قبل كل ذلك:

عبدًا لله ورسولًا منه.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الحادي والعشرون

رسول الله ﷺ عابدًا: صلته بالله ومنهجه في العبادة

تمهيد

إذا كانت القيادة والتربية والدعوة من أبرز جوانب شخصية رسول الله ﷺ، فإن الجانب الأعظم الذي قامت عليه حياته كلها هو العبودية لله تعالى.

فقد كان ﷺ أعرف الناس بربه، وأشدهم خشية له، وأكثرهم ذكرًا، وأعظمهم اجتهادًا في عبادته.

ولم تكن العبادة عنده طقوسًا منفصلة عن الحياة، بل كانت مصدر قوته وصبره وثباته ورحمته وعدله.

كان يقوم الليل، ويصلي، ويصوم، ويذكر الله، ويستغفره، ويدعوه،

Edit with WPS Office

ويتوكل عليه، ويعود إليه في كل أمر.

وكانت حياته كلها شاهدة على حقيقة عظيمة:

أن الإنسان كلما ازداد معرفة بالله، ازداد عبودية له وتواضعًا بين يديه.

أولًا: معنى العبودية في حياة النبي ﷺ

كان رسول الله ﷺ يعتز بعبوديته لله.

وقد وصفه الله تعالى في مواضع كثيرة بصفة العبودية.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: 1].

وقال:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: 1].

فالعبودية لله ليست نقصًا، وإنما هي أعظم مقام يصل إليه الإنسان.

ثانيًا: الصلاة في حياة النبي ﷺ

كانت الصلاة أعظم صلة يومية بين النبي ﷺ وربه.

وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وكانت الصلاة راحة قلبه.

Edit with WPS Office

وقال ﷺ:

«وجُعلت قرة عيني في الصلاة».

فلم تكن الصلاة عنده مجرد أداء واجب، وإنما كانت لقاءً مع الله.

ثالثًا: قيام الليل

كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه.

فقيل له: لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال:

Edit with WPS Office

«أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»

وهذه الإجابة تلخص فلسفة العبادة في حياته.

فهو لا يعبد الله خوفًا فقط، ولا طلبًا للثواب فقط، بل عبادة شكر ومحبة وتعظيم.

رابعًا: طول القيام

كان قيام الليل من أعظم عباداته ﷺ.

وكان يطيل الصلاة.

ويقرأ القرآن بتدبر.

Edit with WPS Office

ويخشع بين يدي الله.

وكانت هذه الخلوة الليلية مصدرًا من مصادر قوته في مواجهة أعباء الدعوة.

خامسًا: القرآن في حياته ﷺ

كان القرآن هو الكتاب الذي عاشه النبي ﷺ.

لم يكن القرآن عنده مجرد نصوص تحفظ.

بل كان منهجًا للحياة.

فكان إذا نزل عليه أمر طبقه.

Edit with WPS Office

وإذا نزل عليه توجيه امتثله.

وإذا نزل عليه وعد وثق به.

وإذا نزل عليه وعيد خاف منه.

سادسًا: تدبر القرآن

كان النبي ﷺ يتدبر القرآن.

وكانت آياته تؤثر فيه.

فإذا مر بآية رحمة سأل الله الرحمة.

وإذا مر بآية عذاب استعاذ بالله.

Edit with WPS Office

وهذا يعلمنا أن قراءة القرآن ليست مجرد سرعة في ختم الصفحات، وإنما المطلوب أن يصل القرآن إلى القلب.

سابعًا: كثرة الذكر

كان رسول الله ﷺ كثير الذكر لله.

وكان يذكر الله في أحواله المختلفة.

عند الاستيقاظ.

وعند النوم.

وعند الطعام.

Edit with WPS Office

وعند الخروج.

وعند الدخول.

وفي السفر.

وفي الحضر.

وهكذا أصبحت حياته مرتبطة بذكر الله.

ثامنًا: الاستغفار

كان النبي ﷺ يستغفر الله كثيرًا.

Edit with WPS Office

وقال ﷺ:

«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

وفي رواية أخرى جاء أنه كان يستغفر الله ويتوب إليه مائة مرة في اليوم.

وهذا يعلمنا أن الاستغفار ليس خاصًا بالمذنبين فقط، بل هو عبادة دائمة.

تاسعًا: الدعاء

كان النبي ﷺ كثير الدعاء.

وكان يسأل الله في كل شيء.

Edit with WPS Office

يسأله الهداية.

والنصر.

والرحمة.

والمغفرة.

والرزق.

والعافية.

وكان يعلم أصحابه أن الدعاء من أعظم أبواب الصلة بالله.

Edit with WPS Office

عاشرًا: التوكل على الله

كان النبي ﷺ يأخذ بالأسباب، ثم يتوكل على الله.

ففي الهجرة أخذ بالأسباب كاملة.

وفي الحرب خطط.

وفي الدعوة أرسل الدعاة.

لكنه لم يعتمد على الأسباب وحدها.

بل كان قلبه متعلقًا بالله.

وهذا هو التوكل الصحيح:

أخذ بالأسباب مع اعتماد القلب على الله.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: الخشية

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

وكان النبي ﷺ أعلم الناس بالله، ولذلك كان أعظمهم خشية له.

وكان قلبه حاضرًا مع الله.

الثاني عشر: شكر النعمة

Edit with WPS Office

كان ﷺ يشكر الله على نعمه.

فإذا أكل حمد الله.

وإذا شرب حمد الله.

وإذا رأى نعمة أثنى على الله.

وكان يرى أن النعمة تستوجب الشكر.

ولهذا قال في قيام الليل:

«أفلا أكون عبدًا شكورًا؟»

الثالث عشر: الصيام

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يصوم تطوعًا.

وكان يصوم أيامًا معينة.

وكان يكثر من الصيام في شعبان.

وكان يصوم رمضان.

وكان يعلم أصحابه أن الصيام ليس مجرد امتناع عن الطعام و الشراب، وإنما عبادة تهذب النفس.

الرابع عشر: رمضان في حياة النبي ﷺ

كان رمضان شهرًا خاصًا في حياته.

Edit with WPS Office

ففيه نزل القرآن.

وكان يكثر فيه من العبادة.

وكان أجود ما يكون.

وكان يعتكف في العشر الأواخر.

ويتحرى ليلة القدر.

الخامس عشر: الاعتكاف

كان النبي ﷺ يعتكف في المسجد.

Edit with WPS Office

والاعتكاف فرصة للانقطاع عن مشاغل الدنيا والتفرغ للعبادة.

وكان ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان.

وفي ذلك درس في أهمية تخصيص أوقات للخلوة بالله.

السادس عشر: الحج والعمرة

أدى النبي ﷺ الحج وعلم الأمة مناسكه.

وكان حجه نموذجًا عمليًا في العبادة.

قال ﷺ:

«خذوا عني مناسككم».

Edit with WPS Office

فلم يكن التعليم بالكلام فقط، وإنما بالتطبيق العملي.

السابع عشر: العبادة في السفر

حتى في السفر لم تنقطع صلته باللّٰه.

كان يذكر اللّٰه.

ويصلي.

ويدعو.

ويحمد اللّٰه.

Edit with WPS Office

وهذا يعلمنا أن العبادة ليست مرتبطة بمكان معين.

الثامن عشر: العبادة في الشدة

عندما كانت تشتد الأزمات كان النبي ﷺ يزداد قربًا من الله.

في بدر دعا الله طويلًا.

وفي الشدائد كان يلجأ إليه.

فكان يعرف أن النصر الحقيقي من عند الله.

التاسع عشر: العبادة في النصر

Edit with WPS Office

لم يكن النصر يجعله مغرورًا.

فعندما جاء نصر الله والفتح، أمره الله بالتسبيح والاستغفار.

قال تعالى:

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: 3].

وهذا يعلمنا أن النجاح ينبغي أن يزيد الإنسان تواضعًا وشكرًا.

العشرون: الخلوة بالله

كان النبي ﷺ يحب الخلوة للعبادة.

Edit with WPS Office

وكان قبل البعثة يتحنث في غار حراء.

وبعد البعثة استمرت حياته في الاتصال بالله من خلال الصلاة و الذكر والدعاء والقيام.

فالإنسان يحتاج إلى أوقات يبتعد فيها عن ضجيج الدنيا ويراجع قلبه.

الحادي والعشرون: العبادة والأخلاق

لم تكن عبادة النبي ﷺ منفصلة عن أخلاقه.

فصلاته جعلته أكثر خشوعًا.

وذكره جعل قلبه أكثر طمأنينة.

Edit with WPS Office

وصيامه ربى نفسه على الصبر.

وقيامه زاده تواضعًا.

فثمرة العبادة الحقيقية تظهر في السلوك.

الثاني والعشرون: العبادة والعمل

لم يكن النبي ﷺ يترك العمل بحجة العبادة.

بل كان يجمع بين:

العبادة.

Edit with WPS Office

والدعوة.

والأسرة.

والقيادة.

والقضاء.

والجهاد.

والتعليم.

وهذا يدل على شمولية الإسلام.

الثالث والعشرون: العبادة ليست هروبًا من الحياة

Edit with WPS Office

لم يكن النبي ﷺ يعتزل المجتمع ليعبد الله فقط.

بل كان يعيش بين الناس.

ويحكم بينهم.

ويعلمهم.

ويبيع ويشتري.

ويتزوج.

ويزور المرضى.

ويشارك في شؤون المجتمع.

Edit with WPS Office

ومع ذلك كان قلبه متعلقًا بالله.

الرابع والعشرون: التوازن بين الدنيا والآخرة

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن الدنيا ليست محرمة.

لكن لا ينبغي أن تتحول إلى غاية.

قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77].

فالمسلم يعيش في الدنيا، لكنه يعمل للآخرة.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: العبادة في البيت

كان النبي ﷺ يصلي في بيته بعض النوافل.

وكان يذكر الله في بيته.

وكان بيته مكانًا للعبادة كما كان مكانًا للأسرة.

وهذا يعلمنا أن البيت المسلم ينبغي أن يكون فيه نصيب من القرآن والصلاة والذكر.

السادس والعشرون: العبادة والتواضع

Edit with WPS Office

كلما ازداد النبي ﷺ عبادة ازداد تواضعًا.

لم يكن يرى العبادة سببًا للتكبر على الناس.

بل كانت تزيده رحمة.

فالعبادة التي تجعل الإنسان يحتقر الآخرين لم تحقق مقصدها الحقيقي.

السابع والعشرون: العبادة والصبر

الصلاة والصيام والقيام والذكر كلها تربي النفس على الصبر.

والنبي ﷺ كان أكثر الناس صبرًا.

Edit with WPS Office

صبر على أذى قومه.

وصبر على الفقر.

وصبر على فقد الأحبة.

وصبر على مشقة الدعوة.

وكانت صلته بالله مصدرًا لهذا الصبر.

الثامن والعشرون: العبادة والطمأنينة

قال تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ يعيش هذه الطمأنينة.

فمع كثرة المسؤوليات، كان قلبه مطمئنًا إلى الله.

التاسع والعشرون: العبادة في المرض

حتى في مرضه الأخير ظل النبي ﷺ متعلقًا بالصلاة.

وكان يؤكد أهمية الصلاة.

وكان من آخر وصاياه:

«الصلاة الصلاة».

Edit with WPS Office

وهذا يبين مكانتها العظيمة في الإسلام.

الثلاثون: العبادة في آخر أيامه

في أيام مرضه الأخير كان قلبه متعلقًا باللّٰه.

وكان يذكر اللّٰه.

ويصلي ما استطاع.

ويطمئن أصحابه.

وظلت العبودية هي عنوان حياته حتى آخر لحظة.

Edit with WPS Office

الحادي والثلاثون: العبودية والكرامة

قد يظن البعض أن العبودية لله تعني الذل.

لكنها في الحقيقة أعظم كرامة.

فالإنسان الذي يعبد الله يتحرر من عبودية الناس.

ولا يصبح عبدًا للمال.

ولا للشهرة.

ولا للسلطة.

ولا للهوى.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: تحرير القلب

كان النبي ﷺ يربي أصحابه على أن القلب لا يتعلق إلا بالله.

فإذا تعلق الإنسان بالله، أصبح أكثر قوة أمام الدنيا.

لا تغره الثروة.

ولا يخيفه الفقر.

ولا تجعله السلطة متكبرًا.

ولا تجعله المصيبة يائسًا.

Edit with WPS Office

الثالث والثلاثون: العبادة والرحمة

كان النبي ﷺ رحيمًا لأن قلبه متعلق بالله.

فالذي يعرف أن الله رحيم، يتعلم الرحمة.

والذي يعرف أن الله عفو، يتعلم العفو.

والذي يرجو رحمة الله، يرجو الخير للناس.

الرابع والثلاثون: العبادة والعدل

كان ارتباط النبي ﷺ بالله سببًا في عدله.

Edit with WPS Office

فلم يكن يحكم لمصلحة شخصية.

وكان يعرف أنه مسؤول أمام الله.

ولهذا كان العدل عنده فوق الأهواء.

الخامس والثلاثون: العبادة والشجاعة

الإنسان الذي يثق بالله لا يخضع للخوف من البشر.

ولهذا كان النبي ﷺ ثابتًا.

وكان يقول لأصحابه في المواقف الصعبة ما يثبت قلوبهم.

وكان إيمانه بالله مصدر شجاعته.

Edit with WPS Office

السادس والثلاثون: العبادة وصناعة الإنسان

العبادة في الإسلام ليست مجرد حركات.

إنها صناعة للإنسان.

الصلاة تعلم الانضباط.

والصيام يعلم الصبر.

والزكاة تعلم البذل.

والحج يعلم المساواة.

Edit with WPS Office

والذكر يعلم حضور القلب.

والدعاء يعلم الافتقار إلى الله.

السابع والثلاثون: ماذا نتعلم من عبادته ﷺ؟

نتعلم أن:

الصلاة ليست عبئًا.

والقرآن ليس كتابًا للقراءة فقط.

والذكر ليس كلمات بلا معنى.

والدعاء ليس آخر الحلول.

Edit with WPS Office

والصيام ليس مجرد جوع.

والصدقة ليست نقصًا في المال.

بل كلها أبواب لصناعة القلب.

الثامن والثلاثون: العبادة في حياة المسلم المعاصر

يستطيع المسلم اليوم أن يقتدي بالنبي ﷺ من خلال:

المحافظة على الصلاة.

قراءة القرآن.

Edit with WPS Office

الإكثار من الذكر.

الاستغفار.

الدعاء.

الصيام.

الصدقة.

صلة الرحم.

القيام ولو قليلًا.

وتخصيص وقت لمحاسبة النفس.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: القليل الدائم

كان من هدي النبي ﷺ الحث على العمل المستمر.

فالأعمال الصالحة لا يشترط أن تكون ضخمة.

قد يكون:

ركعتين.

أو صفحة قرآن.

أو صدقة.

أو ذكرًا.

Edit with WPS Office

أو دعاء.

لكن المهم الاستمرار والإخلاص.

الأربعون: الإخلاص

كان النبي ﷺ يعلم أن العبادة لا تقبل إلا بالإخلاص.

فليس الهدف أن يراه الناس.

ولا أن يمدحوه.

ولا أن يقال عنه عابد.

بل أن يكون العمل لله.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3].

الحادي والأربعون: العبادة والحب

كان النبي ﷺ يعبد الله حبًا وتعظيمًا ورجاءً وخوفًا.

وكانت علاقته بالله علاقة قلبية عميقة.

ولذلك لم تكن عبادته جافة أو آلية.

بل كانت مليئة بالحضور والخشوع.

Edit with WPS Office

الثاني والأربعون: العبادة والخوف والرجاء

كان النبي ﷺ يجمع بين الخوف والرجاء.

يخاف الله ويطمع في رحمته.

وهذا هو التوازن الصحيح.

فلا يأمن الإنسان مكر الله.

ولا ييأس من رحمته.

الثالث والأربعون: أعظم مقام

Edit with WPS Office

أعظم ما يمكن أن يوصف به الإنسان هو أن يكون عبدًا لله.

ولهذا قال الله تعالى عن النبي ﷺ:

.{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ}.

فكانت العبودية شرفًا له ﷺ.

الرابع والأربعون: إذا صلحت الصلة بالله

إذا صلحت صلة الإنسان بالله:

صلح قلبه.

Edit with WPS Office

وصلح سلوكه.

واستقام لسانه.

وحسنت معاملته.

وقوي عند الشدائد.

وصبر عند البلاء.

وشكر عند النعمة.

وهذا ما نراه واضحًا في حياة رسول الله ﷺ.

الخامس والأربعون: رسالة إلى المسلم

Edit with WPS Office

أيها المسلم:

إذا أردت أن تقتدي برسول الله ﷺ، فلا تقتصر على معرفة أخلاقه مع الناس.

بل انظر إلى علاقته بالله.

تعلم كيف كان يصلي.

وكيف كان يدعو.

وكيف كان يذكر.

وكيف كان يستغفر.

وكيف كان يقوم الليل.

Edit with WPS Office

وكيف كان يشكر.

فمن هنا تبدأ صناعة الإنسان الحقيقي.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ أعظم الناس عبودية لله.

كان يصلي.

ويصوم.

ويقوم الليل.

Edit with WPS Office

ويذكر الله.

ويستغفر.

ويدعو.

ويتلو القرآن.

ويشكر النعمة.

ويصبر على البلاء.

ويتكل على الله.

وكانت عبادته هي القوة الداخلية التي صنعت صبره ورحمته وشجاعته وعدله.

Edit with WPS Office

لم يكن ﷺ عابدًا يهرب من الحياة، ولا قائدًا ينسى العبادة.

بل جمع بين الأمرين.

عبد الله في المسجد، وعبد الله وهو بين الناس.

قام الليل، وقاد الأمة.

بكى بين يدي الله، وخاض غمار الحياة.

دعا ربه، وأخذ بالأسباب.

وهذا هو النموذج المتكامل الذي تقدمه لنا سيرته.

فإذا أردنا أن نعرف سر ثبات رسول الله ﷺ، وجدنا الجواب في صلته بالله.

Edit with WPS Office

وإذا أردنا أن نفهم سر رحمته، وجدنا قلبًا عامرًا بالإيمان.

وإذا أردنا أن نفهم سر شجاعته، وجدنا يقينًا باللّٰه.

وإذا أردنا أن نفهم سر صبره، وجدنا قلبًا متعلقًا بالآخرة.

وهكذا كانت حياته كلها ترجمة لمعنى واحد:

العبد لله هو الحر من كل ما سواه.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثاني والعشرون

رسول الله ﷺ رحمةً للعالمين

تمهيد

من أعظم الصفات التي وصف الله بها نبيه محمدًا ﷺ أنه كان رحمة للعالمين.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

فالرحمة لم تكن خلقًا عابرًا في شخصية رسول الله ﷺ، وإنما كانت منهجًا شاملًا ظهر في عبادته، ودعوته، وأسرته، وأصحابه، والفقراء، و الأطفال، والضعفاء، بل وحتى في تعامله مع الحيوان.

Edit with WPS Office

وكانت رحمته ﷺ لا تعني الضعف أو التنازل عن الحق، وإنما كانت رحمةً مقرونة بالحكمة والعدل.

أولًا: رسول الله ﷺ رحمة من الله

بعث الله نبيه ﷺ رحمة للعالمين.

فجاء بالهداية بعد الضلال.

وبالتوحيد بعد الشرك.

والعدل بعد الظلم.

والعلم بعد الجهل.

Edit with WPS Office

والأخوة بعد العصبية.

فكانت رسالته في جوهرها رحمة بالإنسان.

ثانيًا: رحمته بأمته

كان النبي ﷺ شديد الحرص على أمته.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

فكان يتألم لما يصيب أمته، ويحرص على هدايتها ونجاتها.

Edit with WPS Office

ثالثًا: رحمته بالأطفال

كان النبي ﷺ يحب الأطفال.

وكان يحملهم ويلاطفهم.

وكان يسلم عليهم.

وكان يخفف الصلاة إذا سمع بكاء الصبي.

وفي ذلك درس عظيم في مراعاة مشاعر الأطفال واحتياجاتهم.

رابعًا: رحمته بالحسن والحسين

Edit with WPS Office

كان ﷺ يحب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكان يقبلهما ويلاطفهما.

وهذا يدل على أن إظهار الحب للأطفال ليس أمرًا ثانويًا في التربية، بل هو جزء من المنهج النبوي.

خامسًا: رحمته باليتامى

اهتم الإسلام باليتيم اهتمامًا بالغًا.

قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9].

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ يحث على رعاية اليتامى والإحسان إليهم.

وقال ﷺ:

«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا».

وأشار بالسبابة والوسطى.

سادسًا: رحمته بالفقراء

لم يكن الفقر سببًا لاحتقار الإنسان في المجتمع النبوي.

بل كان النبي ﷺ يجلس مع الفقراء.

Edit with WPS Office

ويأكل معهم.

ويزورهم.

ويحث على رعايتهم.

وكان يعلم الأمة أن قيمة الإنسان ليست في ماله.

سابعًا: رحمته بالمساكين

كان النبي ﷺ يوصي بأهل الحاجة.

وكان يحث أصحابه على إطعام الطعام.

وإغاثة المحتاج.

Edit with WPS Office

والصدقة على الفقراء.

وكان يرى أن المجتمع المسلم لا يترك الضعيف وحده.

ثامنًا: رحمته بالنساء

جاء النبي ﷺ في مجتمع كانت المرأة فيه تعاني صورًا متعددة من الظلم، فأكد كرامتها وحقوقها.

وكان يوصي بالنساء خيرًا.

وقال ﷺ:

«استوصوا بالنساء خيرًا».

Edit with WPS Office

وكان يتعامل مع زوجاته بالرحمة والرفق.

تاسعًا: رحمته بأهل بيته

كان النبي ﷺ يساعد أهله.

وكان يعيش معهم حياة طبيعية.

وكان يلاطف زوجاته.

ويستمع إليهن.

ويشاركهن مشاعرهن.

Edit with WPS Office

وكان خير نموذج في التعامل الأسري.

عاشرًا: رحمته بالخدم

كان النبي ﷺ يعامل خدمه بالرحمة.

وقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه إنه خدم النبي ﷺ سنوات، فما كان ﷺ يعنفه على ما يفعل أو يترك.

وهذا نموذج عظيم في احترام العامل والخادم.

الحادي عشر: رحمته بالضعفاء

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يراعي أحوال الضعفاء.

فلا يحملهم ما لا يطيقون.

وكان يوجه أصحابه إلى مراعاة كبار السن والمرضى وأصحاب الحاجات.

الثاني عشر: رحمته بالمخطئين

لم يكن النبي ﷺ يسارع إلى إهانة المخطئ.

بل كان ينظر إلى حاله.

ويعلمه.

Edit with WPS Office

ويصحح خطأه.

وكان يفرق بين الخطأ وصاحب الخطأ.

وهذه قاعدة تربوية عظيمة.

الثالث عشر: قصة الأعرابي الذي بال في المسجد

من أشهر المواقف الدالة على رحمته ﷺ قصة الأعرابي الذي بال في المسجد.

فلم يترك النبي ﷺ الصحابة يضربونه، وإنما وجههم إلى تركه حتى ينتهي، ثم أمر بتنظيف المكان، وعلم الرجل بهدوء.

كان بإمكانه أن يعنفه، لكنه اختار التعليم.

Edit with WPS Office

وهذا هو الفرق بين العقوبة التي تصلح، والغضب الذي يزيد المشكلة.

الرابع عشر: رحمته بالجاهل

كان بعض الناس يأتون إلى النبي ﷺ وهم لا يعرفون أحكام الإسلام.

فكان يعلمهم.

ولم يكن يطلب منهم أن يعرفوا كل شيء قبل أن يبدأوا.

بل كان يربيهم بالتدرج.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: رحمته في الصلاة

كان النبي ﷺ يطيل الصلاة أحيانًا.

لكنه كان يراعي أحوال الناس.

وقال ﷺ:

«إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم وذا الحاجة».

فحتى العبادة الجماعية راعى فيها أحوال الناس.

السادس عشر: رحمته في الدعوة

Edit with WPS Office

لم يكن النبي ﷺ يريد المشقة على الناس.

بل كان ييسر عليهم في حدود الشرع.

وكان يقول:

«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

وهذه قاعدة عظيمة في الدعوة والتربية.

السابع عشر: رحمته بالجاهل في السؤال

كان الصحابة أحيانًا يسألون أسئلة بسيطة.

وكان النبي ﷺ يجيبهم.

Edit with WPS Office

ولم يكن يحتقر السؤال.

لأن السؤال باب من أبواب التعلم.

الثامن عشر: رحمته في التعليم

كان ﷺ يكرر المعلومة عند الحاجة.

ويستخدم الأمثال.

ويضرب القصص.

ويطرح الأسئلة.

Edit with WPS Office

ويراعي اختلاف الناس.

كل ذلك يدل على أن التعليم عنده كان قائمًا على الرحمة.

التاسع عشر: رحمته بالحيوانات

لم تقتصر رحمته ﷺ على الإنسان.

بل اهتم بالحيوان أيضًا.

وحذر من تعذيبه.

وأخبر عن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها حتى ماتت.

وفي المقابل ذكر رجلًا سقى كلبًا فغفر الله له.

Edit with WPS Office

وهذا يدل على عظمة الرحمة في الإسلام.

العشرون: النهي عن تعذيب الحيوان

كان النبي ﷺ ينهى عن اتخاذ الحيوان هدفًا للرمي.

وكان يأمر بالإحسان إلى الحيوانات.

فالحيوان مخلوق من مخلوقات الله، وله حق في الرحمة وعدم التعذيب.

الحادي والعشرون: الرحمة في الذبح

Edit with WPS Office

حتى عند ذبح الحيوان أمر النبي ﷺ بالإحسان.

وقال:

«إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة.

وهذا يبين أن الرحمة ليست مرتبطة بالضعف، وإنما هي خلق عام.

الثاني والعشرون: رحمته بالطبيعة

نهى النبي ﷺ عن الإفساد والاعتداء.

Edit with WPS Office

وكانت تعاليم الإسلام تحث على عدم الإضرار.

فالإنسان مستخلف في الأرض ومسؤول عن أفعاله.

الثالث والعشرون: رحمته بالمجتمع

كان النبي ﷺ يريد مجتمعًا متراحمًا.

قال ﷺ:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد».

فإذا تألم عضو تأثر به سائر الجسد.

وهذا تصوير رائع للتكافل الاجتماعي.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: إفشاء السلام

كان النبي ﷺ يحث على إفشاء السلام.

والسلام كلمة بسيطة، لكنها تزرع الأمان والمحبة بين الناس.

ولهذا جعل الإسلام السلام وسيلة من وسائل بناء المجتمع.

الخامس والعشرون: إطعام الطعام

كان إطعام الطعام من الأعمال التي حث عليها النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

فالطعام يزيل الجوع، لكنه أيضًا يبني العلاقات ويقرب القلوب.

السادس والعشرون: عيادة المريض

كان النبي ﷺ يعود المرضى.

وكان يعلم أصحابه أن زيارة المريض من أبواب البر.

وفيها تخفيف عن المريض وإشعار له بأنه ليس وحده.

السابع والعشرون: مواساة المصاب

كان النبي ﷺ يواسي أصحاب المصائب.

Edit with WPS Office

ويعلمهم الصبر.

ويذكرهم باللّٰه.

وكان يعرف أن الإنسان في لحظة الألم يحتاج إلى كلمة رحيمة أكثر من حاجته إلى الكلام الكثير.

الثامن والعشرون: رحمته عند موت الأحبة

عندما مات ابنه إبراهيم، بكى النبي ﷺ.

وقال:

«إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا».

Edit with WPS Office

وهنا يظهر التوازن النبوي:

الحزن لا ينافي الصبر.

والبكاء لا ينافي الرضا بالله.

التاسع والعشرون: رحمته عند الفقد

فقد النبي ﷺ عددًا من أحب الناس إليه.

فقد خديجة رضي الله عنها.

وفقد عمه أبا طالب.

Edit with WPS Office

وفقد أبناءه.

وفقد أصحابه.

ومع ذلك ظل صابرًا محتسبًا.

الثلاثون: الرحمة والعفو

كان النبي ﷺ يعفو عندما يكون العفو خيرًا.

وفي فتح مكة ظهر هذا الخلق بأوضح صورة.

فقد عاد إلى قوم أخرجوه وحاربوه، ومع ذلك فتح لهم باب العفو.

Edit with WPS Office

الحادي والثلاثون: الرحمة لا تعني ترك الحق

كان النبي ﷺ رحيمًا، لكنه لم يكن متساهلًا في حقوق الله والناس.

فالرحمة الحقيقية لا تعني أن نترك الظلم بلا علاج.

بل تعني أن نضع كل أمر في موضعه.

الثاني والثلاثون: الرحمة والعدل

الرحمة والعدل ليسا متناقضين.

فالعدل يمنع الظلم.

Edit with WPS Office

والرحمة تمنع القسوة.

والحكمة تجمع بينهما.

وهذا من أجمل معاني المنهج النبوي.

الثالث والثلاثون: الرحمة في الأسرة

كان البيت النبوي مدرسة في الرحمة.

كان النبي ﷺ يلاطف زوجاته.

ويستمع إليهن.

ويتحمل ما يقع منهن من الغيرة.

Edit with WPS Office

وكان يعلم الأمة أن خير الناس خيرهم لأهله.

الرابع والثلاثون: الرحمة مع الشباب

كان النبي ﷺ يستقبل الشباب.

ويستمع إليهم.

ويكلفهم بالمهام.

وكان يعطيهم الثقة.

فلم يكن يرى الشباب مجرد طاقة تحتاج إلى المنع، بل طاقة تحتاج إلى التوجيه.

Edit with WPS Office

الخامس والثلاثون: الرحمة مع المخالف

كان النبي ﷺ يفرق بين مخالفة الإنسان وبين كرامته الإنسانية.

فكان يدعو المخالف إلى الحق، ويعدل معه، ويحفظ حقوقه إذا كان مسالمًا.

وهذا من أعظم صور الرحمة.

السادس والثلاثون: الرحمة في الحرب

حتى في الحرب وضع النبي ﷺ ضوابط.

Edit with WPS Office

فلم يجعل القتال فوضى.

وكان ينهى عن قتل من لا يشارك في القتال.

وكان يحذر من الغدر.

وكان يلتزم بالعهود.

السابع والثلاثون: الرحمة في النصر

الإنسان قد يكون رحيمًا وهو ضعيف.

لكن الرحمة تظهر حقيقتها عندما يصبح الإنسان قويًا.

Edit with WPS Office

وقد ظهر ذلك في فتح مكة.

فكان النبي ﷺ قادرًا على الانتقام، ولكنه اختار العفو في مواضع كثيرة.

الثامن والثلاثون: الرحمة طريق إلى القلوب

كان الناس يحبون النبي ﷺ لأنه كان رحيمًا بهم.

والقلب لا يفتح بالقوة.

وإنما يفتح بالرحمة والصدق والإحسان.

ولهذا قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159].

التاسع والثلاثون: لو كان فظًا غليظ القلب

قال تعالى:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

فمن أسباب اجتماع الناس حول النبي ﷺ رحمته ولينه.

وهذا درس عظيم لكل قائد ومربٍّ وداعية.

الأربعون: الرحمة في القيادة

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ قائدًا، لكنه لم يكن قائدًا قاسيًا.

كان يستشير.

ويعفو.

ويشجع.

ويواسي.

ويحمل هموم الناس.

ولهذا أحبوه واتبعوه.

Edit with WPS Office

الحادي والأربعون: الرحمة في التربية

المربي الذي لا يرحم طلابه قد يجعلهم يخافون منه، لكنه لا يستطيع أن يجعلهم يحبون العلم.

أما الرحمة فتبني الثقة.

والثقة تفتح باب التعلم.

وهذا ما نراه في مدرسة النبي ﷺ.

الثاني والأربعون: الرحمة في الدعوة

الداعية الناجح لا يجعل الناس يهربون من الدين بسبب قسوته.

Edit with WPS Office

بل يقدم الدين بالحكمة.

ويعرف أحوال الناس.

ويراعي ضعفهم.

ويأخذ بأيديهم خطوة خطوة.

الثالث والأربعون: الرحمة لا تلغي الحزم

قد يحتاج المربي إلى الحزم.

وقد يحتاج القائد إلى اتخاذ قرار صعب.

وقد يحتاج المجتمع إلى عقوبة تمنع الظلم.

Edit with WPS Office

لكن الحزم إذا كان بلا رحمة يتحول إلى قسوة.

والرحمة إذا كانت بلا حكمة قد تتحول إلى فوضى.

والمنهج النبوي جمع بين الرحمة والحكمة والحزم.

الرابع والأربعون: كيف نقتدي برحمة النبي ﷺ؟

نقتدي به عندما:

نرحم أبناءنا.

ونحترم كبار السن.

Edit with WPS Office

ونرعى اليتيم.

ونساعد الفقير.

ونحسن إلى العامل.

ونزور المريض.

ونواسي المصاب.

ونعفو عند المقدرة.

ونحسن إلى الحيوان.

ونعدل مع المخالف.

ونبتعد عن القسوة في التربية والدعوة.

Edit with WPS Office

الخامس والأربعون: الرحمة تبدأ من القلب

لا يستطيع الإنسان أن يكون رحيمًا في سلوكه إذا كان قلبه مليئًا بـ الحقد والكبر.

ولهذا كانت الرحمة النبوية ثمرة لقلب عامر بالإيمان.

فكلما زاد الإيمان، ينبغي أن تظهر آثاره في التعامل مع الخلق.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين.

Edit with WPS Office

رحم الطفل.

ورحم المرأة.

ورحم اليتيم.

ورحم الفقير.

ورحم المريض.

ورحم الخادم.

ورحم المخطئ.

ورحم الحيوان.

Edit with WPS Office

وكان رحيمًا بأمته، حريصًا على هدايتها ونجاتها.

وكانت رحمته لا تعني ضعفًا ولا تنازلًا عن الحق.

بل كانت رحمةً واعيةً، قائمة على الحكمة والعدل.

لقد علمنا ﷺ أن القوة بلا رحمة ظلم، وأن الرحمة بلا حكمة قد تكون عجزًا، وأن أجمل طريق هو الجمع بين الرحمة والعدل و الحكمة.

ومن هنا نفهم قول الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

فلم تكن رحمته ﷺ شعارًا يقال، بل كانت حياة تُعاش.

كانت في ابتسامته.

Edit with WPS Office

وفي كلامه.

وفي بيته.

وفي مسجده.

وفي قيادته.

وفي دعوته.

وفي تعامله مع الضعفاء.

وفي عفوه عند المقدرة.

ولهذا بقيت رحمته ﷺ من أعظم أبواب معرفة شخصيته.

Edit with WPS Office

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثالث والعشرون

رسول الله ﷺ في بيته: الزوج الرحيم والأب الحاني

تمهيد

إذا كان رسول الله ﷺ قدوة للأمة في المسجد والسوق وميدان الدعوة والقيادة، فإنه كان كذلك قدوة في بيته.

فالبيت هو المكان الذي تظهر فيه حقيقة الأخلاق؛ إذ يستطيع الإ نسان أن يتجمل أمام الناس، لكنه في بيته يكون على طبيعته.

وقد كان بيت النبي ﷺ مدرسة في الرحمة، والرفق، والصبر، والوفاء ، وحسن المعاشرة.

قال الله تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

Edit with WPS Office

وكان رسول الله ﷺ أول من طبق هذا الأمر.

أولًا: خير الناس خيرهم لأهله

قال النبي ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وهذه قاعدة عظيمة في الأخلاق.

فالإنسان لا يُقاس فقط بطريقة تعامله مع الغرباء، وإنما يظهر خلقه الحقيقي في تعامله مع أقرب الناس إليه.

Edit with WPS Office

ثانيًا: بساطة حياته في البيت

كان بيت النبي ﷺ بسيطًا.

لم يكن يعيش حياة الترف والرفاهية التي كان يمكن أن يعيشها قائد أمة.

وكانت حجراته متواضعة، وأثاثه قليلًا.

ومع ذلك كان بيته مليئًا بالإيمان والطمأنينة والمحبة.

ثالثًا: كان يساعد أهله

سُئلت عائشة رضي الله عنها عن حال النبي ﷺ في بيته، فقالت إنه

Edit with WPS Office

كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

وهذا موقف عظيم.

فالنبي ﷺ، مع مكانته وقيادته للأمة، لم يكن يرى خدمة أهله نقصًا.

بل كان يشاركهم في شؤون البيت.

رابعًا: التواضع داخل الأسرة

لم يكن النبي ﷺ يتعامل مع أسرته بمنطق الحاكم الذي يجب أن يطاع في كل شيء.

بل كان زوجًا قريبًا.

Edit with WPS Office

يستمع.

ويبتسم.

ويشارك.

ويتحمل.

ويعفو.

وهذا هو التواضع الحقيقي.

خامسًا: مداعبة الزوجات

كان النبي ﷺ يلاطف زوجاته.

Edit with WPS Office

وكان يبتسم لهن.

وكان يسمح بالمداعبة المباحة التي تدخل السرور على القلب.

وهذا يدل على أن الحياة الزوجية ليست أوامر وواجبات فقط، وإنما تحتاج إلى مشاعر وابتسامة ومودة.

سادسًا: سباقه مع عائشة رضي الله عنها

من أشهر صور الملاطفة بين النبي ﷺ وعائشة رضي الله عنها أنه سابقها.

وكانت هذه الملاطفة صورة من صور الألفة بين الزوجين.

Edit with WPS Office

فالحياة الزوجية تحتاج إلى لحظات من المرح المشروع.

سابعًا: الوفاء لخديجة رضي الله عنها

كان النبي ﷺ وفيًا للسيدة خديجة رضي الله عنها حتى بعد وفاتها.

وكان يذكرها بخير.

وكان يكرم صديقاتها.

وكان يقول عنها:

«إنها كانت وكانت».

وكان وفاؤه لها دليلًا على عمق المحبة الزوجية.

Edit with WPS Office

ثامنًا: الحب لا ينتهي بالموت

لم يكن موت خديجة رضي الله عنها نهاية وفاء النبي ﷺ لها.

بل ظل يذكرها.

وهذا يعلمنا أن الوفاء من أعظم صور الحب.

فالإنسان الوفي لا ينسى من أحسن إليه.

تاسعًا: الغيرة الزوجية

Edit with WPS Office

كانت زوجات النبي ﷺ بشرًا، وكان يقع منهن ما يقع من النساء من الغيرة.

وكان النبي ﷺ يفهم طبيعة المرأة.

ولم يكن يتعامل مع الغيرة بعنف.

بل كان يعالج المواقف بحكمة.

وهذا درس مهم في الحياة الزوجية.

عاشرًا: فهم طبيعة المرأة

كان النبي ﷺ يعرف أن للمرأة طبيعة ومشاعر خاصة.

Edit with WPS Office

وكان يراعي ذلك.

وكان يعلم أصحابه حسن التعامل مع النساء.

وقال ﷺ:

«استوصوا بالنساء خيرًا».

الحادي عشر: الرفق في الخلاف

الخلاف الزوجي أمر طبيعي.

لكن المشكلة ليست في وجود الخلاف، وإنما في طريقة التعامل معه.

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ يعلم الأمة أن الرفق أفضل من العنف.

فالزوج الحكيم لا يحول الخلاف الصغير إلى أزمة كبيرة.

الثاني عشر: عدم الإهانة

لم يكن النبي ﷺ يضرب زوجة ولا خادمًا.

ولم يكن فاحشًا ولا بذيئًا.

وكان بعيدًا عن الإهانة والسباب.

وهذا من أعظم الدروس في الأخلاق الزوجية.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: حسن الاستماع

كان النبي ﷺ يستمع إلى زوجاته.

وكان يعطيهن فرصة للتعبير.

وكان يسمع مشاعرهن.

وهذا يعلمنا أن الاستماع نصف الحل في كثير من المشكلات الأسرية.

الرابع عشر: مشاركة المشاعر

لم يكن النبي ﷺ يخفي مشاعره.

Edit with WPS Office

كان يحزن.

ويفرح.

ويبكي.

ويبتسم.

ويعبر عن الحب.

وهذا يدل على أن التعبير عن المشاعر ليس ضعفًا.

الخامس عشر: احترام الزوجة

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يحترم زوجاته.

وكان يناديهن بأسمائهن وألقابهن.

وكان يعرف قدرهن.

وكان يشاورهن في بعض الأمور.

السادس عشر: أم سلمة رضي الله عنها

في صلح الحديبية كان لأم سلمة رضي الله عنها موقف مهم.

فلما رأى النبي ﷺ أن بعض الصحابة لم يبادروا إلى تنفيذ أمره بعد الصلح، أشارت عليه أن يبدأ بنفسه في نحر هديه وحلق رأسه.

Edit with WPS Office

ففعل.

فلما رآه الصحابة قاموا وفعلوا مثله.

وهذا موقف يكشف أهمية الرأي والحكمة داخل الأسرة.

السابع عشر: مكانة المرأة في القرار

لم يكن النبي ﷺ يحتقر رأي المرأة.

بل أخذ برأي أم سلمة في موقف من أهم المواقف السياسية و العسكرية في ذلك الوقت.

وهذا يدل على أن الحكمة قد تأتي من أي إنسان.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: الأب الحاني

كان النبي ﷺ أبًا حانيًا.

وكان يحب أبناءه.

وكان يقبلهم.

وكان يحزن لفراقهم.

وقد فقد عددًا من أبنائه في حياته.

وكانت هذه الابتلاءات مؤلمة له، لكنه كان صابرًا محتسبًا.

Edit with WPS Office

التاسع عشر: رحمته بفاطمة رضي الله عنها

كانت فاطمة رضي الله عنها من أحب الناس إلى النبي ﷺ.

وكان يقوم لها إذا دخلت عليه.

وكان يقبلها.

وكان يحترمها ويكرمها.

وهذا نموذج رائع في تكريم الأب لابنته.

العشرون: رحمته بأحفاده

Edit with WPS Office

كان الحسن والحسين رضي الله عنهما قريبين من قلب النبي ﷺ.

وكان يحملهما.

ويقبلهما.

ويلاعبهما.

وكان يعلم الأمة أن حب الأطفال وإظهار العاطفة تجاههم من السنة والهدي.

الحادي والعشرون: تقبيل الأطفال

قبّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما.

Edit with WPS Office

فلما رأى أحد الأعراب ذلك تعجب.

فقال النبي ﷺ:

«من لا يَرحم لا يُرحم».

وهذا درس عظيم في التربية.

الثاني والعشرون: حمل الأطفال أثناء الصلاة

كان النبي ﷺ يحمل بعض الأطفال أثناء الصلاة.

وكان إذا سمع بكاء الصبي خفف الصلاة.

فكان يوازن بين العبادة ومراعاة مشاعر الطفل.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: رعاية مشاعر الأبناء

كان النبي ﷺ يعرف أن الطفل يحتاج إلى الاهتمام.

وكان يتعامل معهم بلطف.

وكان لا يحتقر أسئلتهم.

ولا يسخر من مشاعرهم.

ولا يعاملهم كأنهم كبار.

بل كان ينزل إلى مستوى فهمهم.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: أسامة بن زيد

كان أسامة بن زيد رضي الله عنه قريبًا من النبي ﷺ.

وكان يحبه.

وكان النبي ﷺ يثق به.

حتى ولاه قيادة جيش وهو شاب.

وهذا يدل على اكتشاف الطاقات وتنميتها.

الخامس والعشرون: أنس بن مالك

Edit with WPS Office

خدم أنس بن مالك رضي الله عنه النبي ﷺ سنوات.

ووصف حسن معاملته.

فلم يكن النبي ﷺ يعنفه أو يهينه.

وهذا نموذج في التعامل مع الصغار والخدم.

السادس والعشرون: التربية بالحب

لم تكن تربية النبي ﷺ قائمة على الخوف وحده.

بل كانت قائمة على الحب.

Edit with WPS Office

فكان الصحابي يحب النبي ﷺ، ولذلك كان يحب اتباعه.

والطفل الذي يشعر بالحب يصبح أكثر استعدادًا للتعلم والاستجابة.

السابع والعشرون: التربية بالقدوة

كان النبي ﷺ يعلم أبناءه وأهل بيته بالفعل قبل الكلام.

كانوا يرونه يصلي.

ويذكر الله.

ويحسن التعامل.

ويصبر.

Edit with WPS Office

ويعفو.

فكانت حياته درسًا مستمرًا.

الثامن والعشرون: تعليم الأبناء العبادة

كان النبي ﷺ يربي أهل بيته على العبادة.

وكان يحثهم على الصلاة.

وكان بيت النبوة بيت قرآن وذكر.

وهذا يوضح أهمية البيئة الأسرية في بناء شخصية الأبناء.

Edit with WPS Office

التاسع والعشرون: الأسرة ليست عائقًا أمام الدعوة

لم يجعل النبي ﷺ الأسرة عائقًا عن الرسالة.

بل جعلها جزءًا من الرسالة.

فبيته كان مدرسة.

وزوجاته نقلن كثيرًا من سنته.

وخاصة عائشة رضي الله عنها التي كانت من أعلم الناس بأحواله الخاصة.

Edit with WPS Office

الثلاثون: عائشة رضي الله عنها وعلم السنة

كان لعائشة رضي الله عنها دور كبير في نقل سنة النبي ﷺ.

وقد نقلت للأمة كثيرًا من تفاصيل حياته.

وهذا يوضح أهمية دور المرأة في حفظ العلم ونقله.

الحادي والثلاثون: بيت النبي ﷺ مدرسة علم

لم يكن بيت النبي ﷺ مكانًا للراحة فقط.

بل كان مركزًا للعلم.

تعلمت فيه زوجاته.

Edit with WPS Office

وتعلم فيه أقاربه.

وكانت الأسئلة تطرح.

والأحكام تتعلم.

والسيرة تحفظ.

الثاني والثلاثون: الرحمة عند المرض

كان النبي ﷺ يعتني بأهل بيته عندما يمرضون.

وكانت الرحمة تظهر في أوقات المرض والحاجة.

Edit with WPS Office

وهذا يعلمنا أن المحبة الحقيقية تظهر في الأزمات.

الثالث والثلاثون: الوفاء للأهل

كان النبي ﷺ يحفظ الجميل.

ويذكر فضل من أحسن إليه.

وكان وفاؤه بخديجة رضي الله عنها نموذجًا خالدًا.

الرابع والثلاثون: لا كِبر في البيت

كان النبي ﷺ متواضعًا في بيته.

Edit with WPS Office

وكان يشارك أهله.

ويخدم نفسه.

وكان يصلح بعض شؤونه.

وهذا يربي الرجل على ألا يرى خدمة الأسرة انتقاصًا من رجولته.

الخامس والثلاثون: الرحمة أساس الأسرة

قال تعالى:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

Edit with WPS Office

والمودة والرحمة هما أساس الحياة الزوجية.

وقد كان بيت النبي ﷺ نموذجًا في هذا المعنى.

السادس والثلاثون: لا حياة زوجية بلا صبر

كانت بيوت الأنبياء بشرية.

وكانت تقع فيها مشاعر الغيرة والخلاف.

لكن الحكمة والصبر كانا حاضرين.

وهذا يعلمنا ألا نتوقع حياة زوجية بلا مشكلات.

بل نتعلم كيف نعالج المشكلات.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: معالجة الخلاف بالحكمة

كان النبي ﷺ لا يحول كل مشكلة إلى خصومة طويلة.

بل كان يعالجها بما يناسبها.

فمرة بالكلمة.

ومرة بالصمت.

ومرة بالتوضيح.

ومرة بالتغاضي.

Edit with WPS Office

وهذا من الحكمة.

الثامن والثلاثون: البيت مصدر السكينة

قال الله تعالى:

﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: 21].

فالبيت في الإسلام ليس ساحة صراع.

بل ينبغي أن يكون مكانًا للسكن والراحة والأمان.

التاسع والثلاثون: ماذا نتعلم كأزواج؟

Edit with WPS Office

نتعلم من النبي ﷺ:

الرفق.

والابتسامة.

والاستماع.

والوفاء.

والصبر.

والتغاضي عن بعض الأخطاء.

والتعبير عن الحب.

Edit with WPS Office

ومساعدة الأهل.

واحترام الزوجة.

الأربعون: ماذا نتعلم كآباء؟

نتعلم:

احتضان الأبناء.

وتقبيلهم.

والاستماع إليهم.

وتشجيعهم.

Edit with WPS Office

وتعليمهم.

والدعاء لهم.

وعدم إهانتهم.

واكتشاف مواهبهم.

الحادي والأربعون: ماذا نتعلم كأمهات وآباء؟

أن التربية ليست أوامر فقط.

وليست عقوبات فقط.

Edit with WPS Office

وليست دروسًا فقط.

بل هي:

حب + قدوة + تعليم + صبر + توجيه.

الثاني والأربعون: الأسرة في الإسلام

الأسرة ليست مؤسسة صغيرة لا علاقة لها بالمجتمع.

بل هي أساس المجتمع.

إذا صلحت الأسرة، صلح الأبناء.

وإذا صلح الأبناء، صلح المجتمع.

Edit with WPS Office

ولهذا اهتم النبي ﷺ بالأسرة اهتمامًا بالغًا.

الثالث والأربعون: البيت النبوي نموذج خالد

رغم أن حياة النبي ﷺ كانت مليئة بالمسؤوليات، فإنه لم يهمل أسرته.

وكانت أسرته جزءًا من حياته.

وهذا يعلمنا أن النجاح في العمل لا ينبغي أن يكون على حساب الأ سرة.

Edit with WPS Office

الرابع والأربعون: أعظم درس

من أعظم الدروس أن الإنسان يجب أن يكون حسن الخلق في بيته كما هو خارجه.

فلا معنى أن يكون الإنسان لطيفًا مع الناس وقاسيًا مع أهله.

وقد قال النبي ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله».

الخامس والأربعون: رسالة إلى الأسرة المسلمة

إذا أردنا أن نبني بيوتًا مستقرة، فلنقرأ السيرة داخل البيت.

Edit with WPS Office

لنتعلم من النبي ﷺ كيف نحب.

وكيف نصبر.

وكيف نختلف.

وكيف نعفو.

وكيف نربي أبناءنا.

وكيف نكون أزواجًا صالحين.

فالبيت الذي يدخل إليه هدي رسول الله ﷺ، يدخل إليه معه شيء من الرحمة والسكينة.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ في بيته كما كان في سائر حياته: رحيمًا، متواضعًا، صبورًا، وفيًّا، حسن العشرة.

كان يساعد أهله.

ويلاطف زوجاته.

ويحترم مشاعرهن.

ويحب أبناءه.

ويقبل أحفاده.

ويرحم الصغار.

Edit with WPS Office

ويحفظ الجميل.

ويعفو عن الزلات.

ويعلم أهله الخير.

وكان بيته مدرسة حقيقية في الأخلاق.

ومن هنا ندرك أن الاقتداء برسول الله ﷺ لا يكون فقط في الصلاة والصيام والعبادات، وإنما يكون كذلك في طريقة تعاملنا مع أقرب الناس إلينا.

فليست البطولة أن تكون لطيفًا مع الناس خارج بيتك، ثم قاسيًا مع أهلك.

وليست الرجولة في رفع الصوت وإظهار القوة.

بل الرجولة في الرحمة، والمسؤولية، والصبر، وحسن العشرة.

Edit with WPS Office

وهكذا كان رسول الله ﷺ.

كان قائد أمة، لكنه كان متواضعًا في بيته.

وكان نبيًا عظيمًا، لكنه كان أبًا حانيًا.

وكان رسولًا يحمل رسالة للعالمين، لكنه لم ينسَ مشاعر زوجاته وأبنائه وأحفاده.

وهذا من أجمل وجوه عظمته ﷺ.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الرابع والعشرون

أخلاق رسول الله ﷺ مع الناس

تمهيد

كانت الأخلاق في شخصية رسول الله ﷺ جزءًا أصيلًا من رسالته، ولم تكن أمرًا ثانويًا أو جانبًا منفصلًا عن الدعوة.

فقد جمع الله له ﷺ مكارم الأخلاق، وشهد له بذلك القرآن قبل شهادة الناس.

قال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

ولما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت:

Edit with WPS Office

«كان خلقه القرآن».

فكان ﷺ قرآنًا يمشي بين الناس؛ يرى الناس في سلوكه الصدق، وفي معاملته الرحمة، وفي مواقفه العفو، وفي أحكامه العدل، وفي حياته التواضع.

أولًا: الصدق

كان الصدق من أعظم صفات رسول الله ﷺ.

وقد عرفه قومه قبل البعثة بالصادق الأمين.

ولم يعرفوا عنه كذبًا طوال حياته.

حتى الذين خالفوه وحاربوه لم يستطيعوا أن ينسبوا إليه الكذب في

Edit with WPS Office

حديثه.

فالصدق كان أساس دعوته وأساس شخصيته.

ثانيًا: الأمانة

كان ﷺ أمينًا على الوحي، وأمينًا على حقوق الناس، وأمينًا في العهود والمواثيق.

وكانت أمانته معروفة قبل البعثة.

ولهذا كان الناس يضعون عنده أماناتهم.

ولما هاجر إلى المدينة، ترك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليرد الأمانات إلى أصحابها.

Edit with WPS Office

وهذا موقف يكشف عظمة الأمانة حتى مع المخالفين.

ثالثًا: الوفاء بالعهد

كان رسول الله ﷺ من أوفى الناس بالعهود.

فإذا عاهد لم يغدر.

وإذا أعطى كلمة التزم بها.

وكان يعلم أصحابه أن الغدر من الأخلاق المذمومة.

Edit with WPS Office

رابعًا: الرحمة

كانت الرحمة من أبرز أخلاقه ﷺ.

قال تعالى:

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وكان يرحم الكبير والصغير، والقريب والبعيد، والضعيف والمحتاج.

وكانت رحمته سببًا في دخول الناس إلى الإسلام وحبهم له.

خامسًا: التواضع

مع علو منزلته ﷺ، كان شديد التواضع.

Edit with WPS Office

كان يجلس حيث ينتهي به المجلس.

وكان يأكل مع أصحابه.

ويجيب دعوة الفقير.

ويعود المريض.

ويجلس مع الضعفاء.

وكان لا يرى نفسه فوق الناس.

سادسًا: حسن المعاملة

Edit with WPS Office

لم يكن ﷺ فاحشًا ولا بذيئًا.

وكان يتخير أجمل الكلام.

وكان يعلم أصحابه أن الكلمة الطيبة صدقة.

فقد تكون كلمة واحدة سببًا في إدخال السرور إلى قلب إنسان.

سابعًا: طلاقة الوجه

كان رسول الله ﷺ كثير التبسم.

وكان يستقبل الناس بوجه طلق.

والابتسامة النبوية لم تكن مجرد مظهر، بل كانت وسيلة من وسائل

Edit with WPS Office

إدخال السرور وبناء المحبة.

ثامنًا: ضبط الغضب

كان ﷺ يغضب إذا انتهكت حرمات الله، لكنه لم يكن يغضب لنفسه انتقامًا أو تشفيًا.

وكان يربي أصحابه على ضبط النفس.

وقال ﷺ:

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

فالقوة الحقيقية ليست في القدرة على إيذاء الآخرين، وإنما في القدرة على السيطرة على النفس.

Edit with WPS Office

تاسعًا: العفو

كان العفو من أخلاقه ﷺ.

وقد تعرض للأذى الشديد، لكنه كان يعفو عندما يكون العفو خيرًا.

وكان يرى أن إصلاح القلوب أفضل من الانتقام لمجرد الانتقام.

عاشرًا: كظم الغيظ

كان ﷺ يعلم أصحابه أن كظم الغيظ من الأخلاق العظيمة.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 134].

فليس كل ما يقدر الإنسان على فعله ينبغي أن يفعله.

الحادي عشر: الصبر

صبر النبي ﷺ على أذى قومه.

وصبر على فقد الأحبة.

وصبر على الفقر.

وصبر على الجهاد.

Edit with WPS Office

وصبر على مسؤولية الأمة.

وكان الصبر أحد أعمدة شخصيته ﷺ.

الثاني عشر: الحلم

كان ﷺ حليمًا.

والحلم هو ضبط النفس عند الاستفزاز.

وكان بعض الناس يسيئون الأدب معه، فيتعامل معهم بالحكمة.

وكان هدفه إصلاح الإنسان، لا مجرد الانتصار عليه.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: الرفق

قال ﷺ:

«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

فالرفق يجعل الكلام مقبولًا.

ويجعل التربية أكثر تأثيرًا.

ويجعل العلاقات أكثر استقرارًا.

الرابع عشر: الحكمة

Edit with WPS Office

لم يكن النبي ﷺ يتعامل مع جميع الناس بطريقة واحدة.

كان يعرف متى يتكلم.

ومتى يسكت.

ومتى يعفو.

ومتى يحزم.

ومتى ينصح سرًا.

ومتى يعلن الحكم.

وهذه هي الحكمة.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: احترام الكبير

كان ﷺ يوقر كبار السن.

وكان يعلم أصحابه احترامهم.

وهذا من أخلاق المجتمع المسلم.

السادس عشر: الرحمة بالصغير

كان ﷺ يرحم الصغار.

ويحملهم.

Edit with WPS Office

ويقبلهم.

ويلاطفهم.

وكان يعرف أن الطفل يحتاج إلى الحب قبل التوجيه.

السابع عشر: إكرام الضيف

كان ﷺ يكرم ضيوفه.

وكان يحث أصحابه على إكرام الضيف.

والضيف له حق في الإسلام.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: مساعدة المحتاج

كان ﷺ يسعى في حاجة الناس.

وكان يفرج كرباتهم.

ويشفع في الخير.

ويحث أصحابه على التعاون.

التاسع عشر: إغاثة الملهوف

كان من هديه ﷺ الوقوف مع صاحب الحاجة.

Edit with WPS Office

فالإنسان لا ينبغي أن يعيش لنفسه فقط.

وإنما ينبغي أن يكون نافعًا للآخرين.

العشرون: صلة الرحم

كان النبي ﷺ يصل رحمه.

وكان الإسلام يؤكد أهمية صلة الأقارب.

لأن المجتمع القوي يبدأ من أسرة مترابطة.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: احترام الجار

اهتم النبي ﷺ بحقوق الجار.

وقال:

«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

فالجار له حق في الإسلام، سواء كان قريبًا أو بعيدًا.

الثاني والعشرون: حسن الجوار

كان النبي ﷺ يحذر من إيذاء الجار.

وكان يعلم أن الإيمان لا يكتمل مع إيذاء الناس.

Edit with WPS Office

فالأخلاق تبدأ من المكان الذي يعيش فيه الإنسان.

الثالث والعشرون: إكرام الضيف والجار

جمع الإسلام بين حق الضيف وحق الجار.

وهذا يدل على أن المجتمع المسلم يقوم على التراحم والتعاون، وليس على العزلة والأنانية.

الرابع والعشرون: عدم احتقار الفقير

لم يكن النبي ﷺ يحتقر الفقراء.

Edit with WPS Office

بل كان يكرمهم ويجلس معهم.

وكان يبين أن معيار التفاضل ليس المال.

الخامس والعشرون: احترام الإنسان

كان النبي ﷺ يحفظ كرامة الإنسان.

حتى إذا أخطأ، كان يعالج الخطأ بطريقة لا تهدم شخصيته.

وهذا من أعظم أساليب التربية.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: حسن الاستماع

كان النبي ﷺ يستمع إلى المتحدث.

ولا يتعجل في قطع كلامه.

وكان يعطي الإنسان فرصة ليشرح حاجته.

وهذا خلق مهم في العلاقات الإنسانية.

السابع والعشرون: عدم السخرية

نهى الإسلام عن السخرية من الآخرين.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: 11].

وكان النبي ﷺ بعيدًا عن السخرية والإهانة.

الثامن والعشرون: عدم التنابز بالألقاب

كان الإسلام يحفظ للإنسان اسمه وكرامته.

ونهى عن الألقاب التي تجرح المشاعر.

وهذا يدل على دقة المنهج الإسلامي في حماية كرامة الإنسان.

Edit with WPS Office

التاسع والعشرون: حفظ الأسرار

كان النبي ﷺ أمينًا في أسرار الناس.

وكان يعلم أصحابه أن إفشاء الأسرار من الأخلاق السيئة.

فالثقة إذا ضاعت صعب أن تعود.

الثلاثون: عدم إفشاء العيوب

لم يكن النبي ﷺ يفضح الناس.

وكان يستر على المسلم.

والستر لا يعني ترك الإصلاح، وإنما يعني أن الإصلاح لا يحتاج دائمًا

Edit with WPS Office

إلى التشهير.

الحادي والثلاثون: قبول الاعتذار

كان النبي ﷺ يقبل الاعتذار إذا ظهر صدقه.

وكان يعلم الناس أن الاعتراف بالخطأ فضيلة.

وأن الرجوع إلى الحق خير من الإصرار على الباطل.

الثاني والثلاثون: حسن الظن

كان النبي ﷺ يحذر من سوء الظن.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12].

فالإنسان لا ينبغي أن يبني أحكامه على الشكوك.

الثالث والثلاثون: ترك التجسس

نهى الإسلام عن التجسس.

فالناس لهم خصوصياتهم.

ولا يجوز أن يتحول المجتمع إلى مجتمع يراقب بعضه بعضًا.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: ترك الغيبة

قال تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: 12].

وكان النبي ﷺ يحذر من الغيبة والنميمة.

فاللسان قد يبني علاقة، وقد يهدمها.

الخامس والثلاثون: الكلمة الطيبة

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أثر الكلمة.

Edit with WPS Office

فالكلمة الطيبة قد ترفع معنويات إنسان.

وقد تغير حياة شخص.

وقد تمنع خصومة.

ولهذا كانت الكلمة الطيبة صدقة.

السادس والثلاثون: عدم التكبر

كان النبي ﷺ أبعد الناس عن الكبر.

وكان يرى الناس بعين الرحمة.

Edit with WPS Office

وكان يعلم أن الإنسان مهما بلغ من المال أو السلطة أو العلم فهو عبد لله.

السابع والثلاثون: العدل مع المخالف

كان ﷺ يعدل حتى مع من يختلف معه.

فالعدل لا يكون فقط مع من نحب.

بل يظهر صدقه عندما نتعامل مع من نختلف معهم.

الثامن والثلاثون: الرحمة مع الخدم والعمال

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يحسن إلى من يعملون عنده.

وكان يحذر من ظلمهم.

وكان يعلم أن العامل إنسان له كرامته وحقوقه.

التاسع والثلاثون: احترام أصحاب المهن

لم يكن الإسلام يحتقر العمل الشريف.

فكل عمل مباح يكسب منه الإنسان رزقه بالحلال فهو عمل محترم.

وكان النبي ﷺ يحث على الكسب الحلال.

Edit with WPS Office

الأربعون: الاعتراف بالفضل

كان ﷺ يعترف بفضل أصحابه.

ويشكر من أحسن إليه.

وكان الوفاء بالجميل من أخلاقه.

وهذا يعلمنا ألا ننسى أصحاب المعروف.

الحادي والأربعون: الشجاعة الأدبية

كان النبي ﷺ شجاعًا في قول الحق.

Edit with WPS Office

فلم يكن يسكت عن الظلم.

ولم يكن يخشى الناس عندما يتعلق الأمر بأمر الله.

الثاني والأربعون: التوازن بين اللين والحزم

لم يكن النبي ﷺ لينًا في كل شيء، ولا شديدًا في كل شيء.

بل كان يضع كل خلق في موضعه.

فاللين حيث ينبغي اللين.

والحزم حيث ينبغي الحزم.

والعفو حيث يكون العفو خيرًا.

Edit with WPS Office

والعقوبة حيث تكون ضرورة لتحقيق العدل.

الثالث والأربعون: الأخلاق في الدعوة

كانت أخلاق النبي ﷺ جزءًا من دعوته.

فالناس لم يسمعوا منه فقط، بل رأوا منه.

رأوا الصدق.

ورأوا الرحمة.

ورأوا الأمانة.

Edit with WPS Office

ورأوا العفو.

ورأوا التواضع.

ولهذا كانت سيرته نفسها دعوة إلى الإسلام.

الرابع والأربعون: الأخلاق مع المخالفين

كان ﷺ يدعو المخالفين إلى الحق بالحكمة.

ولم يكن يجعل الاختلاف سببًا للظلم.

وكان يحفظ العهود.

ويؤدي الحقوق.

Edit with WPS Office

ويحكم بالعدل.

الخامس والأربعون: أخلاق النبي ﷺ منهج حياة

ليست أخلاق النبي ﷺ قصصًا نقرأها ثم نغلق الكتاب.

بل هي منهج ينبغي أن يظهر في حياتنا:

في البيت.

وفي العمل.

وفي الطريق.

Edit with WPS Office

وفي السوق.

وفي المدرسة.

وفي المسجد.

وفي وسائل التواصل.

فالمسلم الذي يحب رسول الله ﷺ ينبغي أن يظهر أثر هذا الحب في أخلاقه.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ مدرسة متكاملة في الأخلاق.

Edit with WPS Office

كان صادقًا أمينًا.

رحيمًا حليمًا.

متواضعًا صبورًا.

وفيًّا بالعهد.

كريمًا مع الضيف.

رحيمًا بالضعيف.

محسنًا إلى الجار.

محبًا للصغير.

موقرًا للكبير.

Edit with WPS Office

عادلًا مع المخالف.

حافظًا للسر.

بعيدًا عن السخرية والغيبة والتكبر.

وقد جمع الله له هذه المعاني كلها في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

فإذا أردنا أن نعرف حقيقة محبة رسول الله ﷺ، فلا يكفي أن نتحدث عنه بألسنتنا، بل ينبغي أن نقتدي بأخلاقه في حياتنا.

أن نصدق كما صدق.

ونفي كما وفى.

Edit with WPS Office

ونرحم كما رحم.

ونعفو كما عفا.

ونتواضع كما تواضع.

ونحسن كما أحسن.

فالسيرة النبوية ليست تاريخًا مضى، وإنما مدرسة مفتوحة لكل من أراد أن يتعلم كيف يكون الإنسان إنسانًا.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الخامس والعشرون

رسول الله ﷺ قائدًا وداعيةً وبانيًا للأمة

تمهيد

لم يكن رسول الله ﷺ داعيةً يعظ الناس بالكلمات فحسب، ولا قائدًا يصدر الأوامر من بعيد، وإنما كان قائدًا يعيش بين الناس، ويحمل همومهم، ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم، ويقودهم بالقدوة قبل القول.

وقد استطاع ﷺ في مدة قصيرة أن ينقل مجتمعًا من التفرق إلى الوحدة، ومن العصبية إلى الأخوة، ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ومن الفوضى الأخلاقية إلى نظام يقوم على العدل والرحمة والمسؤولية.

وكان هذا البناء العظيم قائمًا على منهج متكامل يجمع بين الإيمان، و التربية، والعلم، والأخلاق، والعدل، والشورى، وتحمل المسؤولية.

Edit with WPS Office

أولًا: القيادة النبوية قيادة رسالة

كان النبي ﷺ يعرف أن مهمته ليست تحقيق مجد شخصي، ولا بناء ملك دنيوي.

بل كانت مهمته تبليغ رسالة الله.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: 67].

ولهذا كانت القيادة عنده أمانة، وليست امتيازًا.

Edit with WPS Office

ثانيًا: القدوة قبل الأمر

كان النبي ﷺ أول من يطبق ما يأمر به.

فإذا أمر بالصلاة كان أكثر الناس محافظة عليها.

وإذا دعا إلى الصبر كان أكثر الناس صبرًا.

وإذا دعا إلى الصدق كان أصدق الناس.

وإذا دعا إلى الرحمة كان أرحم الناس.

وهذه أعظم وسائل التأثير.

Edit with WPS Office

ثالثًا: بناء الإنسان قبل بناء الدولة

لم يبدأ النبي ﷺ بتشييد مؤسسات ضخمة.

بل بدأ ببناء الإنسان.

ربى الصحابة على التوحيد.

ثم ربّاهم على العبادة.

ثم الأخلاق.

ثم المسؤولية.

ثم التضحية.

فإذا صلح الإنسان أمكن أن يُبنى به المجتمع.

Edit with WPS Office

رابعًا: التربية في مكة

قضى النبي ﷺ سنوات طويلة في مكة يدعو إلى التوحيد.

وكان التركيز في المرحلة الأولى على بناء العقيدة.

تعلم الصحابة أن الله وحده المستحق للعبادة.

وأن الإنسان مسؤول أمام الله.

وأن الآخرة حق.

فكانت العقيدة أساس البناء كله.

Edit with WPS Office

خامسًا: دار الأرقم

كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه مكانًا مهمًا في المرحلة المكية.

وفيها اجتمع المسلمون وتعلموا القرآن وتربوا على الإيمان.

وهذا يوضح أهمية البيئة التربوية الآمنة في بناء الأفراد.

سادسًا: التربية بالقرآن

كان القرآن هو المنهج الأول في تربية الصحابة.

Edit with WPS Office

فلم يكن النبي ﷺ يقدم لهم معلومات مجردة.

بل كان يبني القرآن في نفوسهم.

حتى أصبح القرآن منهج حياة.

سابعًا: صناعة الجيل الأول

استطاع النبي ﷺ أن يصنع جيلًا فريدًا.

أبو بكر.

وعمر.

وعثمان.

Edit with WPS Office

وعلي.

وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

وكان لكل واحد منهم شخصية وقدرات مختلفة.

ومع ذلك جمعهم الإيمان والغاية المشتركة.

ثامنًا: اكتشاف المواهب

كان النبي ﷺ يعرف قدرات أصحابه.

فهذا للعلم.

Edit with WPS Office

وهذا للقيادة.

وهذا للقضاء.

وهذا للكتابة.

وهذا للدعوة.

وهذا للقتال.

وهذا للترجمة.

فلم يكن يضع الجميع في قالب واحد.

تاسعًا: الثقة بالشباب

Edit with WPS Office

أعطى النبي ﷺ الشباب مسؤوليات كبيرة.

ومن أبرز الأمثلة أسامة بن زيد رضي الله عنه، الذي ولاه قيادة جيش وهو شاب.

وهذا يدل على أن السن وحده ليس معيار الكفاءة.

عاشرًا: الشورى

كان النبي ﷺ يستشير أصحابه.

قال تعالى:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

Edit with WPS Office

ومع كونه نبيًا مؤيدًا بالوحي، كان يشاور أصحابه تعليمًا للأمة وتربية لهم على المشاركة وتحمل المسؤولية.

الحادي عشر: غزوة بدر والشورى

في بدر استشار النبي ﷺ أصحابه في الموقف.

وكان يستمع إلى آرائهم.

وهذا يدل على أن القائد الناجح لا يظن أنه يعرف كل شيء.

الثاني عشر: غزوة أحد

Edit with WPS Office

في أحد ظهرت أهمية الشورى مرة أخرى.

فقد كان للنبي ﷺ رأيه، وكان لأصحابه رأي آخر.

فلما استقر الأمر على الخروج، مضى النبي ﷺ مع أصحابه.

وفي ذلك درس في احترام القرار الجماعي وتحمل نتائجه.

الثالث عشر: الخندق وفكرة سلمان

عندما واجه المسلمون الأحزاب، ظهرت فكرة حفر الخندق.

وكانت فكرة جديدة على العرب.

Edit with WPS Office

فأخذ النبي ﷺ بها.

وهذا يعلمنا أن الحكمة ليست مرتبطة بجنس أو قبيلة أو عمر.

الرابع عشر: القيادة بالمشاركة

لم يكن النبي ﷺ يكتفي بإصدار التعليمات.

بل كان يشارك أصحابه في العمل.

وفي حفر الخندق شاركهم بنفسه.

وهذا يجعل القائد قريبًا من أتباعه.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: القيادة وقت الأزمات

كان النبي ﷺ ثابتًا في الأزمات.

عندما تشتد الظروف لا ينهار القائد.

بل يعطي الناس الثقة.

ويذكرهم بالله.

ويبحث عن الحلول.

السادس عشر: الثبات في الهجرة

Edit with WPS Office

في الهجرة ظهر التخطيط النبوي.

اختار الصاحب.

واختار الطريق.

واستخدم وسائل التمويه.

وأخذ بالأسباب.

ومع ذلك كان قلبه مطمئنًا بالله.

السابع عشر: التخطيط لا ينافي التوكل

تظهر الهجرة أن التوكل على الله لا يعني ترك الأسباب.

Edit with WPS Office

فالنبي ﷺ خطط بدقة، ثم توكل على الله.

وهذا نموذج متوازن في إدارة الأزمات.

الثامن عشر: بناء المجتمع في المدينة

بعد الهجرة بدأ النبي ﷺ بناء مجتمع جديد.

وكان أول ما اهتم به بناء المسجد.

ثم المؤاخاة.

ثم تنظيم العلاقات داخل المجتمع.

Edit with WPS Office

ثم تثبيت قواعد الأمن والعدل.

التاسع عشر: المسجد مركز المجتمع

لم يكن المسجد مكانًا للصلاة فقط.

بل كان مكانًا للتعليم.

والتشاور.

والقضاء.

والتواصل الاجتماعي.

والتربية.

Edit with WPS Office

فكان مركزًا من مراكز بناء المجتمع.

العشرون: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤاخاة من أعظم خطوات بناء المجتمع.

فقد جمعت بين المهاجرين والأنصار.

وكانت الأخوة الإيمانية أقوى من العصبية القبلية.

الحادي والعشرون: معالجة العصبية

Edit with WPS Office

كان المجتمع العربي قبل الإسلام قائمًا بدرجة كبيرة على العصبية القبلية.

فجاء الإسلام ليجعل معيار التفاضل هو التقوى.

قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

الثاني والعشرون: وثيقة المدينة

نظم النبي ﷺ العلاقات بين مكونات المجتمع في المدينة من خلال وثيقة عُرفت في كتب السيرة باسم صحيفة المدينة.

وكان المقصود تنظيم الحقوق والواجبات والعلاقات داخل المجتمع.

Edit with WPS Office

وهذا يدل على أهمية التنظيم في بناء الدولة والمجتمع.

الثالث والعشرون: العدل أساس الحكم

كان العدل أساس القيادة النبوية.

لم يكن هناك إنسان فوق الحق.

ولا كانت القرابة سببًا في إسقاط الحقوق.

وكان النبي ﷺ يؤكد أن الناس أمام حكم الله سواء.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: القضاء بين الناس

كان النبي ﷺ يفصل في الخصومات.

وكان يسمع من الأطراف.

ويحكم بما يظهر له من البينات.

وهذا يبين أهمية القضاء في استقرار المجتمع.

الخامس والعشرون: حماية الحقوق

اهتم الإسلام بحقوق الإنسان.

حق النفس.

Edit with WPS Office

وحق المال.

وحق العرض.

وحق الجار.

وحق الضعيف.

وحق العامل.

وحق الأسرة.

وكان النبي ﷺ يحذر من الظلم.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: محاربة الفساد

كان النبي ﷺ يحارب صور الفساد والغش والخيانة.

وقال ﷺ:

«من غشنا فليس منا».

فالمجتمع لا يستقيم إذا أصبح الغش والخداع وسيلة للكسب.

السابع والعشرون: النزاهة في المسؤولية

كان النبي ﷺ يحذر من استغلال المسؤولية لمصلحة شخصية.

فمن تولى أمرًا من أمور المسلمين فعليه أن يؤدي الأمانة.

Edit with WPS Office

والمنصب في الإسلام تكليف قبل أن يكون تشريفًا.

الثامن والعشرون: اختيار الأكفاء

كان النبي ﷺ يختار من يراه مناسبًا للمهمة.

وكان يولي بعض الصحابة أعمالًا مختلفة بحسب قدراتهم.

وهذا يدل على أهمية وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.

التاسع والعشرون: تعليم المسؤولية

Edit with WPS Office

لم يكن النبي ﷺ يريد أتباعًا بلا شخصية.

بل كان يصنع رجالًا ونساءً قادرين على تحمل المسؤولية.

فكان يعطيهم مهامًا.

ويرسلهم للدعوة.

ويوليهم الأعمال.

ويعلمهم القضاء.

الثلاثون: القيادة الأخلاقية

القائد الذي يفتقد الأخلاق قد يملك القوة، لكنه يفقد القلوب.

Edit with WPS Office

أما النبي ﷺ فجمع بين القوة والأخلاق.

فكان الناس يثقون به لأنه صادق وأمين.

الحادي والثلاثون: الرحمة بالرعية

كان النبي ﷺ يشعر بمسؤولية من تحت يده.

وقال ﷺ:

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

فالمسؤولية في الإسلام مرتبطة بالمحاسبة.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: القائد والخادم

لم يكن النبي ﷺ يرى نفسه منفصلًا عن الناس.

كان يعيش حياتهم.

ويجوع معهم.

ويتعب معهم.

ويشاركهم في الأعمال.

وهذا جعله قريبًا من قلوبهم.

Edit with WPS Office

الثالث والثلاثون: القيادة وقت النصر

في لحظات النصر لم يكن النبي ﷺ مغرورًا.

بل كان يحمد الله.

ويتواضع.

ويذكر فضل الله.

فالنجاح عنده نعمة ومسؤولية.

الرابع والثلاثون: فتح مكة

Edit with WPS Office

كان فتح مكة من أعظم لحظات النصر في السيرة.

ودخل النبي ﷺ مكة منتصرًا بعد سنوات من الأذى والإخراج.

وكان بإمكانه أن ينتقم.

لكنه اختار العفو في مواضع كثيرة.

وهذا من أعظم صور القيادة الأخلاقية.

الخامس والثلاثون: العفو عند المقدرة

العفو عند الضعف قد يكون اضطرارًا.

لكن العفو عند القدرة قوة أخلاقية.

Edit with WPS Office

وقد كان النبي ﷺ قادرًا على الانتقام، ومع ذلك عفا عن كثير من خصومه.

السادس والثلاثون: نشر الأمل

كان النبي ﷺ لا يربي أصحابه على اليأس.

بل كان يبشرهم.

ويذكرهم بفضل الله.

ويعلمهم أن الشدة لا تدوم.

وهذا مهم في أوقات الأزمات.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: معالجة الفشل

وقعت أخطاء في المجتمع النبوي.

وفي غزوة أحد وقع ما وقع.

لكن النبي ﷺ لم يهدم معنويات أصحابه.

بل عالج الخطأ، وربى على التعلم منه.

وهذا من أهم مبادئ القيادة الناجحة.

Edit with WPS Office

الثامن والثلاثون: الاعتراف بالخطأ وتصحيحه

المجتمع الناجح ليس المجتمع الذي لا يخطئ.

بل المجتمع الذي يعرف كيف يتعامل مع الخطأ.

وقد ربى النبي ﷺ أصحابه على تصحيح الأخطاء وعدم الاستمرار فيها.

التاسع والثلاثون: القيادة والتعليم

كان النبي ﷺ يجمع بين القيادة والتعليم.

فالقائد يحتاج إلى أن يعلم أتباعه.

Edit with WPS Office

والمعلم يحتاج إلى أن يتحمل مسؤولية من يعلمهم.

الأربعون: بناء الإنسان المسؤول

كان هدف التربية النبوية أن يصبح المسلم مسؤولًا عن نفسه وأسرته ومجتمعه.

لا أن ينتظر دائمًا من الآخرين أن يحلوا مشكلاته.

الحادي والأربعون: الدعوة بالحكمة

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125].

وكان النبي ﷺ يدعو الناس بالحكمة.

يعرف حال الشخص.

ويخاطبه بما يناسبه.

ولا يحمّله فوق طاقته.

الثاني والأربعون: التدرج

من أعظم سمات المنهج النبوي التدرج.

لم تنزل الأحكام كلها دفعة واحدة.

Edit with WPS Office

بل تربى المجتمع تدريجيًا.

وهذا يدل على فهم طبيعة النفس البشرية.

الثالث والأربعون: مراعاة اختلاف الناس

لم يكن الصحابة متساوين في العلم والقدرة والطبع.

وكان النبي ﷺ يراعي ذلك.

فقد يعطي أحدهم إجابة مختصرة.

ويشرح لآخر بالتفصيل.

Edit with WPS Office

ويكلف ثالثًا بمهمة تناسبه.

الرابع والأربعون: القيادة بالحب

لم يتبع الصحابة النبي ﷺ خوفًا من السيف فقط.

بل أحبوه.

وكانوا يرون فيه القدوة والرحمة والأمانة.

ولهذا كانت طاعتهم له نابعة من الإيمان والمحبة.

الخامس والأربعون: بناء الأمة

Edit with WPS Office

نجح النبي ﷺ في بناء أمة تحمل رسالة.

أمة تقوم على التوحيد.

والأخلاق.

والعدل.

والعلم.

والرحمة.

والشورى.

والتكافل.

Edit with WPS Office

وهذا البناء لم يكن نتيجة قوة مادية وحدها، وإنما كان نتيجة بناء ا لإنسان أولًا.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ قائدًا فريدًا.

لم يكن قائدًا يبحث عن المجد، وإنما عن رضا الله.

ولم يكن يبني أتباعًا تابعين بلا شخصية، بل كان يبني رجالًا ونساءً قادرين على حمل الأمانة.

ربى بالقرآن.

وقاد بالقدوة.

Edit with WPS Office

وشاور أصحابه.

واختار الأكفاء.

وأعطى الشباب فرصًا.

وشارك الناس أعمالهم.

وعفا عند المقدرة.

وعدل مع الموافق والمخالف.

وبنى المسجد.

ووحد المهاجرين والأنصار.

ونظم المجتمع.

Edit with WPS Office

وأقام العدل.

وحارب الفساد.

وكان في كل ذلك عبدًا لله ورسولًا منه.

لقد أثبتت سيرته ﷺ أن القيادة الحقيقية ليست في ارتفاع الصوت، ولا في كثرة الأوامر، ولا في إظهار القوة، وإنما في القدوة، والعدل، والحكمة، والرحمة، وتحمل المسؤولية.

ومن أراد أن يتعلم فن القيادة، فليقرأ السيرة.

ومن أراد أن يتعلم التربية، فليقرأ السيرة.

ومن أراد أن يتعلم إدارة الأزمات، فليقرأ السيرة.

Edit with WPS Office

ومن أراد أن يعرف كيف يُبنى المجتمع، فليقرأ السيرة.

ومن أراد أن يعرف كيف يكون القائد محبوبًا مطاعًا، فليتأمل حياة رسول الله ﷺ.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل السادس والعشرون

رسول الله ﷺ مع غير المسلمين: العدل والرحمة والوفاء

تمهيد

لم تكن رسالة رسول الله ﷺ مقصورة على فئة من الناس، وإنما جاء برسالة إلى العالمين.

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

وقد تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين في مكة والمدينة، وفي السلم والحرب، وفي البيع والشراء، وفي الجوار والعهود، وأظهر في كل ذلك منهجًا يقوم على العدل، والوفاء، والرحمة، واحترام الإنسان.

Edit with WPS Office

وفي الوقت نفسه، كان واضحًا في عقيدته، لا يخلط بين الرحمة بـ الناس وبين التنازل عن أصول الدين.

أولًا: عالمية رسالة النبي ﷺ

قال الله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158].

فالإسلام لم يكن رسالة لقوم دون قوم.

وكان النبي ﷺ يدعو الناس جميعًا إلى عبادة الله وحده.

Edit with WPS Office

ثانيًا: الدعوة بالحكمة

لم يكن النبي ﷺ يجبر الناس على الدخول في الإسلام.

قال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

وكان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125].

ثالثًا: احترام الإنسان

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يفرق بين الاختلاف في العقيدة وبين الاعتداء على ا لإنسان.

فالإنسان له كرامته، ولا يجوز ظلمه لمجرد اختلافه.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: 70].

رابعًا: العدل مع المخالف

من أعظم مبادئ الإسلام العدل حتى مع من نختلف معهم.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: 8].

وكان النبي ﷺ يطبق هذا المبدأ في حياته.

خامسًا: التعامل مع أهل الكتاب

كان في المدينة يهود، وتعامل النبي ﷺ معهم في إطار تنظيم المجتمع والعهود والحقوق والواجبات.

ولم يجعل مجرد الانتماء الديني سببًا في الظلم.

وكانت العلاقة تتحدد بحسب الموقف والعهود والالتزامات.

Edit with WPS Office

سادسًا: صحيفة المدينة

وضعت صحيفة المدينة إطارًا لتنظيم العلاقات بين مكونات المجتمع المدني في ذلك الوقت.

وتضمنت تنظيم الحقوق والواجبات والمسؤوليات المشتركة.

وهذا يوضح أن بناء المجتمع يحتاج إلى قواعد واضحة تحفظ الحقوق.

سابعًا: الوفاء بالعهود

كان النبي ﷺ شديد الوفاء بالعهود.

Edit with WPS Office

فإذا عاهد قومًا لم يغدر بهم.

وكان يحذر من الغدر والخيانة.

فالوفاء بالعهد من علامات الأخلاق النبوية.

ثامنًا: تحريم الغدر

كان النبي ﷺ ينهى عن الغدر.

وكان يربي أصحابه على أن القوة لا تبرر الخيانة.

فحتى في الصراع، هناك أخلاق وضوابط.

Edit with WPS Office

تاسعًا: قبول المعاهدات

عقد النبي ﷺ معاهدات واتفاقات مع جهات مختلفة.

ومن أشهرها صلح الحديبية.

وقد كان الصلح في ظاهره شاقًا على بعض المسلمين، لكنه أظهر حكمة النبي ﷺ وبعد نظره.

عاشرًا: صلح الحديبية

كان صلح الحديبية من أعظم المواقف السياسية في السيرة.

Edit with WPS Office

فقد قبل النبي ﷺ شروطًا لم يكن بعض الصحابة يرونها سهلة.

لكنه كان ينظر إلى المصلحة الأبعد.

وقد ترتب على الصلح انتشار الدعوة واتساع دائرة التواصل بين المسلمين وغيرهم.

الحادي عشر: احترام الاتفاق

لم يكن النبي ﷺ ينظر إلى الاتفاق على أنه مجرد ورقة.

بل كان يلتزم بما تم الاتفاق عليه.

وهذا درس مهم في السياسة والأخلاق.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: مراعاة المصالح

كان النبي ﷺ ينظر إلى النتائج بعيدة المدى.

فليس كل تنازل عن أمر فرعي ضعفًا.

قد يكون الحكيم هو الذي يقبل بما يمكن قبوله من أجل تحقيق مصلحة أعظم.

الثالث عشر: التعامل التجاري

تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين في البيع والشراء.

Edit with WPS Office

فقد كان التعامل المالي ممكنًا في إطار الحلال والعدل.

وهذا يدل على أن اختلاف الدين لا يعني انقطاع كل صور التعامل.

الرابع عشر: رهن درعه عند يهودي

ثبت أن النبي ﷺ اشترى طعامًا من يهودي ورهنه درعه.

وهذا من أوضح الأمثلة على التعامل المالي مع غير المسلمين.

الخامس عشر: زيارة المريض

كان النبي ﷺ يزور المريض ولو كان غير مسلم إذا كان في ذلك

Edit with WPS Office

تأليف للقلوب أو إظهار للرحمة.

ومن أشهر المواقف قصة الغلام اليهودي الذي كان يخدم النبي ﷺ، فعاده عندما مرض.

السادس عشر: الرحمة في الدعوة

لم يكن النبي ﷺ يفرح بهلاك الناس.

بل كان يحزن على من يرفض الحق.

وكان يريد لهم الهداية.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 3].

السابع عشر: موقفه من أهل الطائف

ذهب النبي ﷺ إلى الطائف يدعو أهلها.

فقابلوه بالأذى.

ورموه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه.

ومع ذلك، عندما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، لم يختر الانتقام، بل رجا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله.

وهذا من أعظم صور الرحمة.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: العفو عن أهل مكة

عندما فتح النبي ﷺ مكة دخلها منتصرًا.

وكان يستطيع أن يجعل يوم الفتح يوم انتقام.

لكن العفو كان حاضرًا بقوة.

فدخل كثير من أهل مكة في الإسلام، وتحولت العداوة القديمة إلى أخوة.

التاسع عشر: لا ظلم في الإسلام

Edit with WPS Office

لم يكن الإسلام يبيح ظلم الناس.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 57].

وكان النبي ﷺ يحذر من الظلم.

العشرون: حماية المعاهد

من أعظم صور الوفاء أن الإسلام شدد في حماية من دخل في عهد أو أمان.

وقال النبي ﷺ:

Edit with WPS Office

«من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة».

وهذا يدل على خطورة الاعتداء على من له عهد وأمان.

الحادي والعشرون: حفظ حقوق الجار غير المسلم

لم يجعل النبي ﷺ اختلاف الدين سببًا في إسقاط حق الجوار.

فالجار له حق في الإحسان وعدم الأذى.

الثاني والعشرون: البر والإحسان

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: 8].

وهذه الآية أصل عظيم في البر والعدل مع غير المحاربين.

الثالث والعشرون: عدم الاعتداء

الإسلام لا يجعل القتال غاية.

بل وضع له أسبابًا وضوابط.

قال تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: 190].

Edit with WPS Office

فالاعتداء مرفوض.

الرابع والعشرون: الفرق بين الاختلاف والعداء

ليس كل مخالف في الدين عدوًا.

فقد يكون الإنسان مختلفًا في العقيدة لكنه مسالم.

وقد يكون الاختلاف الديني قائمًا دون وجود عدوان.

وهذا فرق مهم في فهم السيرة.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: الثبات على العقيدة

مع رحمته ﷺ بغير المسلمين، لم يكن يساوم على أصل التوحيد.

فكان واضحًا في دعوته:

عبادة الله وحده.

وترك الشرك.

واتباع الوحي.

فالرحمة لا تعني الذوبان في المعتقدات.

السادس والعشرون: لا إكراه في الدين

Edit with WPS Office

من أصول الإسلام:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

فالإيمان الحقيقي لا يكون بالإجبار.

وإنما يكون عن اقتناع وتصديق واختيار.

السابع والعشرون: الحوار

كان النبي ﷺ يحاور المخالفين.

وكان القرآن يعرض الأدلة ويناقش الشبهات.

Edit with WPS Office

وهذا يدل على أن الإسلام لا يخشى الحوار القائم على العلم و الحكمة.

الثامن والعشرون: الحوار مع أهل الكتاب

دعا القرآن إلى الحوار بالتي هي أحسن.

قال تعالى:

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: 46].

فالحوار ينبغي أن يكون قائمًا على الأدب والعلم.

Edit with WPS Office

التاسع والعشرون: الرسائل إلى الملوك

أرسل النبي ﷺ رسائل إلى عدد من الملوك والحكام يدعوهم إلى الإ
سلام.

وكانت هذه الرسائل تعبر عن عالمية الرسالة.

الثلاثون: دعوة هرقل

أرسل النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم.

وكانت الرسالة قائمة على دعوته إلى الإسلام.

وهذا يبين أن الدعوة لم تكن محصورة في الجزيرة العربية.

Edit with WPS Office

الحادي والثلاثون: دعوة كسرى

أرسل النبي ﷺ رسالة إلى كسرى ملك فارس.

وكان يدعو الحكام إلى الإسلام.

وهذا يؤكد عالمية الرسالة النبوية.

الثاني والثلاثون: دعوة النجاشي

كان للنجاشي موقف معروف في حماية المسلمين المهاجرين إلى الحبشة.

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ يقدر مواقفه.

وهذا يدل على تقدير العدل ولو صدر من غير المسلم.

الثالث والثلاثون: العدل مع الجميع

كان المبدأ النبوي واضحًا:

العدل لا يتجزأ.

فلا يجوز أن نكون عادلين مع من نحب فقط.

الرابع والثلاثون: الرحمة لا تعني التنازل

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ رحيمًا، لكنه لم يتنازل عن عقيدته.

وكان متسامحًا في التعامل، لكنه واضح في الإيمان.

وهذا هو التوازن الصحيح.

الخامس والثلاثون: التسامح في الحياة اليومية

التسامح يظهر في أمور بسيطة:

في الكلام.

وفي البيع والشراء.

Edit with WPS Office

وفي الجوار.

وفي الزيارة.

وفي الوفاء.

وفي عدم الإيذاء.

وفي احترام الحقوق.

السادس والثلاثون: حفظ الكرامة

لم يكن النبي ﷺ يرضى بإهانة الناس.

حتى عند الاختلاف.

Edit with WPS Office

فالخلاف لا يبرر السخرية أو الشتائم أو الظلم.

السابع والثلاثون: أخلاق المسلم مع المخالف

المسلم مطالب بأن يكون صادقًا وأمينًا وعادلًا.

حتى مع من يخالفه.

وهذه الأخلاق جزء من الدعوة إلى الإسلام.

الثامن والثلاثون: السيرة وتصحيح المفاهيم

Edit with WPS Office

تكشف السيرة أن علاقة المسلمين بغير المسلمين ليست صورة واحدة.

فقد تكون:

جوارًا.

أو تجارة.

أو عهدًا.

أو حوارًا.

أو تعاونًا في أمر مباح.

وقد تكون صراعًا إذا وقع عدوان وحرب.

Edit with WPS Office

ولذلك يجب فهم كل موقف في سياقه التاريخي والشرعي.

التاسع والثلاثون: لا تعميم في الأحكام

من الأخطاء أن يؤخذ موقف واحد من السيرة ويُعمم على جميع غير المسلمين.

فالنبي ﷺ تعامل مع أفراد وجماعات مختلفة، وكانت مواقفهم مختلفة.

ومن ثم جاءت الأحكام والمواقف بحسب حال كل طرف.

الأربعون: الإسلام دين أخلاق

Edit with WPS Office

لم يكن النبي ﷺ يدعو الناس إلى العقيدة فقط بمعزل عن الأخلاق.

بل جعل الأخلاق جزءًا من الإيمان.

فالصدق والأمانة والرحمة والعدل من صميم الدين.

الحادي والأربعون: حسن التعامل دعوة

قد يدخل الإنسان في الإسلام بسبب كلمة طيبة.

أو موقف رحيم.

أو أمانة.

Edit with WPS Office

أو عدل.

ولذلك كانت أخلاق النبي ﷺ من أقوى وسائل الدعوة.

الثاني والأربعون: الرحمة بالعالمين

لم تكن رحمته ﷺ خاصة بالمسلمين.

بل كانت رحمته ممتدة إلى الإنسان عمومًا، وإلى الحيوان، وإلى كل مخلوق.

وهذا ينسجم مع قوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

Edit with WPS Office

الثالث والأربعون: النموذج النبوي في التعايش

يعلمنا النموذج النبوي أن المجتمع يمكن أن يجمع بين اختلاف العقائد وبين تنظيم العلاقات على أساس الحقوق والواجبات و العدل.

فالتعايش لا يعني إلغاء الاختلاف.

كما أن الاختلاف لا يعني بالضرورة العدوان.

الرابع والأربعون: ما الذي نتعلمه اليوم؟

نتعلم:

Edit with WPS Office

أن نعدل.

وأن نفي بالعهود.

وأن نحفظ حقوق الجيران.

وأن نحسن التعامل.

وأن نترك الظلم.

وأن نبتعد عن التعصب الأعمى.

وأن نكون واضحين في عقيدتنا دون ظلم للآخرين.

وأن نجعل أخلاقنا صورة صادقة عن ديننا.

Edit with WPS Office

الخامس والأربعون: الرسالة الخالدة

إن دراسة تعامل رسول الله ﷺ مع غير المسلمين تكشف جانبًا عظيمًا من عظمة شخصيته.

كان واضح العقيدة.

رحيم القلب.

وفيًا بالعهد.

عادلًا في الحكم.

حكيمًا في السياسة.

Edit with WPS Office

صبورًا في الدعوة.

قادرًا على العفو.

وشديدًا في مواجهة العدوان عندما تفرض الظروف ذلك.

فلم يكن منهجه قائمًا على الكراهية العمياء، ولا على التنازل عن العقيدة، وإنما على التوحيد والعدل والرحمة والوفاء والحكمة.

خاتمة الفصل

لقد قدم رسول الله ﷺ نموذجًا متوازنًا في التعامل مع غير المسلمين.

فلم يظلم مخالفًا لمجرد مخالفته.

Edit with WPS Office

ولم يغدر بمعاهد.

ولم يمنع التعامل المباح.

ولم يمنع البر والإحسان عن المسالمين.

وفي الوقت نفسه لم يتنازل عن عقيدته، ولم يخلط بين الحق و الباطل.

فكان واضحًا في الدين، رحيمًا في التعامل، عادلًا في الحكم، وفيًا في العهد.

وهذا هو التوازن الذي تحتاج إليه المجتمعات في كل زمان:

عقيدة واضحة، وأخلاق راقية، وعدل مع الجميع، ووفاء بالعهود، ورحمة بالإنسان.

ومن هنا ندرك أن دراسة السيرة ليست مجرد دراسة أحداث تاريخية

Edit with WPS Office

، وإنما هي دراسة لمنهج كامل في التعامل مع الإنسان.

لقد كان رسول الله ﷺ رحمة في السلم، وحكمة في العهد، وعدلًا في الحكم، وثباتًا في العقيدة، وقوةً في مواجهة العدوان.

وهكذا اجتمعت في شخصيته ﷺ معاني الرحمة والحكمة والعدل و القوة.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل السابع والعشرون

رسول الله ﷺ في السلم والحرب

الرحمة عند القدرة، والحزم عند الضرورة

تمهيد

كان رسول الله ﷺ رسول رحمة، ولم تكن الحرب في حياته غايةً يسعى إليها، وإنما كانت الحرب في سياقها التاريخي والشرعي مرتبطة بدفع العدوان وحماية الجماعة المسلمة ومواجهة من اختاروا القتال.

وفي المقابل، كان السلم عنده فرصة للأمن والدعوة والتواصل.

ولهذا تكشف السيرة عن منهج متوازن يجمع بين الرغبة في السلام، والاستعداد للدفاع، والالتزام بالأخلاق، والوفاء بالعهود.

Edit with WPS Office

قال الله تعالى:

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: 61].

أولًا: الأصل في العلاقة هو الدعوة إلى الله

بدأ النبي ﷺ دعوته بالكلمة والحجة.

لم يبدأ حياته بالدعوة بالقتال، وإنما دعا قومه إلى التوحيد بالحكمة والصبر.

وظل في مكة سنوات طويلة يتحمل الأذى دون أن يأمر أصحابه بمواجهة شاملة مع المشركين.

Edit with WPS Office

ثانيًا: الصبر على الأذى

تعرض النبي ﷺ وأصحابه لألوان شديدة من الأذى.

فقد سُبّ.

وأوذي.

وحوصر.

وأُخرج من وطنه.

ومع ذلك ظل يدعو إلى الله.

وكان هذا الصبر مرحلة أساسية من مراحل بناء الجيل الأول.

Edit with WPS Office

ثالثًا: الهجرة وفتح باب جديد

لما اشتد الأذى، أذن الله للمسلمين بالهجرة.

وكانت الهجرة انتقالًا من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة بناء المجتمع.

ومع ذلك لم تتحول الدولة الجديدة إلى مشروع عدوان، بل بدأت ببناء مجتمع منظم قائم على الإيمان والعدل.

رابعًا: الإذن بالقتال

جاء الإذن بالقتال في سياق تاريخي كانت فيه الجماعة المسلمة قد

Edit with WPS Office

تعرضت للاضطهاد والإخراج والعدوان.

قال تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج: 39].

فليس القتال في التصور الإسلامي عبثًا أو رغبة في سفك الدماء.

خامسًا: القتال ليس هدفًا في ذاته

كان النبي ﷺ يكره أن يبدأ الناس بالقتال إذا أمكن الوصول إلى السلام.

وكان يبين أن القوة ليست غاية بذاتها.

Edit with WPS Office

فالأصل أن يعيش الناس في أمن إذا أمكن ذلك دون ظلم أو عدوان.

سادسًا: البحث عن السلام

من أوضح النماذج النبوية في ذلك صلح الحديبية.

فقد قبل النبي ﷺ اتفاقًا أتاح فترة من الهدوء والأمان.

وقد أثبتت الأحداث أن هذا السلام كان له أثر كبير في انتشار الدعوة.

سابعًا: صلح الحديبية مدرسة في الحكمة

Edit with WPS Office

قد تبدو بعض القرارات في لحظتها صعبة.

لكن القائد الحكيم ينظر إلى النتائج.

وقد رأى النبي ﷺ أن الصلح يحقق مصلحة عظيمة للمسلمين، فقبله.

وهذا يعلمنا أن الحكمة ليست دائمًا في التشدد.

ثامنًا: الوفاء بالاتفاقات

كان النبي ﷺ ملتزمًا بالعهود.

فإذا تم الاتفاق وجب الوفاء به.

Edit with WPS Office

والقوة لا تبرر الغدر.

تاسعًا: عدم الخيانة

كان النبي ﷺ يحذر من الغدر.

وكان يعلم أصحابه أن الأخلاق لا تسقط حتى في أوقات الصراع.

فالإنسان المسلم يبقى ملتزمًا بالحق.

عاشرًا: الحرب لها أخلاق

لم تكن الحرب في الهدي النبوي فوضى بلا ضوابط.

Edit with WPS Office

بل كانت لها أحكام وآداب.

وكان النبي ﷺ ينهى عن صور من الاعتداء.

ومن ذلك النهي عن قتل النساء والصبيان.

الحادي عشر: النهي عن قتل غير المقاتلين

من الضوابط المهمة في السيرة التمييز بين من يشارك في القتال ومن لا يشارك فيه.

فليس كل إنسان في الطرف الآخر هدفًا للقتل.

وهذا من مظاهر الانضباط الأخلاقي في الحرب.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: النهي عن الغدر

كان النبي ﷺ يحذر من الغدر حتى في مواجهة العدو.

فإذا وجد عهد فلا يجوز نقضه خيانة.

الثالث عشر: عدم التمثيل

نهى النبي ﷺ عن التمثيل بالقتلى.

وهذا يحفظ للإنسان كرامته حتى بعد موته.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: الرحمة بالأسرى

كان للأسرى حقوق في الهدي الإسلامي.

ولم يكن الانتقام الشخصي هو الأصل في التعامل معهم.

وقد ظهر ذلك في عدد من أحداث السيرة.

الخامس عشر: أسرى بدر

بعد بدر تعامل النبي ﷺ مع الأسرى وفق ما اقتضته المصلحة و الحكم الشرعي في ذلك الوقت.

Edit with WPS Office

وكان من الأسرى من فدى نفسه بالمال، ومنهم من استفاد المسلمون من علمه.

وهذا يكشف أن التعامل مع الأسرى لم يكن قائمًا على التشفي.

السادس عشر: تعليم الأسرى

من صور التعامل مع أسرى بدر أن بعضهم افتدى نفسه بتعليم عدد من أبناء المسلمين القراءة والكتابة.

وهذه صورة لافتة تجعل العلم وسيلة من وسائل معالجة آثار الحرب.

السابع عشر: حماية البيئة

Edit with WPS Office

لم يكن الهدي النبوي قائمًا على التخريب لمجرد التخريب.

وكانت للحرب ضوابط.

ولا ينبغي أن تتحول مواجهة العدو إلى إفساد شامل لا ضرورة له.

الثامن عشر: عدم الاعتداء

قال تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: 190].

فالاعتداء مرفوض حتى في سياق القتال.

Edit with WPS Office

التاسع عشر: الشجاعة

كان النبي ﷺ شجاعًا.

وكان حاضرًا في المواقف الصعبة.

ولم يكن يختبئ خلف أصحابه.

وكان الصحابة يجدونه أقربهم إلى العدو عند اشتداد القتال.

العشرون: الثبات عند الخطر

في الأزمات العسكرية كان النبي ﷺ ثابتًا.

Edit with WPS Office

وفي غزوة حنين، عندما اضطرب بعض الناس في بداية المعركة، بقي ثابتًا ونادى أصحابه.

وهذا نموذج في الثبات القيادي.

الحادي والعشرون: الشجاعة ليست تهورًا

الشجاعة النبوية لم تكن اندفاعًا بلا حساب.

بل كانت شجاعة مقرونة بالحكمة والتخطيط.

فالشجاع الحقيقي يعرف متى يتقدم ومتى يتراجع ومتى يقبل الصلح.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: التخطيط العسكري

أخذ النبي ﷺ بالأسباب.

اختار المواقع.

ونظم الصفوف.

وأرسل السرايا.

واستخدم الاستطلاع.

وكان يخطط للمعارك بحسب ظروفها.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: الاستفادة من الخبرات

كان النبي ﷺ يستفيد من آراء أصحابه.

وفي الخندق أخذ بفكرة حفر الخندق.

وهذا يدل على أن القائد الناجح لا يستغني عن خبرات الآخرين.

الرابع والعشرون: عدم احتقار الخصم

لم يكن النبي ﷺ يحتقر قوة الآخرين.

بل كان يعرف قدر خصمه.

Edit with WPS Office

ويخطط على أساس الواقع.

وهذا من الحكمة.

الخامس والعشرون: المعنويات

كان النبي ﷺ يرفع معنويات أصحابه.

ويذكرهم بالله.

ويشجعهم.

ويثبت قلوبهم.

فالنجاح في الأزمات لا يعتمد على الوسائل المادية وحدها.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: الرحمة بالجنود

كان النبي ﷺ يهتم بأصحابه.

ويعرف حاجاتهم.

ويشاركهم التعب.

وكانت قيادته قريبة منهم.

السابع والعشرون: القيادة بالمشاركة

Edit with WPS Office

في حفر الخندق شارك النبي ﷺ بنفسه.

وهذا جعل الصحابة يشعرون أنه واحد منهم في العمل والمسؤولية.

الثامن والعشرون: النصر ليس مبررًا للظلم

حتى إذا انتصر المسلمون، لم يكن النصر تصريحًا بالظلم.

فالعدل واجب في كل الأحوال.

وهذه من أعظم خصائص الأخلاق الإسلامية.

التاسع والعشرون: فتح مكة

Edit with WPS Office

كان فتح مكة لحظة فارقة.

عاد النبي ﷺ إلى البلد الذي أخرجه أهله منه.

وكان يستطيع أن ينتقم من سنوات طويلة من الأذى.

لكنه اختار في مواقف كثيرة العفو والصفح.

الثلاثون: القوة مع الرحمة

كان النبي ﷺ قويًا عندما تدعو الحاجة إلى القوة.

وكان رحيمًا عندما يكون العفو هو الأصلح.

Edit with WPS Office

وهذا هو التوازن.

فالقوة بلا رحمة تتحول إلى ظلم.

والرحمة بلا حكمة قد تتحول إلى ضعف.

أما المنهج النبوي فيجمع بين القوة والحكمة والرحمة.

الحادي والثلاثون: العفو عند المقدرة

من أعظم صور القوة أن يستطيع الإنسان الانتقام ثم يختار العفو.

وقد كان النبي ﷺ نموذجًا في ذلك.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: عدم الانتقام للنفس

كان النبي ﷺ لا ينتقم لنفسه.

أما إذا انتهكت حرمات الله أو وقع ظلم، فكان يتعامل مع الأمر بما يحقق الحق والعدل.

الثالث والثلاثون: الحرب ليست بابًا للفوضى

من الأخطاء أن تُفهم الحرب في السيرة على أنها حالة من الفوضى.

بل كانت هناك أوامر ونظم وضوابط.

وكانت المسؤولية تقع على القيادة، وليس على الأفراد أن يتصرفوا بـ

Edit with WPS Office

لا ضابط.

الرابع والثلاثون: الالتزام بالأوامر

كان النبي ﷺ ينظم أصحابه ويحدد لهم المهام.

وكان الالتزام بالتوجيهات جزءًا من النجاح العسكري.

الخامس والثلاثون: درس غزوة أحد

كشفت غزوة أحد أثر مخالفة التعليمات.

فبعض الرماة تركوا مواقعهم قبل انتهاء المهمة، وكان لذلك أثر على

Edit with WPS Office

سير المعركة.

وهذا يعلمنا أن الانضباط جزء أساسي من النجاح.

السادس والثلاثون: التعلم من الأخطاء

لم تكن الهزيمة الجزئية في أحد نهاية الطريق.

بل نزل القرآن يعالج الأخطاء، ويربي الأمة على التعلم منها.

وهذا منهج عظيم في الحياة.

السابع والثلاثون: النصر والهزيمة ابتلاء

Edit with WPS Office

لم يكن النبي ﷺ ينظر إلى النصر باعتباره دليلًا على القوة الذاتية فقط، ولا إلى المصيبة باعتبارها نهاية كل شيء.

بل كان ينظر إلى الأحداث في إطار الابتلاء والتربية.

الثامن والثلاثون: السلم يحتاج إلى قوة

السلام المستقر يحتاج إلى حماية.

ولهذا كان النبي ﷺ يبني مجتمعًا قويًا قادرًا على الدفاع عن نفسه.

فالسلم لا يعني الاستسلام.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: القوة لحماية الحقوق

القوة في الإسلام ليست لإذلال الآخرين.

بل لحماية الحقوق ودفع العدوان ومنع الظلم.

الأربعون: الحكمة في استخدام القوة

القائد الحكيم لا يستخدم القوة لمجرد امتلاكها.

بل يستخدمها عند الحاجة وبقدر الحاجة.

Edit with WPS Office

الحادي والأربعون: الفرق بين القوة والعدوان

القوة قد تكون مشروعة.

أما العدوان فهو تجاوز للحدود.

ولهذا جمع القرآن بين الأمر بالقتال والنهي عن الاعتداء.

الثاني والأربعون: السيرة ليست تاريخ حروب

من الخطأ اختزال السيرة النبوية في الغزوات.

فقد كانت حياة النبي ﷺ مليئة بالتربية والعلم والعبادة والأسرة و الدعوة والعلاقات الإنسانية.

Edit with WPS Office

وكانت الحروب جزءًا من سياق تاريخي، وليست كل السيرة.

الثالث والأربعون: فهم الأحداث في سياقها

لا يمكن فهم موقف عسكري في السيرة بمعزل عن الظروف التي سبقته.

ولذلك يجب قراءة الأحداث في سياقها التاريخي والسياسي والا جتماعي.

الرابع والأربعون: ماذا نتعلم اليوم؟

نتعلم من الهدي النبوي:

Edit with WPS Office

أن نبحث عن السلام متى أمكن.

وأن نفي بالعهود.

وأن نرفض الغدر.

وأن نلتزم بالعدل.

وأن نحترم الإنسان.

وأن نمنع الاعتداء.

وأن نأخذ بالأسباب.

وأن نكون أقوياء دون ظلم.

Edit with WPS Office

وأن نعفو عندما يكون العفو أصلح.

الخامس والأربعون: المنهج النبوي في السلم والحرب

يكشف لنا هذا الفصل أن شخصية رسول الله ﷺ لا يمكن اختزالها في صورة واحدة.

كان رحيمًا، لكنه لم يكن ضعيفًا.

وكان قويًا، لكنه لم يكن ظالمًا.

وكان محبًا للسلام، لكنه لم يكن مستسلمًا للعدوان.

وكان يعفو، لكنه لم يكن يتنازل عن الحق.

Edit with WPS Office

وكان يخطط، ثم يتوكل على الله.

وهذا هو التوازن الذي صنع جيلًا حمل الرسالة من بعده.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ في السلم رسول رحمة، وفي الحرب ملتزمًا بـ الحق والعدل.

لم يجعل الحرب غاية.

ولم يجعل القوة وسيلة للظلم.

ولم يسمح للغضب أن يلغي الأخلاق.

Edit with WPS Office

بل ظل الإنسان المسلم في نظره مسؤولًا عن أفعاله حتى في أصعب الظروف.

ومن هنا نفهم عظمة المنهج النبوي:

السلام عندما يكون السلام ممكنًا، والدفاع عندما يقع العدوان، و الوفاء بالعهد في كل الأحوال، والعدل حتى مع الخصم، والرحمة حيث تكون الرحمة خيرًا، والقوة حين تكون ضرورة لحماية الحق.

لقد كان رسول الله ﷺ قائدًا يعرف متى يصبر، ومتى يصالح، ومتى يدافع، ومتى يعفو.

ولذلك فإن دراسة سيرته في السلم والحرب ليست دراسة لتاريخ المعارك فقط، وإنما هي دراسة لمنهج أخلاقي متكامل في التعامل مع الأزمات والصراعات.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثامن والعشرون

عفو رسول الله ﷺ وتسامحه

حين انتصر القلب على الرغبة في الانتقام

تمهيد

كان العفو من أعظم الأخلاق التي تجلت في شخصية رسول الله ﷺ.

ولم يكن عفوه نابعًا من ضعف أو عجز، بل كان في كثير من الأحيان عفو القادر على الانتقام.

وقد تعرض ﷺ لألوان من الأذى، من السب والإيذاء والتكذيب والإ خراج من الوطن، بل تعرض لمحاولات قتله.

Edit with WPS Office

ومع ذلك لم يكن الانتقام هو خُلقه الغالب.

قال الله تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199].

وكان النبي ﷺ يطبق هذا المعنى في حياته.

أولًا: العفو قوة وليس ضعفًا

قد يظن بعض الناس أن العفو دليل على الضعف.

لكن الحقيقة أن الإنسان قد يعجز عن الانتقام فيعفو، وقد يقدر على الانتقام ثم يعفو.

Edit with WPS Office

والنوع الثاني هو الذي يظهر قوة النفس.

وقد كان النبي ﷺ يجمع بين القدرة والقوة وبين الرحمة والعفو.

ثانيًا: العفو عند المقدرة

من أعظم صور العفو أن تعفو وأنت قادر.

وقد كان النبي ﷺ قادرًا على الانتقام من كثير ممن آذوه.

لكن قلبه لم يكن متعلقًا بالانتقام لنفسه.

وكان يفضل الهداية والإصلاح متى كان ذلك ممكنًا.

Edit with WPS Office

ثالثًا: أذى قريش

تعرض النبي ﷺ وأصحابه لأذى شديد من قريش.

سخروا منه.

وكذبوه.

وآذوا أصحابه.

وحاصروهم.

وأخرجوه من مكة.

ثم واجهوه عسكريًا بعد الهجرة.

Edit with WPS Office

ومع ذلك لم يكن هدفه الانتقام الشخصي.

رابعًا: موقفه من أهل الطائف

من أعظم مواقف العفو في السيرة موقفه ﷺ بعد رحلة الطائف.

فقد تعرض للأذى الشديد، ورماه أهل الطائف بالحجارة.

وعندما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، لم يطلب هلاكهم.

بل قال إنه يرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده.

إنها رحمة تتجاوز لحظة الألم إلى المستقبل.

Edit with WPS Office

خامسًا: لم يحمل الحقد

كان النبي ﷺ يتعرض للأذى، لكنه لم يكن يعيش أسيرًا للحقد.

فالحقد يستهلك صاحبه.

أما العفو فيحرر القلب.

وكان قلب النبي ﷺ أوسع من أن يحمل أحقادًا شخصية.

سادسًا: العفو لا يعني نسيان الحق

العفو لا يعني أن الإنسان يجهل الخطأ.

Edit with WPS Office

ولا يعني أن الظالم يصبح مظلومًا.

ولا يعني إسقاط جميع الحقوق.

بل يعني أحيانًا أن يختار الإنسان الصفح عندما يكون الصفح أصلح.

سابعًا: الفرق بين العفو والضعف

العفو ضعف عندما يكون الإنسان عاجزًا عن حماية حقه ولا يملك خيارًا آخر.

أما عندما يكون قادرًا على الرد ثم يختار العفو لمصلحة شرعية أو أخلاقية، فهذا من القوة.

Edit with WPS Office

ثامنًا: العفو والإصلاح

قال تعالى:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 40].

فالعفو المحمود هو الذي يؤدي إلى الإصلاح.

أما العفو الذي يشجع الظالم على الاستمرار في ظلمه فله أحكام أخرى.

تاسعًا: فتح مكة

Edit with WPS Office

بلغت قمة التسامح النبوي في فتح مكة.

عاد النبي ﷺ إلى المكان الذي أُخرج منه.

عاد بعد سنوات من الألم.

وكان أهل مكة يتوقعون ماذا سيفعل بهم.

فكان يومًا عظيمًا من أيام العفو.

عاشرًا: العفو عن كثير من أهل مكة

دخل كثير من أهل مكة في الإسلام بعد أن رأوا أخلاق النبي ﷺ.

ولم يجعل النبي ﷺ فتح مكة مناسبة لتصفية الحسابات الشخصية.

Edit with WPS Office

بل كان المقصود إنهاء مرحلة الجاهلية وفتح باب جديد.

الحادي عشر: تحول الأعداء إلى أتباع

من أعظم ثمار العفو أنه يفتح القلوب.

فقد تحول بعض أشد خصوم النبي ﷺ إلى مسلمين يدافعون عن الإ
سلام.

وهذا يؤكد أن إصلاح الإنسان أعظم من الانتقام منه.

الثاني عشر: عكرمة بن أبي جهل

Edit with WPS Office

كان عكرمة بن أبي جهل من أشد خصوم الإسلام في مكة.

ثم أسلم بعد فتح مكة.

وأصبح من المسلمين.

وهذا نموذج واضح على أن الإنسان لا ينبغي أن يُختزل في ماضيه.

الثالث عشر: أبو سفيان

كان أبو سفيان من كبار قادة قريش في مواجهة المسلمين.

ثم أسلم بعد فتح مكة.

Edit with WPS Office

وتحول من خصم إلى مسلم له مكانته.

وهذا يبين أثر التعامل الحكيم في تغيير النفوس.

الرابع عشر: وحشي بن حرب

كان وحشي قد قتل حمزة رضي الله عنه في أحد.

ثم جاء بعد ذلك وأسلم.

وقبل النبي ﷺ إسلامه.

وهذا من المواقف التي تكشف عظمة العفو النبوي.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: قصة المرأة اليهودية

ثبت في السيرة والحديث أن امرأة يهودية قدمت للنبي ﷺ شاة مسمومة، وأكل منها، ثم ظهر أثر السم عليه.

وهذا الموقف يكشف أن النبي ﷺ لم يكن يتعامل مع كل الناس بمنطق الانتقام الشخصي.

السادس عشر: عدم الانتقام للنفس

قالت عائشة رضي الله عنها في وصف النبي ﷺ إنه ما ضرب بيده شيئًا قط، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله.

وكان إذا ظُلم لنفسه لم يجعل حياته قائمة على الانتقام.

Edit with WPS Office

السابع عشر: الحلم عند الاستفزاز

كان بعض الناس يسيئون الأدب معه.

ومع ذلك كان ﷺ حليمًا.

وكان يفرق بين الجاهل الذي يحتاج إلى تعليم وبين المعتدي الذي يحتاج إلى ردع.

وهذه من أعظم صور الحكمة.

الثامن عشر: قصة الأعرابي

Edit with WPS Office

جاء أعرابي فجذب رداء النبي ﷺ جذبًا شديدًا، وطلب منه مالًا.

فنظر إليه النبي ﷺ ثم أعطاه.

وهذا موقف يكشف سعة صدره ﷺ.

التاسع عشر: الرحمة بالجاهل

كان النبي ﷺ يعلم أن بعض الناس يخطئون بسبب الجهل.

فكان يعالج الجهل بالتعليم.

ومن أشهر الأمثلة قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فنهى الصحابة عن تعنيفه، ثم علّمه برفق.

Edit with WPS Office

العشرون: التعليم بدل الإهانة

كان بإمكان النبي ﷺ أن يوبخ الجاهل بشدة.

لكنه اختار التعليم.

وهذا أصل عظيم في التربية:

صحح الخطأ، ولا تهدم الإنسان.

الحادي والعشرون: عدم التشهير

لم يكن النبي ﷺ يجعل الخطأ الفردي مناسبة لإهانة صاحبه أمام

Edit with WPS Office

الناس.

بل كان يقول أحيانًا:

«ما بال أقوام...»

فيعالج المشكلة دون الحاجة إلى التشهير بالشخص.

الثاني والعشرون: الستر

كان من هديه ﷺ الستر على الناس.

فالستر يحفظ كرامة الإنسان، ويتيح له فرصة إصلاح نفسه.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: قبول التوبة

كان النبي ﷺ يفرح بتوبة الناس ورجوعهم إلى الحق.

فالماضي ليس بالضرورة نهاية الإنسان.

وقد يتحول المذنب التائب إلى إنسان صالح.

الرابع والعشرون: عدم اليأس من الناس

من أخطر الأخطاء أن نحكم على إنسان بأنه لن يتغير.

السيرة تعلمنا أن القلوب تتغير.

Edit with WPS Office

وقد يتحول أشد المعارضين إلى أعظم المدافعين عن الحق.

الخامس والعشرون: الرحمة بالمخطئ

لم يكن النبي ﷺ يساوي بين الخطأ وصاحبه.

فقد يخطئ الإنسان، لكن الخطأ لا يعني أن الإنسان فقد كل خير.

ولهذا كان الإصلاح هو المقصد.

السادس والعشرون: العفو داخل الأسرة

كان النبي ﷺ متسامحًا مع أهله.

Edit with WPS Office

وكان يتحمل بعض المواقف التي تقع في الحياة الزوجية.

وهذا يعلمنا أن الأسرة تحتاج إلى قدر كبير من التغاضي.

السابع والعشرون: العفو بين الزوجين

الحياة الزوجية لا تستقيم إذا كان كل طرف يسجل أخطاء الآخر.

بل تحتاج إلى:

التغاضي.

والصبر.

Edit with WPS Office

والاعتذار.

والصفح.

وحسن الظن.

الثامن والعشرون: العفو بين الأصدقاء

الصداقة الحقيقية لا تخلو من الأخطاء.

ومن أعظم أسباب استمرارها أن يعرف الإنسان متى يعاتب، ومتى يعفو.

Edit with WPS Office

التاسع والعشرون: العفو في المجتمع

إذا انتشر الانتقام بين الناس تحولت الخلافات الصغيرة إلى عداوات كبيرة.

أما إذا انتشر العفو والإصلاح، هدأت النفوس.

الثلاثون: القرآن والتسامح

قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: 34].

فالحسنة قد تحول العدو إلى ولي حميم.

Edit with WPS Office

الحادي والثلاثون: مقابلة الإساءة بالإحسان

من أصعب الأخلاق أن تقابل الإساءة بالإحسان.

لكن هذا من أرفع درجات الأخلاق.

ولا يعني ذلك أن يترك الإنسان حقوقه، وإنما يعني ألا يتحول إلى صورة من ظلمه.

الثاني والثلاثون: السيطرة على الغضب

قال النبي ﷺ:

Edit with WPS Office

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

فمن يملك نفسه عند الغضب أقوى ممن يستطيع التغلب على غيره.

الثالث والثلاثون: الغضب قد يهدم

كلمة واحدة في لحظة غضب قد تهدم علاقة استمرت سنوات.

ولهذا كان ضبط الغضب من أعظم أبواب الحكمة.

الرابع والثلاثون: الصمت عند الغضب

Edit with WPS Office

أحيانًا يكون الصمت أفضل من الرد.

فليس كل كلام يحتاج إلى جواب.

وقد يكون تأجيل الرد وسيلة لحماية العلاقة من الانهيار.

الخامس والثلاثون: الاعتذار

العفو يحتاج أحيانًا إلى اعتذار.

والاعتذار ليس ضعفًا.

بل هو شجاعة أخلاقية.

Edit with WPS Office

السادس والثلاثون: قبول الاعتذار

وكما ينبغي للإنسان أن يعتذر عندما يخطئ، ينبغي للطرف الآخر أن يقبل الاعتذار إذا كان صادقًا.

وهذا يفتح باب الإصلاح.

السابع والثلاثون: العفو لا يلغي العدالة

الإسلام لم يجعل العفو واجبًا في كل موقف.

قال تعالى:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: 40].

Edit with WPS Office

ثم قال:

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

فجعل العفو فضيلة مع بقاء حق المظلوم.

الثامن والثلاثون: متى يكون الحزم مطلوبًا؟

إذا أدى العفو إلى استمرار الظلم أو ضياع الحقوق أو إفساد المجتمع، فقد يكون الحزم هو الأصلح.

وهذا يبين أن الأخلاق النبوية قائمة على الحكمة، لا على العاطفة المجردة.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: التوازن بين الرحمة والعدل

الرحمة لا تعني إلغاء العدل.

والعدل لا يعني إلغاء الرحمة.

وكان النبي ﷺ يجمع بينهما.

الأربعون: العفو الذي يغير القلوب

أفضل العفو هو الذي يفتح بابًا جديدًا.

فإذا أدى العفو إلى توبة وإصلاح ومودة، كان من أعظم الأعمال.

Edit with WPS Office

الحادي والأربعون: ماذا نتعلم في حياتنا؟

نتعلم ألا نعيش أسرى للماضي.

وأن نعطي المخطئ فرصة للتوبة.

وأن نضبط غضبنا.

وأن نعتذر إذا أخطأنا.

وأن نقبل الاعتذار.

وأن نعفو عندما يكون العفو أصلح.

Edit with WPS Office

الثاني والأربعون: في الأسرة

إذا أردنا بيتًا مستقرًا، فلا بد من التسامح.

فلا يوجد زوج كامل.

ولا توجد زوجة كاملة.

ولا يوجد أبناء بلا أخطاء.

والأسرة التي لا تعرف العفو تتحول إلى محكمة دائمة.

الثالث والأربعون: في العمل

Edit with WPS Office

في بيئة العمل، قد تحدث أخطاء وسوء فهم.

والحكمة أن نعالج الخطأ دون تحويله إلى عداوة شخصية.

الرابع والأربعون: في المجتمع

المجتمع الذي ينتشر فيه التسامح والإصلاح يكون أكثر استقرارًا.

أما المجتمع الذي تنتشر فيه الرغبة في الانتقام والتشهير، فتزداد فيه الخصومات والانقسامات.

الخامس والأربعون: أعظم درس

Edit with WPS Office

من أعظم دروس السيرة أن الإنسان لا ينبغي أن يسمح للظلم الذي تعرض له أن يحوله إلى ظالم.

قد تتألم.

وقد تُظلم.

وقد يسيء إليك إنسان.

لكن لا تجعل إساءته تسرق منك أخلاقك.

وهذا من أعظم ما نتعلمه من رسول الله ﷺ.

خاتمة الفصل

Edit with WPS Office

كان رسول الله ﷺ نموذجًا عظيمًا في العفو والتسامح.

عفا عندما كان العفو أصلح.

وصبر عندما كان الصبر أنفع.

وحزم عندما كان الحزم ضرورة.

ولم يكن عفوه ضعفًا، وإنما كان في كثير من المواقف قوةً أخلاقية عظيمة.

لقد أُوذي في مكة، وأُخرج منها، وأوذي في الطائف، وحورب في المدينة، وقُتل أصحابه وأحباؤه، ثم عاد إلى مكة منتصرًا، فكان قادرًا على الانتقام، لكنه لم يجعل النصر مناسبة لإشباع الرغبة في الثأر.

وهنا تظهر عظمة النبوة.

Edit with WPS Office

فالقائد قد ينتصر بالسيف، لكن النبي ﷺ كان يريد أن ينتصر الحق في القلوب.

والقوة قد تجبر الإنسان على الصمت، لكن العفو قد يجعله محبًا.

والانتقام قد ينهي خصومة، لكن الرحمة قد تصنع إنسانًا جديدًا.

ولهذا كان رسول الله ﷺ مدرسة في العفو، لا لأن الظلم عنده مقبول ، ولكن لأن إصلاح الإنسان كان أعظم من الانتقام منه متى كان الإص لاح ممكنًا.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل التاسع والعشرون

رسول الله ﷺ في أيامه الأخيرة ووصاياه لأمته

الوداع الأخير وبقاء الرسالة

تمهيد

بعد أن اكتملت رسالة رسول الله ﷺ، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وأقام الحجة، وفتح الله له مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، بدأت مرحلة الوداع.

وفي أيامه الأخيرة ﷺ ظهرت معاني عظيمة من الإيمان، والرحمة، و الحرص على الأمة، والثبات على الحق.

لم يكن همه في مرضه الأخير نفسه، وإنما كان قلبه متعلقًا بأمته، وبالصلاة، وبالرسالة التي حملها.

Edit with WPS Office

وكانت كلماته الأخيرة دروسًا خالدة للأجيال.

أولًا: اكتمال الرسالة

في حجة الوداع وقف النبي ﷺ بين أصحابه معلنًا إتمام البلاغ.

وقد نزل قول الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وكان ذلك إيذانًا باكتمال الرسالة وتمام النعمة.

Edit with WPS Office

ثانيًا: حجة الوداع

كانت حجة الوداع من أعظم الأحداث في السيرة.

اجتمع فيها عدد كبير من المسلمين مع رسول الله ﷺ.

وكانت فرصة عظيمة لتعليم الأمة أصول الدين وأحكامه.

ثالثًا: خطبة الوداع

ألقى النبي ﷺ خطبة عظيمة تضمنت جملة من المبادئ الكبرى.

أكد فيها حرمة الدماء والأموال والأعراض.

وأوصى بالنساء.

Edit with WPS Office

وأكد حقوق الناس.

وأبطل كثيرًا من ممارسات الجاهلية.

وكانت الخطبة إعلانًا لمبادئ تقوم عليها حياة المجتمع المسلم.

رابعًا: حرمة الدماء والأموال والأعراض

أكد النبي ﷺ أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة.

وهذا يؤسس لمجتمع يقوم على احترام الإنسان وعدم الاعتداء عليه.

Edit with WPS Office

خامسًا: إبطال العصبية الجاهلية

من معاني الرسالة النبوية القضاء على العصبيات التي كانت تجعل الإ
نسان ينصر قومه ظالمين أو مظلومين.

فالميزان هو الحق والعدل، لا القبيلة والنسب.

سادسًا: الوصية بالنساء

أوصى النبي ﷺ بالنساء خيرًا.

وكان هذا توجيهًا عظيمًا إلى حسن المعاملة داخل الأسرة.

فالأسرة في الإسلام تقوم على المودة والرحمة والمسؤولية.

Edit with WPS Office

سابعًا: أداء الأمانة

من المبادئ التي رسخها النبي ﷺ أداء الحقوق والأمانات.

فالمال والوظيفة والمسؤولية والعهد كلها أمانات.

ثامنًا: القرآن أساس الهداية

كان القرآن هو المرجع الأعظم في حياة الأمة.

وقد دعا النبي ﷺ إلى التمسك به والعمل به.

Edit with WPS Office

فالقرآن ليس كتابًا للقراءة فقط، وإنما كتاب هداية ومنهج حياة.

تاسعًا: الاقتداء بالسنة

كانت سنة النبي ﷺ بيانًا عمليًا للقرآن.

ولهذا بقيت أقواله وأفعاله وتقريراته مصدرًا مهمًا لفهم الدين وتطبيقه.

عاشرًا: إعلان إتمام البلاغ

كان النبي ﷺ شديد الحرص على أن يبلغ رسالته كاملة.

Edit with WPS Office

وفي حجة الوداع سأل أصحابه عن ذلك.

فشهدوا له أنه بلغ وأدى ونصح.

الحادي عشر: سؤال الأمة عن الشهادة

من المشاهد المؤثرة في حجة الوداع أن النبي ﷺ سأل الناس:

«ألا هل بلغت؟»

فقالوا: نعم.

فرفع إصبعه إلى السماء ثم أشار إليهم وقال:

«اللّٰهم اشهد».

Edit with WPS Office

وهذا يبين عظم مسؤولية البلاغ.

الثاني عشر: بداية المرض

بعد عودته ﷺ من حجة الوداع بدأ مرضه الذي انتهى بوفاته.

وكان مرضًا شديدًا.

ومع ذلك ظل قلبه متعلقًا بالصلاة والأمة.

الثالث عشر: اشتداد المرض

Edit with WPS Office

اشتد المرض بالنبي ﷺ.

وكان يتنقل بين بيوت زوجاته.

ثم استأذنهن أن يُمرّض في بيت عائشة رضي الله عنها.

فأذنّ له.

الرابع عشر: في بيت عائشة رضي الله عنها

انتقل النبي ﷺ إلى بيت عائشة رضي الله عنها.

وكانت تقوم على رعايته.

وفي بيتها كانت آخر أيامه.

Edit with WPS Office

وفيه كانت وفاته ﷺ.

الخامس عشر: حرصه على الصلاة

من أعظم ما ظهر في أيامه الأخيرة حرصه على الصلاة.

وكان يقول:

«الصلاة الصلاة».

فكانت الصلاة حاضرة في وصيته واهتمامه.

Edit with WPS Office

السادس عشر: أبو بكر يؤم الناس

لما اشتد مرض النبي ﷺ أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بـ
الناس.

وكان ذلك من أعظم الإشارات إلى مكانة أبي بكر رضي الله عنه.

السابع عشر: محاولة الخروج إلى الصلاة

في بعض أيام مرضه، شعر النبي ﷺ بشيء من القوة، فكشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها، ونظر إلى الصحابة وهم يصلون خلف أبي بكر.

ففرح برؤيتهم مجتمعين على الصلاة.

وكانت تلك من آخر المرات التي رآه فيها أصحابه.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: الرحمة بالأمة

حتى في مرضه الأخير لم ينشغل بنفسه فقط.

بل ظل يفكر في أمته.

وكانت حياته كلها رحمة بهم.

التاسع عشر: عدم الانشغال بالدنيا

لم يكن النبي ﷺ في نهاية حياته يجمع الأموال ولا يبني الثروات.

Edit with WPS Office

بل كان همه تبليغ الرسالة ورضا الله.

العشرون: بساطة الحياة

عاش النبي ﷺ حياة بسيطة.

وقد مات وليس عنده من متاع الدنيا ما يليق بمن يملك سلطانًا دنيويًا.

وهذا يؤكد أن هدفه لم يكن الدنيا.

الحادي والعشرون: العناية بحقوق الناس

Edit with WPS Office

حتى في مرضه، كان حريصًا على حقوق الناس.

ومن ذلك اهتمامه بما قد يكون عليه من حقوق أو مظالم.

فالإنسان ينبغي أن يلقى الله وليس في ذمته حقوق للناس.

الثاني والعشرون: التواضع حتى النهاية

ظل النبي ﷺ متواضعًا.

لم يتغير أسلوبه بسبب مكانته.

فكان رسولًا وقائدًا، وفي الوقت نفسه عبدًا لله.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: آخر لحظات الحياة

في آخر يوم من حياته ﷺ كان المرض قد اشتد عليه.

وكانت عائشة رضي الله عنها قريبة منه.

وكانت لحظات مليئة بالإيمان والسكينة.

الرابع والعشرون: الاختيار إلى جوار الله

ثبت أن النبي ﷺ خُيّر بين البقاء في الدنيا والانتقال إلى الرفيق الأعلى، فاختار ما عند الله.

وكان ذلك من أعظم مشاهد التسليم لله.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: الرفيق الأعلى

كانت من آخر كلماته ﷺ:

«بل الرفيق الأعلى».

وكان اختياره لقاء الله.

ففاضت روحه الطاهرة ﷺ.

السادس والعشرون: وقع الوفاة على الصحابة

Edit with WPS Office

كانت وفاة النبي ﷺ صدمة عظيمة على أصحابه.

فقد عاشوا معه.

وتعلموا منه.

وجاهدوا معه.

وأحبوه حبًا شديدًا.

وكان فراقه عليهم من أشد المصائب.

السابع والعشرون: موقف أبي بكر

لما اضطرب الناس، قام أبو بكر رضي الله عنه وثبتهم.

Edit with WPS Office

وقال:

«من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

ثم تلا قول الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144].

فكان موقفًا عظيمًا في تثبيت الأمة.

الثامن والعشرون: استمرار الرسالة

مات رسول الله ﷺ، لكن الرسالة لم تمت.

Edit with WPS Office

فالقرآن باقٍ.

والدين باقٍ.

والسنة محفوظة.

والأمة مستمرة في حمل الأمانة.

التاسع والعشرون: لا نعبد الأشخاص

من أعظم الدروس أن العبادة لله وحده.

والنبي ﷺ نفسه عبد الله ورسوله.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: 29].

فالمسلم يحب النبي ﷺ أعظم الحب، لكنه يعبد الله وحده.

الثلاثون: حب النبي ﷺ

وفاة النبي ﷺ لا تعني انتهاء علاقته بأمته.

فمحبته باقية.

والاقتداء به باقٍ.

والصلاة والسلام عليه باقية.

Edit with WPS Office

وسنته باقية.

الحادي والثلاثون: الصلاة والسلام عليه

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

فالصلاة والسلام عليه من أعظم صور المحبة.

الثاني والثلاثون: اتباعه بعد وفاته

Edit with WPS Office

المحبة الحقيقية ليست مجرد كلمات.

بل اتباع.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

فمن أحب النبي ﷺ اتبع هديه.

الثالث والثلاثون: وصيته بالصلاة

من أعظم ما ينبغي أن يبقى حاضرًا في حياة المسلم المحافظة على الصلاة.

Edit with WPS Office

فالصلاة صلة بين العبد وربه.

الرابع والثلاثون: وصيته بالأمة

كان النبي ﷺ شديد الرحمة بأمته.

وقد قضى حياته في دعوتها وتعليمها وهدايتها.

وكانت حياته كلها رسالة.

الخامس والثلاثون: وصيته بالأخلاق

Edit with WPS Office

لم تكن رسالته منفصلة عن الأخلاق.

فالصدق.

والأمانة.

والرحمة.

والعدل.

والعفو.

وحسن المعاملة.

كلها من معالم المنهج النبوي.

Edit with WPS Office

السادس والثلاثون: وصيته بالضعفاء

اهتم النبي ﷺ بالفقراء والمساكين والأيتام والضعفاء.

وأكد أن قوة المجتمع تقاس بقدرته على حماية أضعف أفراده.

السابع والثلاثون: وصيته بالأسرة

أكد النبي ﷺ حسن معاملة الزوجة والأبناء والأقارب.

فالبيت هو أول مكان تظهر فيه أخلاق الإنسان.

Edit with WPS Office

الثامن والثلاثون: وصيته بالأمانة

المسلم أمين في:

ماله.

وعمله.

وعلمه.

وأسراره.

وعلاقاته.

ومسؤولياته.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: وصيته بالوحدة

كان النبي ﷺ حريصًا على اجتماع المسلمين وعدم تحول الاختلاف إلى عداوة وفرقة.

فالأمة تحتاج إلى التعاون على الحق والخير.

الأربعون: بقاء السنة

بعد وفاة النبي ﷺ حفظ الصحابة سنته.

ثم نقلها العلماء جيلا ً بعد جيل.

فبقيت تفاصيل حياته وأقواله وأفعاله محفوظة في كتب الحديث و

Edit with WPS Office

السيرة.

الحادي والأربعون: وفاة النبي ليست نهاية القدوة

قد يظن الإنسان أن وفاة النبي ﷺ تجعل الاقتداء به أمرًا تاريخيًا.

لكن الحقيقة أن سنته باقية.

فيمكن للمسلم في كل عصر أن يتعلم من صبره، ورحمته، وعدله، وعبادته، وأخلاقه.

الثاني والأربعون: الوداع الذي لا ينتهي

Edit with WPS Office

انتهت حياة النبي ﷺ الدنيوية.

لكن أثره لم ينته.

فكل صلاة تقام، وكل آية تُتلى، وكل خلق حسن، وكل كلمة حق، وكل إنسان يهتدي إلى الله، يذكرنا برسالته وهديه.

الثالث والأربعون: أعظم تركة

لم يترك النبي ﷺ أموالًا ضخمة.

لكنه ترك أعظم تركة:

كتاب الله وسنته وهديه وسيرته.

Edit with WPS Office

وترك أمة تحمل الرسالة.

الرابع والأربعون: ماذا نتعلم من أيامه الأخيرة؟

نتعلم:

أن نستعد للقاء الله.

وأن نؤدي الأمانات.

وأن نحافظ على الصلاة.

وأن نبر الأسرة.

وأن نحسن إلى الناس.

Edit with WPS Office

وأن نترك الدنيا بقلوب معلقة بالله.

وأن نتمسك بالقرآن والسنة.

الخامس والأربعون: رسول الله ﷺ حتى اللحظة الأخيرة

حتى آخر لحظات حياته ﷺ بقي رسولًا لأمته.

لم تنقطع رحمته.

ولم يتوقف اهتمامه.

وكانت حياته كلها من أولها إلى آخرها رسالة.

Edit with WPS Office

جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وعاش بينهم معلمًا ومربيًا وقائدًا ونبيًا.

ثم رحل إلى الرفيق الأعلى بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة.

خاتمة الفصل

كانت وفاة رسول الله ﷺ أعظم مصيبة مرت على أصحابه.

لكنها لم تكن نهاية الرسالة.

فقد أدى النبي ﷺ الأمانة.

وبلغ الرسالة.

Edit with WPS Office

ونصح الأمة.

وأقام الحجة.

وترك للأمة كتاب الله وسنته.

وقد كانت أيامه الأخيرة مليئة بالدروس:

درس في الصبر.

ودرس في العبادة.

ودرس في التواضع.

ودرس في تحمل المسؤولية.

Edit with WPS Office

ودرس في الرحمة.

ودرس في الاستعداد للقاء الله.

وحين رحل ﷺ، لم يترك أصحابه بلا طريق، بل ترك لهم الوحي و السنة والقدوة.

لقد مات الجسد، وبقيت الرسالة.

وغاب الشخص، وبقيت السنة.

وانتهت الحياة الدنيوية للنبي ﷺ، لكن نوره الذي حمله إلى الناس بقي ممتدًا في الأمة.

فما أعظم أن يعيش الإنسان على هديه، وأن يموت على الإيمان الذي جاء به.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثلاثون

وفاة رسول الله ﷺ وأثرها في الأمة

رحل الرسول وبقيت الرسالة

تمهيد

كانت وفاة رسول الله ﷺ أعظم مصيبة نزلت بالصحابة رضي الله عنهم؛ فقد فقدوا نبيهم ومعلمهم وقائدهم وأحب الناس إليهم.

لكن وفاة النبي ﷺ لم تكن نهاية الإسلام، ولم تكن نهاية رسالته، بل كانت انتقالًا إلى مرحلة جديدة تحمل فيها الأمة الأمانة التي تركها رسول الله ﷺ.

لقد أدى النبي ﷺ مهمته كاملة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وترك

Edit with WPS Office

القرآن والسنة والقدوة.

ومن هنا فإن الحديث عن وفاته ليس حديثًا عن النهاية، وإنما هو حديث عن بقاء الرسالة واستمرار الأثر.

أولًا: اللحظات الأخيرة

اشتد المرض برسول الله ﷺ في أيامه الأخيرة.

وكانت عائشة رضي الله عنها قريبة منه، وكان ﷺ يذكر الله ويستعد للقاء ربه.

وكان آخر ما اختاره من الدنيا هو الرفيق الأعلى.

Edit with WPS Office

ثانيًا: انتقاله إلى الرفيق الأعلى

توفي رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، في السنة الحادية عشرة للهجرة.

وكان عمره الشريف ثلاثًا وستين سنة تقريبًا.

وانتقل إلى جوار ربه بعد حياة حافلة بالدعوة والجهاد والتعليم و التربية والرحمة.

ثالثًا: صدمة الصحابة

لم يكن الصحابة يتصورون بسهولة أن يفقدوا رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

فقد عاشوا معه.

وسمعوا صوته.

وصلوا خلفه.

وتعلموا منه.

وشاهدوا أخلاقه.

وكان فراقه عليهم شديدًا.

رابعًا: موقف عمر بن الخطاب

اشتد الحزن بعمر رضي الله عنه، فلم يستطع في البداية أن

Edit with WPS Office

يستوعب خبر الوفاة.

وهذا يدل على شدة محبته للنبي ﷺ.

لكن الأمة كانت بحاجة إلى من يثبتها.

خامسًا: موقف أبي بكر الصديق

جاء أبو بكر رضي الله عنه، ودخل على رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى الناس.

وكان موقفه من أعظم المواقف في تاريخ الأمة.

فذكّرهم بحقيقة التوحيد، وأن العبادة لله وحده.

Edit with WPS Office

وقال:

«من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

ثم تلا قول الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144].

فاستقرت الحقيقة في نفوس الناس.

سادسًا: درس التوحيد

كانت وفاة النبي ﷺ نفسها درسًا في التوحيد.

Edit with WPS Office

فالنبي ﷺ عبد من عباد الله ورسول من رسله.

نحبه.

ونوقره.

ونصلي ونسلم عليه.

ونقتدي به.

لكن العبادة لله وحده.

سابعًا: الرسول لا يموت في أثره

مات رسول الله ﷺ جسدًا.

Edit with WPS Office

لكن دعوته بقيت.

وسنته بقيت.

وتعاليمه بقيت.

وأثره بقي في قلوب الملايين من المسلمين.

ثامنًا: القرآن باقٍ

أعظم ما تركه النبي ﷺ للأمة كتاب الله.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

فالقرآن باقٍ محفوظًا، وهو أساس الهداية.

تاسعًا: السنة باقية

حفظ الصحابة سنة رسول الله ﷺ.

ونقلوها إلى من بعدهم.

ثم قام علماء الحديث بجمعها وتمييز صحيحها من ضعيفها.

فبقيت تفاصيل حياة النبي ﷺ محفوظة بصورة لا تكاد توجد لنبي أو قائد في التاريخ.

Edit with WPS Office

عاشرًا: الصحابة يحملون الأمانة

بعد وفاة النبي ﷺ لم يتوقف الصحابة.

بل حملوا الرسالة.

ونشروا الإسلام.

وعلموا الناس.

وضربوا أروع الأمثلة في التضحية.

الحادي عشر: أبو بكر الصديق

Edit with WPS Office

واجه أبو بكر رضي الله عنه أزمات خطيرة بعد وفاة النبي ﷺ.

وكان من أهم ما فعله الحفاظ على وحدة الأمة وثباتها.

وكان يعلم أن الرسالة أكبر من الأشخاص.

الثاني عشر: إنفاذ جيش أسامة

كان النبي ﷺ قد جهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه قبل وفاته.

وبعد وفاته أراد بعض الصحابة تأجيل خروجه بسبب الظروف.

لكن أبا بكر رضي الله عنه أصر على إنفاذ ما أمر به رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

وكان في ذلك درس في الالتزام بتوجيه النبي ﷺ.

الثالث عشر: جمع القرآن

بعد وفاة النبي ﷺ، ظهرت الحاجة إلى جمع القرآن في مصحف واحد بصورة منظمة.

فتم ذلك في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم نسخت المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه.

وهكذا حفظت الأمة كتاب ربها.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: انتشار الإسلام

بعد وفاة النبي ﷺ استمر الإسلام في الانتشار.

وانتقل من جزيرة العرب إلى مناطق واسعة.

وأصبح المسلمون يحملون رسالة التوحيد إلى شعوب مختلفة.

الخامس عشر: لم يكن الهدف بناء مجد شخصي

لو كان النبي ﷺ يريد مجدًا دنيويًا، لكان موته نهاية مشروعه.

لكن لأنه كان رسولًا يحمل رسالة من الله، بقيت الرسالة بعد وفاته.

وهذا من أعظم الأدلة على أن حياته كانت لله.

Edit with WPS Office

السادس عشر: بناء الإنسان

من أعظم آثار النبي ﷺ أنه غيّر الإنسان.

حوّل أناسًا كانوا يعيشون في بيئة قبلية متفرقة إلى أمة تحمل رسالة.

فصنع جيلًا غيّر مجرى التاريخ.

السابع عشر: من الجاهلية إلى الإسلام

قبل الإسلام كانت العصبية والوثنية منتشرة.

Edit with WPS Office

ثم جاء الإسلام فبنى مجتمعًا جديدًا يقوم على التوحيد والعدل والأخوة.

وكان النبي ﷺ هو المعلم الأول لهذا التحول.

الثامن عشر: أثره في الأخلاق

غير النبي ﷺ مفهوم الأخلاق.

فجعل الصدق عبادة.

والأمانة عبادة.

والرحمة عبادة.

Edit with WPS Office

والعدل عبادة.

والإحسان إلى الناس من أبواب الأجر.

التاسع عشر: أثره في الأسرة

قدم النبي ﷺ نموذجًا في التعامل مع الزوجات والأبناء والأقارب.

وأكد أن خير الناس هو خيرهم لأهله.

فأصبح البيت جزءًا أساسيًا من مشروع الإصلاح.

Edit with WPS Office

العشرون: أثره في المجتمع

بنى النبي ﷺ مجتمعًا يقوم على التكافل.

فلم يكن الغني منفصلًا عن الفقير.

ولا القوي منفصلًا عن الضعيف.

ولا الحاكم منفصلًا عن الناس.

الحادي والعشرون: أثره في العلم

كان النبي ﷺ يرفع قيمة العلم.

وكان المسجد مركزًا للتعليم.

Edit with WPS Office

وكان الصحابة يتعلمون القرآن والسنة.

ومن هذه المدرسة خرج علماء الأمة.

الثاني والعشرون: أثره في الحضارة

كان الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ أساسًا لحضارة عظيمة امتدت قرونًا.

وازدهرت فيها العلوم والمعارف.

وأسهم المسلمون في الطب والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: أثره في الإنسانية

لم يكن أثر النبي ﷺ مقتصرًا على العرب.

بل امتد إلى شعوب وأمم مختلفة.

فدخلت أمم كثيرة في الإسلام، وأصبحت جزءًا من الأمة.

الرابع والعشرون: محبة النبي ﷺ في قلوب المسلمين

ظل المسلمون يحبون رسول الله ﷺ عبر القرون.

ويذكرون سيرته.

Edit with WPS Office

ويصلون عليه.

ويتعلمون سنته.

ويعلمونها لأبنائهم.

الخامس والعشرون: الصلاة والسلام عليه

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

وهكذا بقي ذكر النبي ﷺ حاضرًا في حياة المسلمين.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: الاقتداء لا مجرد الإعجاب

المحبة الحقيقية للنبي ﷺ لا تكون بالكلمات فقط.

بل بالاتباع.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21].

فالسيرة ينبغي أن تتحول إلى سلوك.

السابع والعشرون: رسول الله ﷺ قدوة لكل زمان

Edit with WPS Office

تغيرت الأزمنة.

وتغيرت وسائل الحياة.

لكن القيم النبوية لا تتغير:

الصدق.

والأمانة.

والرحمة.

والعدل.

والصبر.

Edit with WPS Office

والتواضع.

والإحسان.

الثامن والعشرون: ماذا يعني اتباع النبي اليوم؟

يعني أن يكون المسلم صادقًا.

وأمينًا.

ورحيمًا.

وعادلًا.

بارًا بوالديه.

Edit with WPS Office

محسنًا إلى أسرته.

محافظًا على صلاته.

بعيدًا عن الظلم.

حريصًا على الخير.

التاسع والعشرون: السيرة منهج حياة

ليست السيرة كتابًا نقرأه ثم نغلقه.

بل هي مدرسة.

Edit with WPS Office

نتعلم منها كيف نعيش.

كيف نعامل الأسرة.

كيف نواجه الأزمات.

كيف نتعامل مع الخصوم.

كيف نقود.

كيف نعفو.

كيف نصبر.

كيف نعبد الله.

Edit with WPS Office

الثلاثون: الرسالة مستمرة

بعد وفاة النبي ﷺ أصبح كل مسلم مسؤولًا عن حمل ما يستطيع من الخير.

فالدعوة إلى الله ليست مسؤولية العلماء وحدهم.

وكل إنسان يستطيع أن يكون سببًا في الخير:

بكلمة.

أو خلق.

أو تعليم.

أو صدقة.

Edit with WPS Office

أو مساعدة.

الحادي والثلاثون: الأمة التي تركها النبي ﷺ

ترك النبي ﷺ أمة متماسكة حول العقيدة.

ترك رجالًا حملوا الرسالة.

ونساءً حافظن على العلم.

وشبابًا تحملوا المسؤولية.

وأطفالًا تربوا على الإسلام.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: أثره في التاريخ

قلما عرف التاريخ رجلًا ترك أثرًا بهذا الحجم في فترة زمنية قصيرة.

فخلال نحو ثلاثة وعشرين عامًا تغيرت عقيدة مجتمع كامل،
وتغيرت أخلاقه ونظامه الاجتماعي والسياسي.

الثالث والثلاثون: أعظم معلم

كان رسول الله ﷺ معلمًا قبل أن يكون قائدًا.

وكان يربي الناس بالقدوة.

Edit with WPS Office

فلم يكن يقول شيئًا إلا كان أول المطبقين له.

الرابع والثلاثون: أعظم قائد

كان قائدًا يجمع بين الحزم والرحمة.

فإذا احتاج الموقف إلى الحزم كان حازمًا.

وإذا كان العفو أصلح كان عفوًا.

وإذا احتاج الناس إلى الرحمة كان أرحم الناس.

الخامس والثلاثون: أعظم مربي

Edit with WPS Office

كان يعرف اختلاف الناس.

فيخاطب كل إنسان بما يناسبه.

ويعطي كل شخص فرصة للنمو.

ولهذا خرج من مدرسته أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عباس وابن عمر وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم.

السادس والثلاثون: أعظم قدوة

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

Edit with WPS Office

فالنبي ﷺ قدوة في العبادة.

وقدوة في الأخلاق.

وقدوة في الأسرة.

وقدوة في القيادة.

وقدوة في الصبر.

وقدوة في الرحمة.

السابع والثلاثون: كيف نحفظ أثره؟

Edit with WPS Office

نحفظ أثره بتعلم سنته.

ونحفظه بتعليم أبنائنا سيرته.

ونحفظه بالعمل بأخلاقه.

ونحفظه بالدفاع عن الحق بالحكمة.

ونحفظه بأن نكون صورة حسنة للإسلام.

الثامن والثلاثون: مسؤولية الجيل الجديد

كل جيل مسؤول عن نقل الخير إلى من بعده.

ومن أعظم ما يمكن أن يقدمه الآباء والمربون أن يعرفوا أبناءهم

Edit with WPS Office

برسول الله ﷺ.

ليس مجرد معرفة اسمه ونسبه، بل معرفة شخصيته وأخلاقه ومنهجه.

التاسع والثلاثون: السيرة في مواجهة الأزمات

عندما يواجه الإنسان أزمة، يجد في السيرة نماذج للصبر.

في الهجرة: التخطيط والتوكل.

في الطائف: الصبر.

في أحد: التعلم من الخطأ.

Edit with WPS Office

في الخندق: الثبات والتخطيط.

في الحديبية: الحكمة.

في فتح مكة: العفو.

الأربعون: السيرة وبناء الأمل

تعلمنا السيرة أن الأوضاع الصعبة ليست نهاية الطريق.

فالنبي ﷺ بدأ دعوته في مكة مستضعفًا.

ثم انتقل إلى المدينة.

ثم عاد إلى مكة فاتحًا.

Edit with WPS Office

وهكذا يتحول الأمل إلى عمل.

الحادي والأربعون: الوفاء برسالته

إذا أردنا أن نعرف هل حقق النبي ﷺ مهمته، فالنظر إلى أثره يكفي.

بلغ الرسالة.

وأدى الأمانة.

ونصح الأمة.

وترك الدين واضحًا.

Edit with WPS Office

ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى.

الثاني والأربعون: رسالة لا تموت

يموت الأشخاص.

لكن المبادئ قد تبقى.

وقد حمل النبي ﷺ رسالة التوحيد، فبقيت هذه الرسالة بعد وفاته.

الثالث والأربعون: من أحب النبي فليتبعه

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آل عمران: 31].

فالحب الحقيقي يظهر في الاتباع.

الرابع والأربعون: ماذا بقي لنا من رسول الله ﷺ؟

بقي لنا:

القرآن.

والسنة.

والسيرة.

Edit with WPS Office

والأخلاق.

والقدوة.

والرسالة.

وبقيت أمامنا فرصة أن نحول هذا التراث إلى حياة وسلوك.

الخامس والأربعون: رحل الرسول وبقيت الرسالة

رحل رسول الله ﷺ عن الدنيا، لكن رسالته لم ترحل.

وبقي القرآن يتلى.

وبقي الأذان يرفع باسم الله.

Edit with WPS Office

وبقي المسلمون يصلون على النبي ﷺ.

وبقيت سنته مدرسة للأجيال.

وبقيت سيرته منارة لكل من أراد أن يعرف كيف يكون الإنسان عبدًا لله، رحيمًا بالناس، عادلًا في الحكم، صادقًا في القول، أمينًا في العمل.

خاتمة الفصل

كانت وفاة رسول الله ﷺ نهاية حياته الدنيوية، لكنها كانت بداية مرحلة جديدة في تاريخ الأمة.

رحل النبي ﷺ، لكن أصحابه لم يسمحوا للحزن أن يهزم الرسالة.

Edit with WPS Office

قام أبو بكر.

ثم عمر.

ثم عثمان.

ثم علي.

وتتابعت أجيال الأمة.

كل جيل يحمل شيئًا من الأمانة.

وهكذا بقي الإسلام.

وبقي القرآن.

وبقيت السنة.

Edit with WPS Office

وبقيت السيرة.

وبقي اسم محمد ﷺ يتردد في قلوب المسلمين وعلى ألسنتهم.

إن أعظم وفاء للنبي ﷺ ليس أن نبكي عند ذكر وفاته فقط، وإنما أن نحيا على هديه.

أن نصدق كما صدق.

وأن نرحم كما رحم.

وأن نعفو كما عفا.

وأن نصبر كما صبر.

وأن نعبد الله كما علم أمته.

Edit with WPS Office

وأن نكون أمناء على الرسالة التي حملها.

فقد رحل رسول الله ﷺ عن الدنيا، لكن أثره لم يرحل.

مات الرسول ﷺ، وبقيت الرسالة.

غاب عن أعيننا، وبقي هديه في أيدينا وقلوبنا.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الحادي والثلاثون

شمائل رسول الله ﷺ

جمال الخَلْق وكمال الخُلُق

تمهيد

لم يكن رسول الله ﷺ عظيم الرسالة فقط، بل كان عظيم الخَلْق و الخُلُق.

وقد جمع الله له من الصفات أكملها، ومن الأخلاق أرفعها، ومن الشمائل أجملها.

قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

Edit with WPS Office

وكانت حياته ﷺ صورة عملية للأخلاق التي دعا إليها.

أولًا: جمال الخَلْق

وصف الصحابة رسول الله ﷺ بأوصاف تدل على جمال هيئته وحسن منظره.

وكان من يراه يشعر بجمال خاص وهيبة محببة.

وقد حفظت كتب السنة أوصافًا كثيرة لهيئته ﷺ.

ثانيًا: وجهه ﷺ

Edit with WPS Office

كان وجه النبي ﷺ مشرقًا، وكان الصحابة يشبهون إشراقه بالقمر و الشمس.

وكانت ملامحه تبعث الطمأنينة في نفوس من يجلس معه.

ثالثًا: طلاقة الوجه

كان ﷺ كثير التبسم.

ولم يكن عبوسًا فظًا.

وكان يستقبل أصحابه بوجه طلق.

وهذا يعلمنا أن الابتسامة خلق عظيم.

Edit with WPS Office

رابعًا: ابتسامته ﷺ

قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه إنه ما حجب عنه النبي ﷺ منذ أسلم، ولا رآه إلا تبسم في وجهه.

وهذا يدل على حسن معاشرته ﷺ للناس.

خامسًا: صوته ﷺ

كان النبي ﷺ حسن الصوت.

وكان إذا تكلم سمعه الناس وفهموا كلامه.

Edit with WPS Office

وكان يتكلم بوضوح، فلا يسرع سرعة تمنع الفهم.

سادسًا: كلامه ﷺ

كان كلامه واضحًا، مختصرًا، عميق المعنى.

وكان إذا تكلم بكلام مهم كرره أحيانًا حتى يفهمه الناس.

وهذا من كمال أسلوبه في التعليم.

سابعًا: حسن الاستماع

Edit with WPS Office

كان ﷺ يستمع إلى من يحدثه.

ولم يكن يقطع كلام الناس بلا حاجة.

وكان يعطي المتحدث اهتمامًا.

وهذا خلق يحتاج إليه المربون والدعاة والقادة.

ثامنًا: التواضع

كان رسول الله ﷺ من أكثر الناس تواضعًا.

كان يجلس حيث ينتهي به المجلس.

ولا يحب أن يقوم الناس له تعظيمًا.

Edit with WPS Office

وكان يعيش حياة بسيطة رغم مكانته العظيمة.

تاسعًا: التواضع مع الفقراء

كان يجلس مع الفقراء والمساكين.

ويستمع إليهم.

ويزورهم.

ويجيب دعوتهم.

فلم تكن مكانته النبوية حاجزًا بينه وبين عامة الناس.

Edit with WPS Office

عاشرًا: التواضع مع الأطفال

كان ﷺ يرحم الأطفال.

ويحمل بعضهم.

ويداعبهم.

ويسلم عليهم.

وهذا يبين أن التربية النبوية قامت على الرحمة والقرب.

الحادي عشر: رحمته بالصغار

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكان يرى أن الرحمة بالأطفال جزء من الرحمة التي يحبها الله.

الثاني عشر: رحمته بالحيوان

امتدت رحمته ﷺ إلى الحيوان.

ونهى عن تعذيب الحيوان.

وأكد الرفق به.

وهذا يدل على أن الرحمة في الإسلام ليست مقتصرة على الإنسان فقط.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: رحمته بالخدم

كان النبي ﷺ حسن المعاملة لمن يعملون عنده.

وقد شهد أنس بن مالك رضي الله عنه، الذي خدمه سنوات، بحسن معاملته.

الرابع عشر: أنس بن مالك والنبي ﷺ

خدم أنس رضي الله عنه رسول الله ﷺ سنوات طويلة.

وكان يقول إنه ما قال له في شيء فعله: لم فعلته؟ ولا في شيء

Edit with WPS Office

تركه: لم تركته؟

وهذه شهادة عظيمة على حلم النبي ﷺ.

الخامس عشر: حلمه ﷺ

كان النبي ﷺ حليمًا.

لا يستفزه كل شيء.

ولا يجعل الغضب قائدًا له.

وكان يتعامل مع أخطاء الناس بالحكمة.

Edit with WPS Office

السادس عشر: صبره ﷺ

صبر على:

التكذيب.

والأذى.

والفقر.

وفقد الأحبة.

والحصار.

والهجرة.

Edit with WPS Office

والحروب.

ومسؤولية الأمة.

وكان صبره بالله ولله.

السابع عشر: شجاعته ﷺ

كان ﷺ شجاعًا.

وفي المواقف الصعبة كان ثابتًا.

وكان الصحابة يجدونه قريبًا من مواضع الخطر.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: كرمه ﷺ

كان النبي ﷺ كريمًا.

يعطي من سأله.

ويواسي المحتاج.

وكان لا يخشى الفقر بسبب الإنفاق في سبيل الله.

التاسع عشر: جوده ﷺ

كان من أجود الناس.

Edit with WPS Office

وكان جوده يزداد في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام.

العشرون: الزهد

كان ﷺ زاهدًا في الدنيا.

لم يجعل متاع الدنيا هدف حياته.

وكان يعيش حياة بسيطة رغم ما فتح الله عليه.

الحادي والعشرون: العبادة

كان ﷺ كثير العبادة.

Edit with WPS Office

يقوم الليل.

ويذكر الله.

ويستغفر.

ويصلي.

ويصوم.

وكانت عبادته متوازنة لا تقوم على الغلو.

الثاني والعشرون: قيام الليل

Edit with WPS Office

كان يقوم الليل حتى تتعب قدماه.

فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فقال:

«أفلا أكون عبدًا شكورًا».

وهذا من أعظم صور الشكر.

الثالث والعشرون: كثرة الذكر

كان ﷺ ذاكرًا لله في أحواله.

وعلم أصحابه أذكارًا كثيرة.

Edit with WPS Office

فكان الذكر جزءًا أساسيًا من حياته.

الرابع والعشرون: الاستغفار

كان ﷺ يستغفر الله كثيرًا.

وهذا يعلم المؤمن ألا يغتر بعمله، بل يظل محتاجًا إلى رحمة الله.

الخامس والعشرون: رحمته بالأمة

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وهذه الآية تلخص جانبًا عظيمًا من شخصيته ﷺ.

السادس والعشرون: حرصه على هداية الناس

كان يتألم لضلال الناس.

وكان يريد لهم الخير.

ولم تكن الدعوة عنده مجرد وظيفة، وإنما كانت رسالة يعيش لها.

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: عدله ﷺ

كان عادلًا.

لا يحابي أحدًا في الحق.

وكان يقول إن الناس متساوون أمام الشرع.

الثامن والعشرون: أمانته ﷺ

كان أمينًا قبل البعثة وبعدها.

حتى أعداؤه كانوا يعرفون صدقه وأمانته.

وقد لقب قبل البعثة بالصادق الأمين.

Edit with WPS Office

التاسع والعشرون: صدقه ﷺ

لم يعرف عنه الكذب.

وكان الصدق من أبرز صفاته.

وقد تحمل بسبب صدقه الأذى، ولم يتراجع عن الحق.

الثلاثون: وفاؤه ﷺ

كان وفيًا بالعهد.

Edit with WPS Office

يحفظ المعروف.

ويتذكر أصحاب الفضل.

ولا ينسى من أحسن إليه.

الحادي والثلاثون: وفاؤه لخديجة رضي الله عنها

ظل النبي ﷺ يذكر خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها.

وكان يثني عليها ويذكر فضلها.

وهذا من أعظم صور الوفاء للزوجة الصالحة.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: حسن معاشرته لأهله

كان ﷺ حسن العشرة.

يساعد أهله.

ويخدم في بيته.

وكان يضرب المثل في الرحمة والرفق داخل الأسرة.

الثالث والثلاثون: ملاطفته لأهله

كان يمزح مع أهله في حدود الحق.

Edit with WPS Office

وكان يعرف أن الحياة الزوجية تحتاج إلى مودة ولطف.

الرابع والثلاثون: حكمته في التعامل

لم يكن يعالج كل الناس بالطريقة نفسها.

فقد يعطي أحدهم نصيحة، ويعطي آخر نصيحة مختلفة بحسب حاله.

وهذا هو فقه النفوس.

الخامس والثلاثون: فصاحته ﷺ

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ أفصح العرب.

وكان كلامه يجمع بين قوة المعنى وجمال اللفظ.

وكان يستطيع إيصال المعنى بأقل الكلمات.

السادس والثلاثون: جوامع الكلم

من خصائصه ﷺ أنه أوتي جوامع الكلم.

فكان يقول كلمات قليلة تحمل معاني عظيمة.

ومن ذلك:

«إنما الأعمال بالنيات».

Edit with WPS Office

وهو حديث قصير، لكنه أصل عظيم في الإسلام.

السابع والثلاثون: رحمته بالمخطئ

لم يكن يطرد المخطئ من المجتمع بمجرد خطئه.

بل كان يفتح له باب التوبة.

وكان يعلم أن الناس يخطئون.

الثامن والثلاثون: عفوه

Edit with WPS Office

كان يعفو عن كثير من الناس.

وكان عفوه أعظم عندما يكون قادرًا على الانتقام.

التاسع والثلاثون: غضبه لله

لم يكن غضبه لنفسه.

لكن إذا انتهكت حرمات الله كان يظهر غضبه للحق.

وهذا يدل على التوازن في شخصيته.

الأربعون: شجاعته في قول الحق

Edit with WPS Office

لم يكن يخشى الناس في تبليغ رسالة الله.

واجه قريشًا.

وصبر على المعارضة.

وثبت على التوحيد.

الحادي والأربعون: علاقته بأصحابه

كان قريبًا من أصحابه.

يعرف أسماءهم وأحوالهم.

Edit with WPS Office

ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم.

وكانوا يحبونه حبًا شديدًا.

الثاني والأربعون: احترام الإنسان

كان يحترم الإنسان.

ومن صور ذلك أنه قام لجنازة يهودي، فقيل له إنها جنازة يهودي، فقال:

«أليست نفسًا؟»

وهذا يبين عظمة احترام الحياة الإنسانية.

Edit with WPS Office

الثالث والأربعون: بساطته

كان يجلس على الأرض.

ويأكل الطعام البسيط.

ويلبس ما تيسر.

ويعيش حياة بعيدة عن التكلف.

الرابع والأربعون: شخصية متكاملة

إذا جمعنا صفاته ﷺ وجدنا شخصية متكاملة:

Edit with WPS Office

نبيًا.

ومعلمًا.

وقائدًا.

وزوجًا.

وأبًا.

وصديقًا.

وعابدًا.

ومربيًا.

Edit with WPS Office

وقاضيًا.

ومصلحًا.

وكان في كل ذلك قدوة.

الخامس والأربعون: أعظم ما في شمائله ﷺ

لم تكن عظمة النبي ﷺ في جمال صورته فقط.

بل كان جماله الأكبر في قلبه وأخلاقه.

فقد جمع بين:

الرحمة والقوة.

Edit with WPS Office

والتواضع والهيبة.

والحزم والحلم.

والكرم والزهد.

والشجاعة والرحمة.

والعبادة والعمل.

والعلم والحكمة.

وهذا التكامل هو الذي جعل شخصيته ﷺ من أعظم الشخصيات في تاريخ الإنسانية.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

حين نقرأ شمائل رسول الله ﷺ، فإننا لا نقرأ وصفًا لرجل عاش في القرن السابع الميلادي فقط، وإنما نتعرف إلى شخصية جعلها الله قدوة للبشر.

كان ﷺ جميل الخَلق، عظيم الخُلق.

كان إذا تحدث أنصت الناس.

وإذا رأوه أحبوه.

وإذا عاشروه ازدادوا به تعلقًا.

وكان قريبًا من الضعيف، رحيمًا بالصغير، كريمًا مع الفقير، متواضعًا مع الناس، شجاعًا عند الخطر، صابرًا عند البلاء، عادلًا عند الحكم، عفوًا عند المقدرة.

Edit with WPS Office

ولذلك قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

فإذا أردنا أن نعرف رسول الله ﷺ حقًا، فلا يكفي أن نعرف تاريخ مولده وهجرته وغزواته، بل ينبغي أن نعرف كيف كان يعيش، وكيف كان يتعامل، وكيف كان يبتسم، وكيف كان يعفو، وكيف كان يعبد ربه ، وكيف كان يحب أمته.

إنها شمائل نبي كريم، ورحمة مهداة، وقدوة خالدة.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثاني والثلاثون

رسول الله ﷺ في بيته ومع أسرته

القدوة في الحياة الزوجية والأسرية

تمهيد

كانت حياة رسول الله ﷺ في بيته مدرسة متكاملة في الرحمة و المودة وحسن العشرة.

فلم تكن عظمته ﷺ مقتصرة على المسجد أو مجلس التعليم أو ميدان القيادة، وإنما ظهرت عظمته كذلك داخل بيته، مع زوجاته وأبنائه وأحفاده وخدمه.

وهذا من أعظم جوانب القدوة؛ لأن الإنسان قد يحسن التعامل مع الناس خارج بيته، بينما يكون تعامله مع أهله مختلفًا.

Edit with WPS Office

أما رسول الله ﷺ فقد كان خير الناس لأهله.

قال ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

أولًا: البيت النبوي مدرسة للأخلاق

كان بيت النبي ﷺ مكانًا للعبادة والتعليم والتربية والمودة.

وفيه عاش ﷺ مع زوجاته، وفيه تربى أبناؤه وأحفاده، ومنه نقلت أمهات المؤمنين كثيرًا من تفاصيل حياته الخاصة التي لم يكن يعرفها الناس خارج البيت.

Edit with WPS Office

ثانيًا: حسن معاشرة الزوجات

كان النبي ﷺ حسن العشرة مع زوجاته.

وكان يعرف أن الزواج ليس مجرد مسؤوليات مادية، وإنما هو مودة ورحمة وصحبة.

قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

وكان ﷺ خير من طبق هذا التوجيه.

ثالثًا: الرحمة داخل البيت

Edit with WPS Office

كان ﷺ رحيمًا بأهل بيته.

ولم يكن يستخدم القسوة أسلوبًا دائمًا في التربية.

بل كان يربي بالكلمة الطيبة، والقدوة، والصبر، والتوجيه.

رابعًا: التواضع مع أهله

لم يكن يرى مكانته النبوية مانعًا من المشاركة في شؤون البيت.

وكانت عائشة رضي الله عنها تصف حاله في بيته بأنه كان يكون في مهنة أهله، أي يساعدهم في أعمال البيت.

فكان القائد العظيم متواضعًا في بيته.

Edit with WPS Office

خامسًا: خدمة الأهل

من أعظم الدروس أن الإنسان لا ينقص من قدره أن يساعد أسرته.

فالمساعدة في البيت ليست عيبًا.

بل هي من حسن المعاشرة.

سادسًا: الابتسامة داخل البيت

كان النبي ﷺ بشوشًا.

Edit with WPS Office

وكان يعرف قيمة الابتسامة والكلمة الطيبة.

والبيت الذي تغيب عنه الابتسامة يتحول إلى مكان ثقيل على أهله.

سابعًا: الملاطفة

كان ﷺ يلاطف زوجاته.

وكانت حياته الزوجية تتضمن لحظات من المرح والمودة.

ومن ذلك ما ورد من مسابقته لعائشة رضي الله عنها.

فسبقته مرة، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها، وقال لها ما يدل على الملا طفة والمداعبة.

Edit with WPS Office

ثامنًا: احترام المشاعر

كان النبي ﷺ يعرف مشاعر زوجاته.

وكان يلاحظ تغير حالهن.

وهذا من كمال حسن العشرة.

فالحياة الزوجية تحتاج إلى فهم المشاعر، لا إلى الأوامر فقط.

تاسعًا: معرفة الغيرة

كانت الغيرة تقع بين أمهات المؤمنين.

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ يتعامل معها بحكمة.

فلم يكن يتعامل مع المشاعر الإنسانية وكأنها غير موجودة.

بل كان يعرف طبيعة الإنسان.

عاشرًا: العدل بين الزوجات

كان ﷺ حريصًا على العدل بين زوجاته في الأمور التي يملكها الإ
نسان.

وكان يقسم بينهن ويعدل في المبيت والنفقة ونحو ذلك.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: الحب لا ينافي العدل

كان النبي ﷺ يحب بعض زوجاته أكثر من بعض، ومع ذلك كان يلتزم بالعدل فيما يجب عليه.

وهذا يبين أن المشاعر شيء، والحقوق شيء آخر.

الثاني عشر: مكانة خديجة رضي الله عنها

كانت خديجة رضي الله عنها ذات مكانة عظيمة في قلب رسول الله ﷺ.

كانت أول من آمن به.

Edit with WPS Office

ووقفت إلى جانبه في أصعب مراحل الدعوة.

وكان ﷺ يذكر فضلها حتى بعد وفاتها.

الثالث عشر: الوفاء لخديجة

كان ﷺ إذا ذُكرت خديجة أثنى عليها.

وكان يقول بمعنى حديثه إنها صدقته حين كذبه الناس، وآوته حين حرمه الناس، وواسته بمالها.

وهذا درس عظيم في الوفاء.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: عائشة رضي الله عنها

كانت عائشة رضي الله عنها من أحب الناس إلى النبي ﷺ.

وكانت من أعلم نساء الأمة.

ونقلت للأمة قدرًا هائلًا من سنة النبي ﷺ وحياته الخاصة.

الخامس عشر: التعليم داخل البيت

كان البيت النبوي مركزًا للعلم.

تعلمت أمهات المؤمنين من رسول الله ﷺ، ثم نقلن ما تعلمنه إلى الصحابة والتابعين.

Edit with WPS Office

وهكذا أصبح البيت جزءًا من مدرسة النبوة.

السادس عشر: تربية الأبناء

كان النبي ﷺ رحيمًا بأبنائه.

وقد رزقه الله القاسم وعبد الله وإبراهيم، وبناته زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم.

وكان يحب أبناءه ويحنو عليهم.

السابع عشر: مكانة فاطمة رضي الله عنها

Edit with WPS Office

كانت فاطمة رضي الله عنها شديدة القرب من رسول الله ﷺ.

وكان يحبها ويحسن إليها.

وكانت من أحب أهل بيته إليه.

الثامن عشر: الحسن والحسين

كان النبي ﷺ يحب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكان يحملهما ويقبلهما.

وكان يقول:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

Edit with WPS Office

وكانت علاقته بهما مثالًا في الرحمة بالأحفاد.

التاسع عشر: تقبيل الأطفال

كان النبي ﷺ يقبل الأطفال.

وفي ذلك تعليم للأباء أن إظهار المحبة لا يفسد التربية.

بل إن الطفل يحتاج إلى أن يشعر بأنه محبوب.

العشرون: الرحمة بالأطفال

Edit with WPS Office

كان ﷺ يراعي مشاعر الأطفال.

وكان إذا سمع بكاء الصبي في الصلاة خفف فيها رحمة بأمه.

وهذا نموذج عظيم في مراعاة أحوال الناس.

الحادي والعشرون: التعامل مع الخدم

كان أنس بن مالك رضي الله عنه يخدم النبي ﷺ.

وقد شهد له بحسن المعاملة وطول الحلم.

فلم يكن النبي ﷺ يستغل مكانته لإهانة من يخدمه.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: لا إهانة للخادم

كان ﷺ ينهى عن الظلم والإهانة.

وكان يحث على حسن التعامل مع من تحت أيدي الناس.

وهذا يشمل الخدم والعمال وكل من يكون الإنسان مسؤولًا عنه.

الثالث والعشرون: التربية بالقدوة

كان النبي ﷺ يربي أهل بيته بفعله قبل كلامه.

فإذا دعا إلى الصلاة كان أول الناس إليها.

Edit with WPS Office

وإذا دعا إلى الصدق كان أصدق الناس.

وإذا دعا إلى الرحمة كان أرحم الناس.

الرابع والعشرون: الحوار داخل الأسرة

كان النبي ﷺ يستمع إلى زوجاته.

وكانت تحدثه عائشة رضي الله عنها وتناقشه.

وكان الحوار موجودًا في البيت النبوي.

الخامس والعشرون: الصبر على الاختلاف

Edit with WPS Office

الاختلاف بين أفراد الأسرة أمر طبيعي.

والحكمة ليست في منع الاختلاف تمامًا، وإنما في إدارة الاختلاف دون ظلم أو إساءة.

وقد كان النبي ﷺ نموذجًا في ذلك.

السادس والعشرون: معالجة المشكلات

كان ﷺ يعالج المشكلات بالحكمة.

لا يتسرع في إصدار الأحكام.

ولا يجعل الغضب هو الحاكم.

Edit with WPS Office

بل ينظر في الأمر ويختار الأسلوب الأنسب.

السابع والعشرون: عدم ضرب النساء

قالت عائشة رضي الله عنها في وصف النبي ﷺ:

إنه ما ضرب بيده امرأة ولا خادمًا.

وهذا نموذج واضح من رحمته وحسن عشرته.

الثامن والعشرون: احترام المرأة

Edit with WPS Office

جاء الإسلام فرفع مكانة المرأة، وأكد حقوقها وكرامتها.

وكان النبي ﷺ يوصي بالنساء خيرًا.

التاسع والعشرون: الزواج مودة ورحمة

قال الله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

وهذا هو الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه الأسرة.

Edit with WPS Office

الثلاثون: الرجل في بيته

من أعظم الدروس النبوية أن حقيقة أخلاق الإنسان تظهر في بيته.

فإذا كان رحيمًا مع أهله، صبورًا عليهم، متواضعًا معهم، كان ذلك دليلًا على رسوخ أخلاقه.

الحادي والثلاثون: البيت مكان للسكينة

لم يكن البيت النبوي مجرد مكان للنوم.

بل كان مكانًا للراحة والعبادة والتعليم.

والأسرة المسلمة ينبغي أن تجعل بيتها مكانًا للسكينة.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: العبادة الجماعية

كان النبي ﷺ يصلي ويذكر الله، وكان أهل بيته يرونه ويتعلمون منه.

فالبيت المسلم ينبغي أن يكون فيه نصيب من العبادة الجماعية.

الثالث والثلاثون: تعليم الأبناء الصلاة

من مسؤوليات الأسرة تعليم الأبناء الصلاة والعبادة.

ولا يكون ذلك بالقسوة فقط، بل بالتدرج والقدوة والتشجيع.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: الأكل مع الأسرة

كان النبي ﷺ يأكل مع أهله.

وكان يعلم أصحابه آداب الطعام.

ومن ذلك التسمية والأكل باليمين والأكل مما يلي الإنسان.

الخامس والثلاثون: عدم التكلف

كان ﷺ يأكل ما تيسر.

ولم يكن يشترط أنواعًا معينة من الطعام.

Edit with WPS Office

وكانت حياته بعيدة عن الترف.

السادس والثلاثون: الاقتصاد في المعيشة

كان بيت النبي ﷺ بسيطًا.

وكانت تمر عليه أوقات لا توقد فيها نار في بيوته.

ومع ذلك كان بيتًا مليئًا بالإيمان.

وهذا يعلمنا أن السعادة ليست في كثرة المال.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: القناعة

كان النبي ﷺ قانعًا.

والقناعة لا تعني ترك العمل، وإنما تعني ألا يصبح القلب عبدًا للدنيا.

الثامن والثلاثون: التعامل مع الحزن

عرف البيت النبوي الحزن.

فقد فقد النبي ﷺ أبناءه وأحبابه.

وكان يحزن ويبكي، لكنه لا يقول إلا ما يرضي الله.

وهذا يعلمنا أن البكاء لا ينافي الصبر.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: وفاة إبراهيم

مات إبراهيم ابن النبي ﷺ وهو صغير.

فحزن النبي ﷺ وبكى.

وقال:

«إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا».

وهذا من أعظم نماذج الصبر الجميل.

Edit with WPS Office

الأربعون: الرحمة لا تلغي الحزن

كان النبي ﷺ يفرح ويحزن.

ويحب ويبكي.

فالإسلام لا يطلب من الإنسان أن يتحول إلى حجر.

وإنما يعلمه كيف يتعامل مع مشاعره في إطار الإيمان.

الحادي والأربعون: الأسرة مصدر القوة

كان النبي ﷺ يجد في بيته السكن والمساندة.

وقد وقفت خديجة رضي الله عنها معه في بداية الدعوة موقفًا

Edit with WPS Office

عظيمًا.

وهذا يبين أهمية الأسرة في نجاح الإنسان.

الثاني والأربعون: دور الزوجة الصالحة

الزوجة الصالحة ليست مجرد شريكة في الحياة اليومية.

بل يمكن أن تكون سندًا في الأزمات، ومصدرًا للطمأنينة، وشريكة في النجاح.

الثالث والأربعون: دور الزوج الصالح

Edit with WPS Office

وكذلك الزوج الصالح هو الذي يوفر لزوجته الأمان والمودة والا حترام.

ولا تكون الرجولة في القسوة.

بل في المسؤولية والرحمة وحسن المعاشرة.

الرابع والأربعون: الأسرة أمانة

الأبناء أمانة.

والزوجة أمانة.

والزوج أمانة.

Edit with WPS Office

وكل فرد في الأسرة مسؤول عن أداء واجبه.

الخامس والأربعون: البيت الذي نريده

إذا أردنا أن نبني بيتًا على الهدي النبوي، فعلينا أن نجعل فيه:

الصلاة.

والقرآن.

والرحمة.

والحوار.

والابتسامة.

Edit with WPS Office

والعفو.

والاحترام.

والصدق.

والتعاون.

والتربية بالقدوة.

خاتمة الفصل

كانت حياة رسول الله ﷺ في بيته صورة مشرقة من صور كماله الإ نساني.

Edit with WPS Office

فهو الذي قاد الأمة، وكان في الوقت نفسه يساعد أهله.

وهو الذي واجه الجيوش، وكان يحمل الحسن والحسين.

وهو الذي وقف في المسجد خطيبًا، وكان في بيته زوجًا رحيمًا.

وهو الذي علّم الأمة أعظم مسائل العقيدة، وكان يبتسم في وجه أهله.

وهنا تتجلى عظمة القدوة النبوية.

فالنبي ﷺ لم يكن قدوة في المسجد فقط، ولا في ميدان الجهاد فقط، ولا في مجلس العلم فقط، وإنما كان قدوة في البيت.

ومن أراد أن يعرف حقيقة أخلاق الإنسان، فلينظر إلى معاملته لأهله.

Edit with WPS Office

ولهذا كان رسول الله ﷺ خير الناس لأهله.

إن البيت المسلم لا يحتاج إلى كثرة المال بقدر حاجته إلى الرحمة.

ولا يحتاج إلى الفخامة بقدر حاجته إلى السكينة.

ولا يحتاج إلى الكلمات الكبيرة بقدر حاجته إلى الصدق والوفاء.

وإذا دخلت أخلاق النبي ﷺ إلى البيوت، دخلت معها السكينة و المودة والرحمة.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الثالث والثلاثون

رسول الله ﷺ مع أصحابه

مدرسة الصحبة والمحبة والوفاء

تمهيد

كانت علاقة رسول الله ﷺ بأصحابه من أعظم العلاقات الإنسانية التي عرفها التاريخ.

فلم يكن أصحابه مجرد أتباع يسمعون أوامر قائدهم، وإنما كانوا رجالًا ونساءً تربوا على يديه، وشربوا من معين النبوة، ورأوا بأعينهم أخلاقه وعبادته وصبره ورحمته.

وكان ﷺ يعرف أصحابه، ويهتم بأحوالهم، ويواسي حزينهم، ويعود مريضهم، ويشاركهم أفراحهم، ويستمع إلى مشكلاتهم، ويعلمهم ويربيهم.

ومن خلال هذه الصحبة صنعت النبوة جيلًا حمل الرسالة إلى العالم.

أولًا: محبة الصحابة للنبي ﷺ

كان الصحابة يحبون رسول الله ﷺ حبًا عظيمًا.

ولم تكن محبتهم مجرد عاطفة، بل كانت محبة تدفعهم إلى الطاعة و التضحية والدفاع عنه ونشر رسالته.

كانوا يرون فيه المعلم والقائد والنبي والحبيب.

Edit with WPS Office

ثانيًا: كان ﷺ يعرف أصحابه

كان رسول الله ﷺ يعرف أصحابه وأحوالهم.

يعرف من يحتاج إلى المساعدة، ومن يحتاج إلى التعليم، ومن يحتاج إلى المواساة.

وهذا من أعظم أساليب التربية؛ أن يشعر الإنسان أن معلمه يهتم به شخصيًا.

ثالثًا: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

كان أبو بكر رضي الله عنه من أقرب أصحاب رسول الله ﷺ إليه.

رافقه في الهجرة، ووقف معه في أصعب مراحل الدعوة، وكان من أكثر الناس تصديقًا له.

قال الله تعالى:

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40].

وقد شهد القرآن لأبي بكر بصحبته للنبي ﷺ في الهجرة.

رابعًا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه قوي الشخصية، شديدًا في الحق، ثم أصبح بعد إسلامه من أعظم رجال الإسلام.

وكان النبي ﷺ يعرف قوته ويستفيد منها في خدمة الدين.

وكان عمر شديد الحب لرسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

خامسًا: عثمان بن عفان رضي الله عنه

كان عثمان رضي الله عنه حييًا كريمًا.

وقد أحبه النبي ﷺ وأثنى على حيائه.

وكان عثمان من أصحاب الأموال الذين سخروها في خدمة الإسلام.

سادسًا: علي بن أبي طالب رضي الله عنه

كان علي رضي الله عنه قريبًا من النبي ﷺ.

نشأ في بيته، وكان من أوائل من أسلم من الصبيان.

وشهد مع النبي ﷺ عددًا من المواقف العظيمة.

سابعًا: بلال بن رباح رضي الله عنه

كان بلال رضي الله عنه من أوائل المسلمين.

تعرض للتعذيب بسبب إيمانه، وثبت على التوحيد.

وكان النبي ﷺ يكرمه ويقربه.

وأصبح بلال رمزًا من رموز الثبات والإيمان.

ثامنًا: سلمان الفارسي رضي الله عنه

كان سلمان رضي الله عنه يبحث عن الحق حتى وصل إلى الإسلام.

وأصبح من كبار أصحاب رسول الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ يقدّر أهل الإيمان مهما اختلفت أصولهم وأوطانهم.

Edit with WPS Office

تاسعًا: أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

كان أبو ذر رضي الله عنه قوي الشخصية، صريحًا في الحق.

وكان النبي ﷺ يربيه ويوجهه ويعلمه.

وكانت شخصيته مثالًا على أن الصحابة لم يكونوا نسخة واحدة، بل كانوا شخصيات متنوعة يجمعها الإيمان.

عاشرًا: معاذ بن جبل رضي الله عنه

كان معاذ رضي الله عنه من العلماء.

وقد اعتمد عليه النبي ﷺ في التعليم والدعوة.

وأرسله إلى اليمن ليعلم الناس ويدعوهم إلى الإسلام.

وهذا يدل على الثقة بالكفاءات وتوزيع المسؤوليات.

الحادي عشر: أنس بن مالك رضي الله عنه

خدم أنس رضي الله عنه رسول الله ﷺ سنوات.

وكان قريبًا منه، فنقل للأمة كثيرًا من تفاصيل حياته.

وشهد له بحسن الخلق وطول الحلم.

الثاني عشر: عائشة رضي الله عنها

لم تكن عائشة رضي الله عنها زوجة للنبي ﷺ فقط، وإنما كانت أيضًا عالمة ومعلِّمة.

Edit with WPS Office

نقلت للأمة عددًا كبيرًا من الأحاديث.

وكان الصحابة يرجعون إليها في مسائل كثيرة.

الثالث عشر: تعليم الصحابة

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه بالتدرج.

فلم يكن يثقل عليهم في كل وقت.

وكان يراعي اختلاف قدراتهم.

ومن أعظم أساليبه أن يحول المواقف اليومية إلى دروس تربوية.

الرابع عشر: التربية بالموقف

لم يكن تعليم النبي ﷺ قائمًا على المحاضرات فقط.

بل كان الموقف نفسه درسًا.

قد يرى خطأً فيصححه.

وقد يرى حاجة فيلبيها.

وقد يرى سؤالًا فيجيب عنه.

وهكذا أصبحت حياة الصحابة معه مدرسة مفتوحة.

الخامس عشر: تصحيح الأخطاء

كان النبي ﷺ يصحح أخطاء أصحابه، ولكن بأسلوب يحقق المقصود دون إذلال.

Edit with WPS Office

وكان أحيانًا يقول:

«ما بال أقوام...»

ليعالج الخطأ دون أن يحول التصحيح إلى فضيحة شخصية.

السادس عشر: الرحمة بالمخطئ

كان يفتح للمخطئ باب التوبة.

ومن أشهر المواقف قصة الرجل الذي جاء إلى المسجد فبال فيه، فتعامل معه النبي ﷺ بالحكمة والرفق، ثم علّمه.

فكان الهدف إصلاح الإنسان، لا الانتقام منه.

السابع عشر: مراعاة الفروق الفردية

كان النبي ﷺ يعلم أن الناس مختلفون.

فكان يخاطب كل إنسان بما يناسبه.

وكان يعطي كل صحابي مسؤولية تتناسب مع قدرته.

وهذا من أعظم أسرار نجاح المدرسة النبوية.

الثامن عشر: الثقة بالصحابة

كان النبي ﷺ يثق بأصحابه ويكلفهم بالمهام.

فمنهم القائد.

ومنهم المعلم.

Edit with WPS Office

ومنهم القاضي.

ومنهم الداعية.

ومنهم الكاتب.

ومنهم المقاتل.

وهكذا اكتشف في كل شخص موهبته ووظفها في الخير.

التاسع عشر: التشجيع

كان ﷺ يشجع أصحابه.

ويثني على الخير الذي يفعلونه.

وكان يعرف أن الكلمة الطيبة يمكن أن تغير حياة إنسان.

العشرون: عدم تحقير أحد

لم يكن النبي ﷺ يحقر إنسانًا بسبب فقره أو ضعفه أو مظهره.

بل كان الميزان هو التقوى والعمل الصالح.

قال تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

الحادي والعشرون: مشاركة الصحابة حياتهم

كان النبي ﷺ يعيش مع أصحابه حياتهم اليومية.

يجوع معهم.

Edit with WPS Office

ويتعب معهم.

ويسافر معهم.

ويواجه المخاطر معهم.

ولم يكن يعيش منفصلًا عن واقعهم.

الثاني والعشرون: مشاركتهم في العمل

كان ﷺ يشارك أصحابه في الأعمال.

وفي بناء المسجد والخندق ظهرت صور عظيمة من مشاركته لهم.

وهذا جعل الصحابة يشعرون أنهم أمام قائد يعمل معهم، لا قائد يأمرهم من بعيد.

الثالث والعشرون: الشورى

كان النبي ﷺ يشاور أصحابه في بعض الأمور.

ومن أشهر الأمثلة مشاورته لهم في بدر وأحد والخندق والحديبية وغيرها.

وكان في ذلك تدريب للأمة على تحمل المسؤولية.

الرابع والعشرون: قبول الرأي

كان ﷺ يستمع إلى آراء أصحابه.

وقد يأخذ برأي أحدهم إذا ظهر له وجه الصواب.

Edit with WPS Office

وهذا يدل على تواضعه ﷺ.

الخامس والعشرون: الصداقة والمودة

كان النبي ﷺ يحب أصحابه.

وكانت بينهم مودة حقيقية.

فالإيمان لم يكن يلغي المشاعر الإنسانية، وإنما كان يهذبها ويوجهها.

السادس والعشرون: زيارة المرضى

كان ﷺ يعود المريض.

ويحث أصحابه على ذلك.

فكان المجتمع المسلم قائمًا على التراحم والتكافل.

السابع والعشرون: مشاركة الأحزان

كان ﷺ يواسي أصحابه عند فقد أحبابهم.

ويخفف عنهم.

ويعلمهم الصبر والاحتساب.

الثامن والعشرون: مشاركة الأفراح

كما كان يشارك أصحابه أفراحهم.

فكان يهنئهم، ويبتسم لهم، ويهتم بمناسباتهم.

وهذا يدل على شمولية العلاقة الإنسانية.

Edit with WPS Office

التاسع والعشرون: الأخوة بين الصحابة

ربى النبي ﷺ أصحابه على الأخوة.

قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10].

فلم تكن الأخوة مجرد شعار، وإنما كانت سلوكًا عمليًا.

الثلاثون: المؤاخاة

من أعظم مظاهر التربية النبوية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

فأصبح المجتمع الجديد قائمًا على الأخوة بدل العصبية.

الحادي والثلاثون: المهاجرون والأنصار

جمع النبي ﷺ بين المهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم، والأنصار الذين فتحوا لهم قلوبهم وبيوتهم.

وكان ذلك نموذجًا فريدًا للتضامن.

الثاني والثلاثون: الدفاع عن النبي ﷺ

كان الصحابة يدافعون عن رسول الله ﷺ بكل ما يستطيعون.

وفي المواقف الصعبة ظهر صدق محبتهم.

لكن أعظم دفاع عنه بعد وفاته كان المحافظة على دينه ونشر سنته.

الثالث والثلاثون: الصحابة في الغزوات

Edit with WPS Office

كان الصحابة يقفون مع النبي ﷺ في المواقف الصعبة.

وفي بدر وأحد والخندق وحنين وغيرها ظهرت نماذج عظيمة من الشجاعة والثبات.

الرابع والثلاثون: النساء حول النبي ﷺ

لم تكن مشاركة النساء في المجتمع النبوي هامشية.

فقد شاركن في العلم والعبادة والهجرة وخدمة المجتمع.

وكانت أمهات المؤمنين من أهم رواة السنة.

الخامس والثلاثون: الشباب في مدرسة النبوة

اهتم النبي ﷺ بالشباب.

واعتمد عليهم في مهام كبيرة.

فأسامة بن زيد رضي الله عنه تولى قيادة جيش وهو شاب.

وكان معاذ بن جبل شابًا من كبار العلماء.

وهذا يبين أهمية إعطاء الشباب الثقة والمسؤولية.

السادس والثلاثون: الأطفال في المجتمع النبوي

لم يهمل النبي ﷺ الأطفال.

بل رباهم وأشعرهم بالمحبة والكرامة.

وكان يسلم عليهم ويداعبهم.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: اختلاف الشخصيات

كان بين الصحابة اختلاف في الطباع.

فمنهم الهادئ.

ومنهم القوي.

ومنهم العالم.

ومنهم التاجر.

ومنهم المقاتل.

ومنهم الفقير.

ومع ذلك جمعهم الإيمان.

وهذا درس مهم في قبول التنوع البشري.

الثامن والثلاثون: بناء القادة

لم يكن النبي ﷺ يريد أن يبقى الصحابة مجرد أتباع.

بل صنع منهم قادة.

فبعد وفاته استطاعوا تحمل مسؤولية الأمة.

وهذا من أعظم نجاحاته التربوية.

التاسع والثلاثون: صناعة الجيل

استطاع رسول الله ﷺ خلال سنوات قليلة أن يبني جيلًا فريدًا.

Edit with WPS Office

جيلًا يؤمن بالله.

ويحمل المسؤولية.

ويقدم التضحية.

ويعرف هدفه.

ويتحرك وفق مبادئ واضحة.

الأربعون: الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ

عندما توفي النبي ﷺ لم تنهَر الرسالة.

بل قام أصحابه بحملها.

فمنهم من نشر العلم.

ومنهم من نشر القرآن.

ومنهم من تولى القيادة.

ومنهم من خرج للدعوة.

الحادي والأربعون: الوفاء بعد الوفاة

ظهر وفاء الصحابة للنبي ﷺ بعد وفاته.

فتمسكوا بسنته.

وحافظوا على أحاديثه.

ونقلوا سيرته.

Edit with WPS Office

ودافعوا عن دينه.

الثاني والأربعون: الصحابة أمناء على السنة

كان الصحابة يدركون خطورة الكذب على رسول الله ﷺ.

فكانوا شديدي التحري في رواية الحديث.

ومن هنا بدأت سلسلة حفظ السنة التي استمرت عبر الأجيال.

الثالث والأربعون: مدرسة لا تتكرر

كانت مدرسة النبي ﷺ فريدة.

لأن المعلم كان رسولًا من عند الله.

والطلاب كانوا رجالًا ونساءً اختاروا الإيمان والتضحية.

وكان المنهج هو القرآن والسنة.

الرابع والأربعون: ماذا نتعلم من صحبة النبي ﷺ؟

نتعلم:

أن الصحبة الصالحة تصنع الإنسان.

وأن المعلم الناجح يعرف طلابه.

وأن القائد الناجح يشارك الناس همومهم.

وأن التربية تحتاج إلى رحمة وحزم.

وأن الثقة تصنع المسؤولية.

Edit with WPS Office

وأن التشجيع يخرج الطاقات.

وأن الأخوة أقوى من العصبية.

الخامس والأربعون: رسول الله ﷺ وصناعة الرجال

من أعظم إنجازات النبي ﷺ أنه صنع رجالًا ونساءً قادرين على حمل الرسالة بعده.

لم يربهم على التعلق بشخصه فقط، وإنما رباهم على التعلق بالله.

ولهذا، عندما مات رسول الله ﷺ، استمرت الدعوة.

لقد ربى أبا بكر على تحمل المسؤولية.

وعمر على العدل والقوة في الحق.

وعثمان على الحياء والكرم.

وعليًا على العلم والشجاعة.

وخالد بن الوليد على القيادة.

ومعاذًا على العلم والدعوة.

وعائشة على الفقه والتعليم.

وأسماء على الصبر والتضحية.

وغيرهم من الصحابة الذين أصبحوا أعلامًا

Edit with WPS Office

الفصل الرابع والثلاثون

رسول الله ﷺ مع غير المسلمين

الرحمة والعدل والحكمة في التعامل

تمهيد

لم تكن رسالة رسول الله ﷺ رسالة عنف أو إكراه، وإنما كانت رسالة هداية ورحمة.

وقد تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين في مكة والمدينة، وفي السفر والحضر، وفي السلم والحرب، وفق قواعد من العدل والوفاء و الرحمة والحكمة.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

Edit with WPS Office

فالرحمة النبوية لم تكن مقصورة على المسلمين، وإنما ظهرت في التعامل الإنساني العام.

أولًا: الإسلام دين الدعوة لا الإكراه

قال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

فالإيمان الحقيقي لا يكون بالإجبار، وإنما بالاقتناع والاختيار.

وكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والبيان.

Edit with WPS Office

ثانيًا: الحكمة في الدعوة

قال الله تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

وكان النبي ﷺ يراعي أحوال الناس وعقولهم، ويختار الأسلوب المناسب لكل شخص.

ثالثًا: احترام الإنسان

كان النبي ﷺ يحترم الإنسان من حيث إنسانيته.

Edit with WPS Office

ومن أشهر المواقف أنه مرت به جنازة يهودي، فقام لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي.

فقال ﷺ:

«أليست نفسًا؟»

وهذا موقف بليغ في احترام الإنسان.

رابعًا: العدل مع المخالف

لم يكن اختلاف الدين سببًا في ظلم الإنسان.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8].

فالعدل مطلوب حتى مع من نختلف معه.

خامسًا: الوفاء بالعهد

كان النبي ﷺ وفيًا بالعهود والمواثيق.

ولم يكن ينقض عهدًا لمجرد تغير الظروف.

وكان الوفاء بالعهد من أخلاقه الثابتة.

Edit with WPS Office

سادسًا: صحيفة المدينة

عندما وصل النبي ﷺ إلى المدينة، كانت هناك جماعات متعددة، من المسلمين واليهود وغيرهم.

ووُضعت صحيفة لتنظيم العلاقات بين مكونات المجتمع.

وكان ذلك من صور التنظيم السياسي والاجتماعي المبكر في الدولة الإسلامية.

سابعًا: التعايش

عرف المجتمع المدني في عهد النبي ﷺ وجود أتباع ديانات مختلفة.

وكان الأصل تنظيم العلاقة بما يحفظ الحقوق ويمنع الاعتداء.

Edit with WPS Office

ثامنًا: الحوار مع أهل الكتاب

حاور النبي ﷺ اليهود والنصارى.

وكان الحوار قائمًا على بيان الحق بالحجة.

ولم تكن الدعوة قائمة على السب والشتم.

تاسعًا: وفد نصارى نجران

جاء وفد من نصارى نجران إلى النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

وجرى بينهم حوار في مسائل العقيدة.

وهذا يدل على أن الحوار الديني كان حاضرًا في المجتمع النبوي.

عاشرًا: الاستماع إلى المخالف

كان النبي ﷺ يستمع إلى من يخالفه.

فالاستماع لا يعني الموافقة، وإنما يعني فهم الطرف الآخر ومعرفة ما عنده.

الحادي عشر: الرد بالحجة

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يرد على الشبهات بالحجة والبيان.

وكان القرآن ينزل بالرد على أقوال المشركين وأهل الكتاب، ويبين الحق ويكشف الباطل.

الثاني عشر: عدم سب الآلهة

قال تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108].

وهذه الآية تعلم المسلم أن الدعوة تحتاج إلى الحكمة، وأن أسلوب الدعوة يجب ألا يؤدي إلى مفسدة أكبر.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: حسن الجوار

كان النبي ﷺ يؤكد حقوق الجار.

والجار قد يكون مسلمًا أو غير مسلم.

فحسن الجوار من الأخلاق الإسلامية العامة.

الرابع عشر: التعامل التجاري

تعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين في البيع والشراء.

وهذا يدل على أن اختلاف الدين لا يمنع التعاملات المباحة.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: قبول الهدية

قبل النبي ﷺ هدايا من غير المسلمين في مناسبات مختلفة.

وكان ذلك من صور حسن التعامل.

السادس عشر: عيادة المريض

كان النبي ﷺ يعود المرضى، ومن ذلك ما ورد في عيادته غلامًا يهوديًا كان يخدمه.

فهذا نموذج في الرحمة والإحسان.

Edit with WPS Office

السابع عشر: بر الوالدين غير المسلمين

جاءت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها إلى النبي ﷺ تسأله عن أمها المشركة، وكانت تريد صلتها.

فقال لها:

«نعم، صلي أمك».

وهذا يبين أهمية البر والإحسان إلى الوالدين.

الثامن عشر: صلة الرحم

Edit with WPS Office

لم يجعل الإسلام اختلاف الدين سببًا لقطع كل صلة بالأسرة.

بل بقيت صلة الرحم والإحسان قائمة ما لم تتعارض مع الدين.

التاسع عشر: الرحمة في التعامل

كان النبي ﷺ يربي أصحابه على الرحمة.

وكان يحذر من الظلم.

فالإنسان لا يصبح عادلًا مع المسلمين وظالمًا مع غيرهم.

العشرون: النهي عن الظلم

Edit with WPS Office

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

والظلم محرّم، سواء وقع على مسلم أو غير مسلم.

الحادي والعشرون: حماية العهد

من دخل في عهد أو أمان، وجب احترام عهده.

وقد شدد النبي ﷺ في التحذير من الاعتداء على من له عهد.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: خطورة الغدر

كان الغدر من الأخلاق التي حاربها الإسلام.

فالمؤمن لا يخون من ائتمنه، ولا ينقض العهد دون سبب مشروع.

الثالث والعشرون: الحرب ليست الأصل

لم تكن حياة النبي ﷺ كلها حروبًا.

بل عاش في مكة سنوات طويلة يدعو بالحكمة والصبر.

وفي المدينة عقد المعاهدات، وأقام العلاقات، وأرسل الرسل.

وكان القتال مرتبطًا بظروف وأسباب شرعية، وليس هدفًا في ذاته.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: أخلاق الحرب

حتى في الحرب كانت هناك ضوابط.

فلم يكن القتل مباحًا بلا حدود.

وكان النبي ﷺ ينهى عن صور من الاعتداء، ومنها قتل النساء و الصبيان.

الخامس والعشرون: عدم قتل من لا يشارك في القتال

كانت الحرب في المنهج النبوي منضبطة.

Edit with WPS Office

ولذلك نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان.

وهذا يبين الفرق بين القتال المنضبط وبين الفوضى والعدوان.

السادس والعشرون: العفو عند المقدرة

من أعظم صور التعامل النبوي مع المخالفين ما حدث يوم فتح مكة.

فبعد سنوات من الأذى والعداء، أصبح كثير من الذين حاربوه تحت سلطته.

ومع ذلك لم يجعل الانتقام هو القاعدة.

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: فتح مكة

دخل النبي ﷺ مكة منتصرًا.

وكان يستطيع أن ينتقم من أعدائه الذين آذوه وأخرجوه وحاربوه.

لكن موقفه كان أقرب إلى العفو والصفح.

الثامن والعشرون: العفو عن كثير من أهل مكة

كان فتح مكة نموذجًا في التعامل مع النصر.

فلم يتحول النصر إلى مجزرة انتقامية.

Edit with WPS Office

بل أعلن النبي ﷺ الأمان والعفو في مواضع كثيرة.

التاسع والعشرون: درس فتح مكة

تعلمنا من فتح مكة أن القوة الحقيقية ليست في الانتقام دائمًا.

بل قد تكون في القدرة على العفو عندما يكون العفو أصلح.

الثلاثون: الرحمة لا تعني الضعف

الرحمة النبوية لم تكن ضعفًا.

كان النبي ﷺ رحيمًا، وفي الوقت نفسه قويًا في الحق.

Edit with WPS Office

فالرحمة والحزم يمكن أن يجتمعا.

الحادي والثلاثون: الحزم في مواجهة العدوان

إذا وقع اعتداء على المسلمين، لم يكن النبي ﷺ يستسلم للظلم.

بل كان يدافع عن الأمة ويحميها.

وهذا يوضح الفرق بين الرحمة والاستسلام للعدوان.

الثاني والثلاثون: الحكمة في العلاقات

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يعرف متى يصالح، ومتى يعاهد، ومتى يحاور، ومتى يدافع.

وهذه الحكمة من أعظم جوانب قيادته.

الثالث والثلاثون: صلح الحديبية

كان صلح الحديبية من أعظم الأمثلة على الحكمة السياسية.

فقد قبل النبي ﷺ شروطًا بدت لبعض الصحابة شديدة.

لكن الأيام أثبتت أن الصلح كان فتحًا عظيمًا.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: احترام المواثيق

قبل النبي ﷺ الاتفاق حتى عندما لم تكن صياغته على الصورة التي يحبها المسلمون.

وكان هذا درسًا في احترام الاتفاقات والعهود.

الخامس والثلاثون: إرسال الرسل

أرسل النبي ﷺ رسائل إلى عدد من الملوك والحكام يدعوهم إلى الإ سلام.

وهذا يدل على عالمية رسالته.

Edit with WPS Office

السادس والثلاثون: عالمية الرسالة

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28].

فالنبي ﷺ لم يرسل إلى قوم بعينهم فقط، وإنما كانت رسالته عامة.

السابع والثلاثون: الرحمة للعالمين

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

Edit with WPS Office

فمفهوم الرحمة في الرسالة واسع.

وهو يشمل هداية الناس، وإقامة العدل، وحفظ الحقوق، ومنع الظلم.

الثامن والثلاثون: الدعوة بالحكمة في عصرنا

يحتاج المسلم اليوم إلى استحضار المنهج النبوي في الحوار.

فلا تكون الدعوة بالصراخ.

ولا بالإهانة.

ولا بالتعصب.

بل بالعلم والحكمة والخلق الحسن.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: احترام المخالف لا يعني قبول الباطل

من المهم التفريق بين احترام الإنسان وبين الموافقة على كل أفكاره.

يمكن للمسلم أن يخالف عقيدة أو رأيًا، لكنه يظل ملتزمًا بالعدل والأدب.

الأربعون: أخلاق المسلم مع غير المسلم

من أخلاق المسلم:

Edit with WPS Office

الصدق.

والأمانة.

والوفاء.

والعدل.

وحسن الجوار.

والرحمة.

وعدم الظلم.

والالتزام بالعهد.

Edit with WPS Office

الحادي والأربعون: صورة الإسلام في أخلاق أتباعه

قد لا يقرأ بعض الناس كتب الإسلام.

لكنهم يرون المسلمين.

ولهذا فإن أخلاق المسلم قد تكون وسيلة دعوة صامتة.

الثاني والأربعون: خطورة سوء الخلق

إذا ظلم المسلم غيره، أو خانه، أو أهانه، فقد أعطى صورة سيئة عن الدين الذي ينتسب إليه.

ولذلك كانت الأخلاق جزءًا أساسيًا من الدعوة.

Edit with WPS Office

الثالث والأربعون: الرسول ﷺ قدوة في الإنسانية

كان النبي ﷺ إنسانًا يعيش بين الناس.

يفرح لحزنهم.

ويواسي مصابهم.

ويعود مريضهم.

ويحسن إلى محتاجهم.

ويحترم إنسانيتهم.

Edit with WPS Office

الرابع والأربعون: التوازن النبوي

جمع النبي ﷺ بين أمور قد يظن الإنسان أنها متعارضة:

الرحمة والحزم.

العفو والعدل.

القوة والتواضع.

اللين والثبات.

الحوار والوضوح.

وهذا التوازن من أعظم أسرار نجاح منهجه.

Edit with WPS Office

الخامس والأربعون: ماذا نتعلم اليوم؟

إذا أردنا أن نقتدي برسول الله ﷺ في تعاملنا مع غير المسلمين فعلينا أن:

نعدل.

ونوفي بالعهد.

ونحسن الجوار.

ونحترم الإنسان.

ونحاور بالحكمة.

Edit with WPS Office

ونبتعد عن الظلم.

ونرفض الاعتداء.

ونلتزم بأخلاق الإسلام.

ولا نحول الاختلاف إلى كراهية أو عدوان.

خاتمة الفصل

إن رسول الله ﷺ لم يكن رحيمًا بأصحابه فقط، وإنما كان نموذجًا في الرحمة والعدل وحسن التعامل مع الناس جميعًا.

وقد علم أمته أن الاختلاف لا يبيح الظلم، وأن الدعوة لا تحتاج إلى الإساءة، وأن القوة لا تعني القسوة، وأن الرحمة لا تعني الضعف.

Edit with WPS Office

كان ﷺ إذا دعا دعا بالحكمة.

وإذا عاهد وفى.

وإذا حكم عدل.

وإذا قدر عفا.

وإذا اضطر إلى القتال التزم بضوابطه.

وهكذا كانت شخصيته ﷺ نموذجًا متكاملًا في التعامل مع الإنسان.

وفي عالم يمتلئ بالصراعات وسوء الفهم، تبقى السيرة النبوية مدرسة عظيمة في الحوار والعدل والرحمة والوفاء.

فمن أراد أن يحمل رسالة الإسلام إلى الناس، فليحمل معها أخلاق

Edit with WPS Office

رسول الله ﷺ.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل الخامس والثلاثون

رحمة رسول الله ﷺ بالضعفاء والفقراء والمساكين

نبيّ الرحمة ونصير المستضعفين

تمهيد

كان رسول الله ﷺ رحيم القلب، قريبًا من الضعفاء، حانيًا على الفقراء والمساكين، يشعر بآلام الناس، ويحرص على رفع الحرج عنهم.

لم تكن الرحمة عنده ﷺ كلمة تقال، وإنما كانت منهج حياة.

فقد عاش بين الناس، وجالس الفقراء، واستمع إلى أصحاب الحاجات ، وأكرم اليتامى، وأوصى بالمساكين، وحث على إطعام الجائع، ورعاية الأرملة، ومساعدة المحتاج.

Edit with WPS Office

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

أولًا: الرحمة أصل في شخصية النبي ﷺ

كانت الرحمة صفة ظاهرة في حياته ﷺ.

قال تعالى:

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

وكانت رحمته تظهر في كلامه وأفعاله وعبادته وتعاملاته.

Edit with WPS Office

ثانيًا: قربه من الفقراء

لم يكن النبي ﷺ يرى الفقر سببًا لاحتقار الإنسان.

وكان يجلس مع الفقراء، ويأكل معهم، ويستمع إلى أحوالهم.

وكان يعلم أصحابه أن قيمة الإنسان ليست بماله ولا بثيابه ولا بمنصبه.

ثالثًا: إكرام المساكين

كان ﷺ يحث على إكرام المساكين.

Edit with WPS Office

وكان يربي الأمة على ألا تنظر إلى الفقير بعين الاحتقار، وإنما بعين الرحمة والاحترام.

رابعًا: فضل إطعام الطعام

كان إطعام الطعام من الأعمال التي حث عليها الإسلام.

فالطعام حاجة أساسية، ومن يطعم الجائع يشارك في حفظ كرامته وحياته.

خامسًا: رعاية اليتيم

أولى الإسلام اليتيم عناية كبيرة.

Edit with WPS Office

قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: 9].

وقال النبي ﷺ:

«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا».

وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئًا.

وهذا يدل على عظيم منزلة رعاية اليتيم.

سادسًا: اليتيم في المجتمع المسلم

Edit with WPS Office

لم يكن اليتيم في المنهج النبوي شخصًا منسيًا.

بل له حق في الرعاية والعطف والحماية.

وكانت الأمة مطالبة بحفظ حقوقه.

سابعًا: رعاية الأرملة

حث النبي ﷺ على رعاية الأرامل.

وبيّن عظيم أجر من يسعى على الأرملة والمسكين.

وهذا يدل على أن خدمة الضعفاء ليست عملًا هامشيًا، بل عبادة عظيمة.

Edit with WPS Office

ثامنًا: مساعدة أصحاب الحاجات

كان النبي ﷺ يهتم بأصحاب الحاجات.

وكان يشجع الصحابة على قضاء حوائج الناس.

فالإنسان الذي يخفف عن غيره كربة يشارك في بناء مجتمع متراحم.

تاسعًا: تفريج الكرب

قال ﷺ:

«من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من

Edit with WPS Office

كرب يوم القيامة».

فمساعدة الناس ليست مجرد عمل اجتماعي، وإنما طريق إلى رضا الله.

عاشرًا: عدم إحراج الفقير

كان من هدي الإسلام حفظ كرامة المحتاج.

فلا ينبغي أن تتحول الصدقة إلى وسيلة لإذلال الفقير أو تذكيره بحاجته.

والصدقة الحقيقية تجمع بين العطاء وحفظ الكرامة.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: الصدقة في السر

كان الإسلام يحث على الصدقة والإحسان بعيدًا عن الرياء.

قال تعالى:

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 271].

الثاني عشر: الفقراء ليسوا أقل قيمة

كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه أن التفاضل الحقيقي بالتقوى.

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

فقد يكون الفقير عند الله أعظم منزلة من غني متكبر.

الثالث عشر: بلال رضي الله عنه

كان بلال رضي الله عنه عبدًا مستضعفًا في مكة.

ثم رفعه الإسلام وأصبح من كبار أصحاب رسول الله ﷺ.

وكان مؤذن النبي ﷺ.

وهذه قصة عظيمة في أن الإسلام لا يجعل الأصل أو المال معيارًا للكرامة.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: سلمان وصهيب وبلال

اجتمع حول النبي ﷺ رجال من أصول وأحوال مختلفة.

فكان سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي رضي الله عنهم من أصحاب المكانة العظيمة.

وكان معيار التفاضل هو الإيمان والتقوى.

الخامس عشر: أبو ذر والغني والفقير

كان النبي ﷺ يربي أصحابه على عدم التكبر على الناس.

Edit with WPS Office

فالغنى نعمة واختبار.

والفقر ابتلاء.

ولا يحق للغني أن يحتقر الفقير.

السادس عشر: الرحمة بالضعيف

قال النبي ﷺ:

«هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم».

وفي هذا بيان أن الضعفاء ليسوا عبئًا على المجتمع، بل قد يكونون سببًا في نزول الخير والرزق والنصر.

Edit with WPS Office

السابع عشر: رعاية كبار السن

كان الإسلام يوقر الكبير.

وكان النبي ﷺ يوجه إلى احترام الكبار والرحمة بالصغار.

فالمجتمع المسلم يقوم على التكافل بين الأجيال.

الثامن عشر: الرحمة بالأطفال

كان النبي ﷺ شديد الرحمة بالأطفال.

Edit with WPS Office

وكان يحملهم ويقبلهم.

وكان يراعي مشاعرهم.

وهذا يبين أن الطفل له مكانة في المجتمع المسلم.

التاسع عشر: تخفيف الصلاة رحمة بالناس

كان النبي ﷺ يطيل الصلاة أحيانًا.

لكنه إذا سمع بكاء الصبي خفف الصلاة رحمة بأمه.

فكان يراعي أحوال الناس حتى في العبادة.

Edit with WPS Office

العشرون: الرحمة بالمرضى

كان ﷺ يعود المرضى، ويواسيهم، ويدعو لهم.

وكان يعلم أصحابه أن زيارة المريض من الأعمال العظيمة.

الحادي والعشرون: الرحمة بالمصابين

كان ﷺ يعزي أهل المصاب.

وكان يوجه إلى الصبر واحتساب الأجر.

لكنه لم يكن يمنع الحزن الطبيعي.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: بكاؤه ﷺ

كان رسول الله ﷺ يبكي رحمة وحزنًا.

فبكى على بعض أصحابه وأهله.

وهذا يعلمنا أن الرحمة لا تتعارض مع القوة.

الثالث والعشرون: رحمته بالخادم

كان ﷺ حسن التعامل مع الخدم.

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه شاهدًا على ذلك خلال سنوات

Edit with WPS Office

خدمته للنبي ﷺ.

فلم يكن يستغل حاجتهم أو ضعفهم.

الرابع والعشرون: النهي عن الظلم

كان النبي ﷺ يحذر من الظلم.

والضعيف أكثر الناس تعرضًا للظلم، ولذلك يحتاج إلى حماية المجتمع والقانون والضمير.

الخامس والعشرون: المال أمانة

Edit with WPS Office

من أعظم تعاليم الإسلام أن المال ليس ملكًا مطلقًا للإنسان.

بل هو أمانة واختبار.

والغني مسؤول عن ماله: من أين اكتسبه وفيم أنفقه.

السادس والعشرون: الزكاة

فرض الإسلام الزكاة لتطهير المال وتحقيق التكافل.

قال تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

فالزكاة ليست مجرد صدقة اختيارية، وإنما فريضة لها أحكامها

Edit with WPS Office

ومصارفها.

السابع والعشرون: الصدقة التطوعية

إلى جانب الزكاة، فتح الإسلام أبوابًا واسعة للصدقة.

فالكلمة الطيبة صدقة.

والإحسان صدقة.

ومساعدة الناس صدقة.

وإزالة الأذى صدقة.

Edit with WPS Office

الثامن والعشرون: التكافل الاجتماعي

كان النبي ﷺ يبني مجتمعًا لا يترك المحتاج وحيدًا.

وكان المسلمون يتعاونون فيما بينهم.

فالغني يساعد الفقير.

والقوي يساعد الضعيف.

والصحيح يساعد المريض.

والعالم يعلم الجاهل.

Edit with WPS Office

التاسع والعشرون: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

من أعظم صور التكافل في المجتمع النبوي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

فاستقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين وشاركوهم ما يستطيعون.

وكانت هذه الأخوة نموذجًا فريدًا في التضامن.

الثلاثون: المجتمع الذي يصنعه الإيمان

لم يكن المجتمع النبوي قائمًا على القوانين وحدها.

بل كان قائمًا على الإيمان والضمير.

Edit with WPS Office

فالمسلم يعطي لأنه يؤمن أن الله يراه.

ويعدل لأنه يخاف الله.

ويرحم لأنه يرجو رحمة الله.

الحادي والثلاثون: الرحمة ليست شفقة فقط

الرحمة الحقيقية لا تعني مجرد الحزن على الفقير.

بل تعني العمل على مساعدته.

فالرحمة تتحول إلى فعل.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: تعليم الفقير العمل

الإسلام لا يشجع الإنسان على الاستسلام للعجز.

بل يحث على العمل والكسب الحلال.

والصدقة تساعد المحتاج، لكن تمكين الإنسان من الاعتماد على نفسه أعظم أثرًا على المدى الطويل.

الثالث والثلاثون: كرامة العمل

كان النبي ﷺ يحث على الكسب الحلال.

والعمل الشريف لا يعيب الإنسان مهما كان بسيطًا.

Edit with WPS Office

فالمعيب هو الحرام، وليس العمل.

الرابع والثلاثون: عدم التكبر على أصحاب المهن

قد يكون الإنسان عاملًا بسيطًا، لكنه عند الله أفضل من صاحب منصب أو مال.

فالعبرة بالإيمان والعمل الصالح.

الخامس والثلاثون: محاربة الاحتقار

من أخطر الأمراض الاجتماعية احتقار الفقراء.

Edit with WPS Office

والإسلام يحارب هذا السلوك.

فالإنسان قد يفقد ماله، وقد تتغير أحواله، ولا يدري أحد أين يكون فضل الله.

السادس والثلاثون: الرحمة بالمدين

اهتم الإسلام بالمدين المعسر.

قال تعالى:

﴿وَإِن كانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280].

وهذا من أعظم صور الرحمة الاقتصادية.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: إنظار المعسر

من أعظم الأخلاق أن يعطي الإنسان للمدين فرصة حتى يستطيع السداد.

وهذا يحقق الرحمة ويمنع تحول الدين إلى وسيلة للظلم.

الثامن والثلاثون: الرحمة بالمحتاج لا تعني الفوضى

الإحسان ينبغي أن يكون منظمًا.

فالزكاة لها مصارف.

Edit with WPS Office

والصدقات لها أبواب.

ومساعدة المحتاج ينبغي أن تحقق أكبر قدر ممكن من النفع.

التاسع والثلاثون: مسؤولية المجتمع

لا ينبغي أن تكون رعاية الفقراء مسؤولية شخص واحد.

بل هي مسؤولية الأسرة والمجتمع والمؤسسات والدولة، كل بحسب قدرته واختصاصه.

الأربعون: مسؤولية الأغنياء

Edit with WPS Office

الغني الذي منحه الله المال عليه مسؤولية تجاه المجتمع.

فماله يمكن أن يكون وسيلة لبناء المدارس والمستشفيات، ومساعدة المحتاجين، وإطعام الفقراء، ودعم المشروعات النافعة.

الحادي والأربعون: الرحمة في عصرنا

نحن اليوم أحوج ما نكون إلى استعادة روح الرحمة.

ففي كل مجتمع:

فقير.

ويتيم.

Edit with WPS Office

ومريض.

ومسن.

وذو إعاقة.

وأرملة.

ومحتاج.

وكل هؤلاء يحتاجون إلى مجتمع يشعر بهم.

الثاني والأربعون: الرحمة تبدأ من البيت

Edit with WPS Office

لا يمكن أن يكون الإنسان رحيمًا بالمجتمع وهو قاسٍ على أسرته.

فالرحمة تبدأ من البيت.

ثم تمتد إلى الأقارب والجيران والزملاء والمجتمع كله.

الثالث والأربعون: الرحمة في الكلمة

قد يكون الإنسان محتاجًا إلى كلمة طيبة أكثر من حاجته إلى المال.

كلمة تشجعه.

أو تواسيه.

أو ترفع معنوياته.

Edit with WPS Office

ولهذا كانت الكلمة الطيبة صدقة.

الرابع والأربعون: الرحمة منهج حياة

الرحمة ليست موقفًا عابرًا.

إنها طريقة في التفكير والتعامل.

أن ترى المحتاج فتشعر بمسؤوليّتك.

وأن ترى الحزين فتحاول أن تواسيه.

وأن ترى الضعيف فتحاول أن تحميه.

Edit with WPS Office

وأن ترى المريض فتعوده.

الخامس والأربعون: الاقتداء برسول الله ﷺ

إذا أردنا أن نكون من أتباع رسول الله ﷺ، فعلينا أن نحمل شيئًا من رحمته إلى الناس.

فلنبحث عن محتاج فنساعده.

وعن يتيم فنكرمه.

وعن فقير فنطعمه.

وعن مريض فنزوره.

Edit with WPS Office

وعن مكروب فنفرج كربته.

فالسيرة ليست أحداثًا تاريخية فحسب، وإنما منهج حياة.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ نبي الرحمة.

دخلت الرحمة في كلامه، وفي بيته، وفي تعامله مع أصحابه، وفي ع لاقته بالفقراء والضعفاء والمساكين.

لم يكن يرى الإنسان من خلال ماله أو منصبه أو مظهره، وإنما كان يربي الأمة على التقوى والعمل الصالح.

وكان يعلم أن المجتمع القوي ليس هو المجتمع الذي يملك الأغنياء فيه كل شيء، وإنما المجتمع الذي يشعر فيه القوي بالضعيف، والغني

Edit with WPS Office

بالفقير، والصحيح بالمريض، والقادر بالعاجز.

ومن هنا جاءت الزكاة والصدقة والإحسان والتكافل.

لقد أقام النبي ﷺ مجتمعًا يشعر فيه الإنسان أنه ليس وحده.

وإذا أردنا اليوم أن نعيد شيئًا من نور السيرة إلى حياتنا، فلنبدأ من الرحمة.

ارحم من حولك.

وساعد المحتاج.

وأكرم اليتيم.

واكفل الضعيف.

Edit with WPS Office

وأطعم الجائع.

واستر المحتاج.

وكن سببًا في تفريج كربة إنسان.

فمن رحم الناس، استحق رحمة الله.

إنه رسول الله ﷺ، نبي الرحمة، ومعلم الإنسانية، وقدوة المتراحمين.

Edit with WPS Office

الفصل السادس والثلاثون

عبادة رسول الله ﷺ وصلته بربه

كان يعرف الله فكان أثبت الناس

تمهيد

إذا كانت سيرة رسول الله ﷺ قد أظهرت رحمته بالناس، وعدله في الحكم، وشجاعته في المواقف، وحسن معاشرته لأهله، فإن وراء هذه الأخلاق كلها سرًا عظيمًا، وهو قوة صلته بالله تعالى.

كان ﷺ أعظم الناس عبادة، وأكثرهم ذكرًا لله، وأشدهم خشية له، وأصدقهم توكلًا عليه.

وكانت عبادته هي مصدر قوته وصبره وثباته.

Edit with WPS Office

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: 1-2].

فمنذ بداية الدعوة كان إعداد النبي ﷺ إعدادًا إيمانيًا عظيمًا؛ لأن من يحمل رسالة كبيرة يحتاج إلى قلب قوي بالله.

أولًا: كان رسول الله ﷺ أعرف الناس بربه

كلما ازداد الإنسان معرفة بالله، ازداد خشية وتعظيمًا له.

وكان النبي ﷺ أعرف الناس بالله، ولذلك كان أكثرهم عبادة وخشية.

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

ثانيًا: قيام الليل

كان قيام الليل من أعظم عباداته ﷺ.

وكان يقوم حتى تتفطر قدماه.

ولما سئل عن ذلك قال:

«أفلا أكون عبدًا شكورًا».

فكانت عبادته تعبيرًا عن الشكر، لا مجرد أداء للواجب.

Edit with WPS Office

ثالثًا: الصلاة قرة عينه

كانت الصلاة من أحب العبادات إلى قلبه ﷺ.

وكان يقول:

«وجُعلت قرة عيني في الصلاة».

فالصلاة عنده لم تكن عادة يؤديها، وإنما كانت لقاءً بالله.

رابعًا: المحافظة على الفرائض

كان ﷺ أعظم الناس محافظة على ما افترض الله.

Edit with WPS Office

وكان يعلم الأمة أن الفرائض هي أساس الدين.

فلا يصح أن ينشغل الإنسان بالنوافل ويضيع الفرائض.

خامسًا: كثرة النوافل

مع محافظته على الفرائض، كان ﷺ يكثر من النوافل.

فيصلي قبل الصلوات وبعدها.

ويصوم تطوعًا.

ويذكر الله.

Edit with WPS Office

ويستغفره.

وهذا يدل على شدة تعلق قلبه باللّٰه.

سادسًا: الصيام

كان رسول الله ﷺ يصوم رمضان، ويصوم من غيره تطوعًا.

وكان يحرص على صيام بعض الأيام.

وكان يعلم أصحابه أن الصيام مدرسة في التقوى.

قال تعالى:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

Edit with WPS Office

سابعًا: شهر رمضان

كان رمضان شهرًا مميزًا في حياة النبي ﷺ.

ففيه نزل القرآن.

وكان يكثر فيه من العبادة والصدقة والذكر.

وكان أجود الناس، ويزداد جوده في رمضان.

ثامنًا: القرآن في حياته

Edit with WPS Office

كان القرآن قلب حياته ﷺ.

يقرأه.

ويتدبره.

ويطبقه.

ويعلمه لأصحابه.

وكانت أخلاقه تطبيقًا عمليًا للقرآن.

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه قالت:

«كان خُلُقُه القرآن».

Edit with WPS Office

تاسعًا: تدبر القرآن

لم يكن النبي ﷺ يقرأ القرآن قراءة مجردة.

بل كان يتدبره ويتأثر به.

وكان يقوم الليل بآيات قليلة يكررها ويتفكر في معانيها.

عاشرًا: كثرة الذكر

كان ﷺ كثير الذكر لله.

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 41].

وكان يذكر الله في أحواله المختلفة.

الحادي عشر: الاستغفار

كان النبي ﷺ يستغفر الله كثيرًا.

وكان يعلم الأمة أن الاستغفار ليس للمذنبين فقط، وإنما هو عبادة دائمة.

وقال ﷺ:

«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

Edit with WPS Office

وفي رواية أخرى: «مائة مرة».

الثاني عشر: الدعاء

كان ﷺ كثير الدعاء.

وكان يعلم أصحابه الأدعية المتعلقة بكل جوانب الحياة.

فالدعاء كان جزءًا أساسيًا من حياته.

الثالث عشر: التوكل على الله

كان النبي ﷺ يأخذ بالأسباب، ثم يتوكل على الله.

Edit with WPS Office

فلم يكن التوكل تركًا للعمل.

بل كان يجمع بين التخطيط والعمل والثقة بالله.

الرابع عشر: التوكل في الهجرة

في الهجرة ظهر نموذج عظيم للتوكل.

فقد أخذ النبي ﷺ بالأسباب، واختار الرفيق، وحدد الطريق، واختبأ في الغار، ثم كان قلبه مطمئنًا بالله.

قال لأبي بكر رضي الله عنه:

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40].

Edit with WPS Office

الخامس عشر: الصبر بالله

كان ﷺ يصبر على الأذى لأنه يعلم أن الله معه.

واجه التكذيب والسخرية والحصار والأذى، لكنه لم يتخل عن دعوته.

السادس عشر: الخشية من الله

كان رسول الله ﷺ يخشى الله مع أنه سيد ولد آدم.

وكان قلبه متعلقًا بعظمة الله.

Edit with WPS Office

وقال ﷺ:

«أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له».

السابع عشر: البكاء من خشية الله

كان ﷺ يبكي من خشية الله.

وكان يسمع القرآن فيتأثر.

والدموع عنده لم تكن ضعفًا، وإنما كانت علامة حياة القلب.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: العبادة في السر

كان كثير من عبادته ﷺ لا يراها الناس.

قيام الليل والدعاء والاستغفار عبادات بينه وبين ربه.

وهذا يعلمنا أهمية الإخلاص.

التاسع عشر: الإخلاص

كان ﷺ يدعو إلى إخلاص العبادة لله.

قال تعالى:

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3].

Edit with WPS Office

فلا قيمة للعمل إذا كان المقصود به مدح الناس.

العشرون: الخلوة بالله

كان النبي ﷺ قبل البعثة يخلو في غار حراء.

وكان يحب الخلوة والتفكر بعيدًا عن ضجيج الحياة.

ثم جاء الوحي ليبدأ أعظم مرحلة في تاريخ البشرية.

الحادي والعشرون: أول الوحي

Edit with WPS Office

جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في غار حراء.

وقال له:

«اقرأ».

فنزلت الآيات الأولى من سورة العلق:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

فكانت بداية الرسالة مرتبطة بالعلم والقراءة واسم الله.

الثاني والعشرون: العبادة تصنع الثبات

لم يكن قيام الليل مجرد عبادة فردية.

Edit with WPS Office

بل كان إعدادًا للنبي ﷺ لحمل أعباء الرسالة.

قال تعالى:

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5].

فالرسالة ثقيلة، ولذلك جاء قيام الليل إعدادًا للقلب.

الثالث والعشرون: الصلاة عند الشدائد

كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

فالصلاة عند المؤمن ليست فقط وقتًا للراحة، وإنما هي ملجأ عند الشدة.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: الذكر مصدر الطمأنينة

قال تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن القلب لا يستقر إلا بالله.

الخامس والعشرون: الاستعانة بالله

كان ﷺ يعلم أصحابه أن يقولوا:

Edit with WPS Office

«إياك نعبد وإياك نستعين».

فالعبد يحتاج إلى الله في كل شيء.

السادس والعشرون: الشكر

كان النبي ﷺ عبدًا شكورًا.

يشكر الله على النعم.

ويذكره في الرخاء.

ولا ينساه في الشدة.

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: الصبر والشكر

كان ﷺ يجمع بين الصبر والشكر.

إذا جاءه ما يحب شكر.

وإذا نزل به ما يكره صبر.

وهذه من أعظم صفات المؤمن.

الثامن والعشرون: العبادة والعمل

لم تكن عبادة النبي ﷺ تمنعه من العمل.

Edit with WPS Office

كان قائدًا.

ومعلمًا.

وقاضيًا.

وزوجًا.

وأبًا.

ومجاهدًا.

فجمع بين العبادة وتحمل المسؤولية.

التاسع والعشرون: لا رهبانية في الإسلام

Edit with WPS Office

لم يكن النبي ﷺ يعتزل الحياة.

بل كان يعيش بين الناس.

ويتزوج.

ويبيع ويشتري.

ويزور الناس.

ويشاركهم حياتهم.

لكن قلبه كان متعلقًا بالله.

Edit with WPS Office

الثلاثون: التوازن في العبادة

كان النبي ﷺ يرفض الغلو.

فعندما أراد بعض الصحابة أن يتشددوا في العبادة، بين لهم أن سنته هي الاعتدال.

وكان يقول:

«أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء».

فالإسلام عبادة متوازنة.

الحادي والثلاثون: العبادة لا تعني ترك الحقوق

Edit with WPS Office

كان ﷺ يعطي كل ذي حق حقه.

فيعبد الله.

ويرعى أهله.

ويتعامل مع الناس.

ويرتاح.

ويعمل.

وهذا هو التوازن النبوي.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: حسن الظن بالله

كان النبي ﷺ يحسن الظن بربه.

وفي أشد الظروف كان قلبه متعلقًا بنصر الله.

الثالث والثلاثون: الثقة بوعد الله

عندما اشتدت الأزمات في مكة، لم يفقد النبي ﷺ الأمل.

وكان يثق أن وعد الله حق.

وهذه الثقة كانت من أسباب ثباته.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: الدعاء في المعارك

كان النبي ﷺ يلجأ إلى الله في المواقف الصعبة.

وكان يدعو ربه بالنصر والتأييد.

وفي بدر رفع يديه يدعو الله بإلحاح.

فالنصر عنده من الله، مع الأخذ بالأسباب.

الخامس والثلاثون: العبادة في السفر

كان ﷺ يصلي في السفر، ويذكر الله، ويأخذ بالرخص التي شرعها الله.

Edit with WPS Office

وهذا يدل على أن العبادة لا تنقطع بتغير الظروف.

السادس والثلاثون: العبادة في المرض

حتى في مرضه الأخير ظل قلبه متعلقًا باللّٰه.

وكان يوصي بالصلاة ويؤكد أهميتها.

السابع والثلاثون: آخر وصاياه

من أعظم ما ظهر في أواخر حياته ﷺ اهتمامه بالصلاة.

Edit with WPS Office

فكانت الصلاة من أعظم الروابط بين العبد وربه.

الثامن والثلاثون: ذكر الله في آخر الحياة

كان النبي ﷺ يذكر الله حتى آخر لحظاته.

وكان قلبه متعلقًا بالرفيق الأعلى.

وهذا يعكس حياة كاملة من التعلق بالله.

التاسع والثلاثون: العبادة تصنع الأخلاق

من الخطأ أن نفصل العبادة عن الأخلاق.

Edit with WPS Office

فالصلاة الحقيقية ينبغي أن تنهى عن الفحشاء والمنكر.

والصيام ينبغي أن يصنع التقوى.

والذكر ينبغي أن يزكي القلب.

الأربعون: أثر العبادة في الرحمة

كلما امتلأ القلب بمعرفة الله، ازداد رحمة بعباده.

ولهذا اجتمعت في النبي ﷺ العبادة والرحمة.

Edit with WPS Office

الحادي والأربعون: أثر العبادة في القيادة

القائد الذي يخاف الله لا يظلم الناس.

والحاكم الذي يتذكر الحساب لا يتكبر.

والمعلم الذي يراقب الله يخلص في التعليم.

وقد جمع النبي ﷺ بين العبادة والقيادة.

الثاني والأربعون: أثر العبادة في مواجهة الأزمات

الإنسان الذي يملك صلة قوية بالله يكون أكثر قدرة على مواجهة ا لأزمات.

Edit with WPS Office

وهذا ما نراه في حياة النبي ﷺ.

فكلما اشتدت المحن، ازداد ثباته بالله.

الثالث والأربعون: العبادة في حياة المسلم

إذا أردنا الاقتداء بالنبي ﷺ، فعلينا أن نجعل العبادة أساس حياتنا.

نحافظ على الصلاة.

ونقرأ القرآن.

ونكثر من الذكر.

ونستغفر الله.

Edit with WPS Office

وندعو.

ونصوم.

ونحسن إلى الناس.

الرابع والأربعون: العبادة ليست انفصالًا عن المجتمع

المسلم الحقيقي لا يهرب من الناس بحجة العبادة.

بل يعبد الله وهو يعمل ويعلم ويربي ويخدم أسرته ومجتمعه.

وهذا هو النموذج النبوي.

Edit with WPS Office

الخامس والأربعون: سر عظمة النبي ﷺ

إذا تأملنا حياة رسول الله ﷺ وجدنا أن سر قوته لم يكن في القوة المادية وحدها.

بل كان في قلبه الذي تعلق بالله.

كان يصلي عندما تشتد الأزمات.

ويدعو عندما تضيق السبل.

ويستغفر عندما يحتاج إلى المغفرة.

ويتوكل عندما يأخذ بالأسباب.

Edit with WPS Office

ويصبر عندما ينزل البلاء.

ويشكر عندما تأتي النعمة.

ولهذا كان ثابت القلب، قوي الإرادة، عظيم الصبر.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ أعظم العابدين لله.

وكانت عبادته مدرسة في الإخلاص والخشوع والتوازن.

لم تكن الصلاة عنده عادة، ولا الصيام مجرد امتناع عن الطعام، ولا الذكر مجرد كلمات ترددها الألسنة.

Edit with WPS Office

كانت عبادته حياة.

كان إذا صلى وقف بين يدي ربه.

وإذا دعا رفع قلبه إلى الله.

وإذا أصابه البلاء صبر.

وإذا جاءته النعمة شكر.

وإذا اشتدت عليه الأمور لجأ إلى ربه.

ومن هنا نفهم سرًا عظيمًا من أسرار شخصيته ﷺ:

أنه كان قوي الصلة بالله، فكان قويًا في مواجهة الحياة.

إن من يريد أن يسير على طريق رسول الله ﷺ لا يكفيه أن يقرأ

Edit with WPS Office

سيرته، بل ينبغي أن يتعلم من عبادته.

أن يجعل للصلاة مكانها.

وللقرآن نصيبه.

وللذكر حضوره.

وللدعاء أثره.

وللاستغفار نصيبه.

وللقيام وقتًا.

وللإخلاص مكانًا في القلب.

فإذا صلحت الصلة بالله، صلحت علاقة الإنسان بنفسه وأهله

Edit with WPS Office

ومجتمعه.

وهكذا كانت حياة رسول الله ﷺ:

عبادة في المحراب، ورحمة في البيت، وعدل في المجتمع، وثبات في الشدائد، ودعوة إلى الله في كل لحظة.

إنه رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

الفصل السابع والثلاثون

شجاعة رسول الله ﷺ ومواقفه في الجهاد

الشجاعة في الحق، والثبات في الشدائد

تمهيد

كانت الشجاعة من الصفات البارزة في شخصية رسول الله ﷺ.

ولم تكن شجاعته تهورًا أو حبًا للقتال، وإنما كانت شجاعة قائمة على الإيمان والثبات والعدل وحماية الحق.

كان ﷺ إذا اشتد الخطر ثبت، وإذا اضطرب الناس كان من أثبتهم قلبًا، وإذا احتاجت الأمة إلى قائد تقدم الصفوف.

وقد شهد له أصحابه بذلك.

Edit with WPS Office

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«كنا إذا احمر البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه».

فكان ﷺ في مقدمة الشجعان، لا يختبئ خلف أصحابه.

أولًا: معنى الشجاعة في الإسلام

الشجاعة ليست مجرد القوة البدنية.

فالشجاع هو الذي يثبت على الحق، ويضبط نفسه عند الغضب، ويواجه الخوف دون ظلم أو عدوان.

Edit with WPS Office

وقد كان النبي ﷺ يجمع بين شجاعة القلب وقوة الإيمان وحسن التدبير.

ثانيًا: شجاعة رسول الله ﷺ في مكة

عاش النبي ﷺ في مكة سنوات طويلة في مواجهة التكذيب والأذى.

وكان يستطيع أن يتراجع عن دعوته لو أراد السلامة لنفسه.

لكنه ثبت على التوحيد والدعوة.

ثالثًا: مواجهة قريش

Edit with WPS Office

واجهت قريش النبي ﷺ بكل وسائل الضغط.

السخرية.

والاتهام.

والتهديد.

والحصار.

والإغراء.

ومع ذلك لم يتراجع عن رسالته.

Edit with WPS Office

رابعًا: رفض المساومة على العقيدة

عرضت قريش على النبي ﷺ أن يترك بعض ما يدعو إليه مقابل أن يتركوا له بعض ما هو عليه.

فثبت على التوحيد.

وهذا من أعظم صور الشجاعة؛ أن يثبت الإنسان على الحق ولو خ
الفه الناس.

خامسًا: الثبات في الدعوة

لم تكن شجاعة النبي ﷺ في ساحة المعركة فقط.

بل ظهرت قبل ذلك في سنوات الدعوة الأولى.

Edit with WPS Office

فالوقوف أمام مجتمع كامل يرفض رسالتك يحتاج إلى شجاعة عظيمة.

سادسًا: شجاعته في الهجرة

عندما اشتد خطر قريش وقررت قتل النبي ﷺ، خرج ﷺ مهاجرًا.

ولم يكن خروجه فرارًا من الرسالة، بل انتقالًا بها إلى أرض جديدة.

سابعًا: موقف الغار

عندما كان النبي ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه في الغار، ووصل

Edit with WPS Office

المشركون إلى قريب من مكانهما، قال أبو بكر:

يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا.

فقال النبي ﷺ:

«ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

وكان هذا موقفًا عظيمًا من الثقة بالله.

ثامنًا: الأخذ بالأسباب

مع شجاعته وتوكله، لم يهمل النبي ﷺ الأسباب.

فخطط للهجرة.

Edit with WPS Office

واختار الرفيق.

واستأجر الدليل.

واختار الطريق المناسب.

وأخفى خروجه عن قريش.

وهذا يعلمنا أن الشجاعة لا تعني إهمال التخطيط.

تاسعًا: الشجاعة والتوكل

جمع النبي ﷺ بين أمرين:

Edit with WPS Office

الأخذ بالأسباب.

والتوكل على الله.

فلا يقول الإنسان: أنا متوكل على الله ثم يهمل الأسباب.

ولا يعتمد على الأسباب وينسى مسبب الأسباب.

عاشرًا: غزوة بدر

كانت بدر أول مواجهة كبرى بين المسلمين وقريش.

وكان المسلمون أقل عددًا وعدة.

ومع ذلك ثبت النبي ﷺ وأصحابه.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: دعاء النبي ﷺ في بدر

لما رأى النبي ﷺ قلة أصحابه وكثرة عدوهم، لجأ إلى الله بالدعاء.

فلم تكن قوته المادية وحدها هي مصدر ثقته.

بل كان يعتمد على الله مع الأخذ بالأسباب.

الثاني عشر: القيادة في بدر

كان النبي ﷺ قائدًا للمسلمين.

Edit with WPS Office

وكان يتابع مواقع الجيش.

وينظم الصفوف.

ويستشير أصحابه.

ويخطط للمعركة.

فجمع بين الشجاعة والقيادة الحكيمة.

الثالث عشر: الشورى

كان النبي ﷺ يستشير أصحابه.

ففي بدر استشارهم في الموقف.

Edit with WPS Office

وفي غيرها من الأحداث كان يأخذ بآرائهم.

وهذا يبين أن القائد الشجاع لا يستغني عن المشورة.

الرابع عشر: غزوة أحد

في أحد تعرض المسلمون لابتلاء شديد.

واستشهد عدد من كبار الصحابة.

وأصيب النبي ﷺ.

ومع ذلك لم ينهَر.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: ثباته في أحد

عندما اضطربت صفوف المسلمين، بقي النبي ﷺ ثابتًا.

وكان من حوله عدد من أصحابه يدافعون عنه.

وأصيب ﷺ في وجهه وكسرت رباعيته.

ومع ذلك استمر في قيادة أصحابه.

السادس عشر: الشجاعة عند الخطر

الشجاع الحقيقي لا يعني أنه لا يشعر بالخوف.

Edit with WPS Office

ولكنه لا يسمح للخوف أن يمنعه من أداء واجبه.

وهذا ما ظهر في مواقف النبي ﷺ.

السابع عشر: غزوة الخندق

في غزوة الخندق واجه المسلمون تحالفًا كبيرًا من القبائل.

وكانت المدينة معرضة لخطر شديد.

فاتخذ النبي ﷺ قرار حفر الخندق.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: المشاركة في العمل

لم يكن النبي ﷺ يأمر أصحابه بالعمل ثم يجلس بعيدًا.

بل شاركهم في حفر الخندق.

وكان يحمل التراب معهم.

وهذا من أعظم صور القيادة بالقدوة.

التاسع عشر: الجوع في الخندق

اشتد الجوع على المسلمين أثناء حفر الخندق.

ومع ذلك استمروا.

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ واحدًا منهم، يعيش ظروفهم ولا ينعزل عنهم.

العشرون: الشجاعة في القيادة

القائد الحقيقي هو الذي يشارك جنوده أوقات الخطر والمشقة.

وقد كان النبي ﷺ نموذجًا لذلك.

الحادي والعشرون: غزوة حنين

في حنين وقع اضطراب في بداية المعركة.

Edit with WPS Office

وثبت النبي ﷺ ولم يفر.

وكان ينادي أصحابه ويثبتهم.

الثاني والعشرون: ثباته ﷺ في حنين

كان النبي ﷺ راكبًا بغلته، متقدمًا في الموقف، وهو ينادي أصحابه.

فكان ثباته سببًا في إعادة تنظيم الصفوف.

الثالث والعشرون: الشجاعة في مواجهة الأزمات

في الأزمات يظهر معدن الإنسان.

Edit with WPS Office

وقد ظهر في النبي ﷺ أعظم صور الثبات.

فكلما اشتدت الأزمة، ازداد يقينه بالله.

الرابع والعشرون: الشجاعة ليست تهورًا

لم يكن النبي ﷺ يقتحم الأخطار بلا حساب.

بل كان يخطط ويستشير ويأخذ بالأسباب.

وهذا هو الفرق بين الشجاعة والتهور.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: الشجاعة مع الرحمة

كان النبي ﷺ شجاعًا، ولكنه كان رحيمًا.

وهذا يوضح أن القوة لا تعني القسوة.

السادس والعشرون: ضوابط القتال

لم يجعل الإسلام القتال فوضى.

بل وضع له ضوابط وأحكامًا.

قال تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

Edit with WPS Office

الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190].

السابع والعشرون: النهي عن الاعتداء

الآية واضحة في النهي عن الاعتداء.

فحتى في الحرب لا يجوز للمسلم أن يجعل القتال بابًا للفوضى و الظلم.

الثامن والعشرون: النهي عن قتل غير المقاتلين

كان النبي ﷺ ينهى عن قتل النساء والصبيان.

Edit with WPS Office

وهذا يدل على أن القتال في الإسلام ليس قتلًا عشوائيًا.

التاسع والعشرون: احترام العهود

كان النبي ﷺ يحترم العهود والمواثيق.

وكان يحذر من الغدر.

فالوفاء جزء من الأخلاق النبوية حتى في الظروف الصعبة.

الثلاثون: العفو عند المقدرة

من أعظم صور الشجاعة أن يستطيع الإنسان الانتقام ثم يختار العفو

Edit with WPS Office

إذا كان العفو أصلح.

وقد ظهر ذلك بوضوح في فتح مكة.

الحادي والثلاثون: فتح مكة

دخل النبي ﷺ مكة منتصرًا.

وكان أهل مكة يتذكرون ما فعلوه به وبأصحابه.

لكن النبي ﷺ لم يجعل النصر مناسبة للانتقام الشخصي.

الثاني والثلاثون: القوة المنضبطة

Edit with WPS Office

القوة إذا انفصلت عن الأخلاق تتحول إلى ظلم.

أما القوة إذا ضبطها الإيمان والعدل، فتكون وسيلة لحماية الناس ودفع العدوان.

الثالث والثلاثون: شجاعة قول الحق

كان النبي ﷺ يقول الحق ولو خالفه الناس.

وهذه من أعظم أنواع الشجاعة.

فليس كل شجاع هو من يواجه السيف، وإنما قد تكون مواجهة الباطل بالكلمة أعظم شجاعة.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: الشجاعة في القضاء

كان ﷺ يحكم بالعدل.

ولا يسمح للمحبة أو الكراهية أن تغير الحكم.

فالحاكم يحتاج إلى شجاعة أخلاقية كما يحتاج إلى القوة.

الخامس والثلاثون: الشجاعة في مواجهة الظلم

كان النبي ﷺ يحارب الظلم ويأمر بالعدل.

وكان يعلم أصحابه أن الظلم عاقبته عظيمة.

Edit with WPS Office

السادس والثلاثون: الشجاعة في العفو

العفو في بعض المواقف يحتاج إلى قوة نفسية عظيمة.

وقد كان النبي ﷺ قادرًا على العفو لأنه كان يملك نفسه.

السابع والثلاثون: ضبط الغضب

الشجاعة ليست أن تغلب الآخرين.

بل أن تغلب نفسك.

Edit with WPS Office

قال ﷺ:

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

وهذا تعريف نبوي عظيم للشجاعة الحقيقية.

الثامن والثلاثون: القوة الحقيقية

القوة الحقيقية هي قوة الإيمان.

وقوة الإرادة.

وقوة ضبط النفس.

وقوة الصبر.

Edit with WPS Office

وقوة تحمل المسؤولية.

التاسع والثلاثون: الشجاعة في التربية

كان النبي ﷺ شجاعًا في تصحيح الأخطاء.

فإذا رأى خطأ بينه بلطف وحكمة.

وكان لا يخاف من قول الحق.

الأربعون: الشجاعة في مواجهة الأزمات

Edit with WPS Office

واجه النبي ﷺ سنوات من الحصار والفقر والحروب وفقد الأحبة.

ومع ذلك لم يفقد الأمل.

وهذه شجاعة نفسية عظيمة.

الحادي والأربعون: الشجاعة والصبر

الشجاعة تحتاج إلى صبر.

فالإنسان قد يكون قويًا في لحظة، لكن الثبات سنوات طويلة يحتاج إلى صبر وإيمان.

Edit with WPS Office

الثاني والأربعون: الشجاعة والتواضع

مع كل هذه القوة، كان النبي ﷺ متواضعًا.

فلم يكن يتكبر على الناس.

وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس.

ويخدم أهله.

ويعيش حياة بسيطة.

الثالث والأربعون: شجاعة بلا غرور

كان ﷺ شجاعًا بلا غرور.

Edit with WPS Office

قويًا بلا ظلم.

حازمًا بلا قسوة.

رحيمًا بلا ضعف.

وهذا هو التوازن النبوي.

الرابع والأربعون: ماذا نتعلم من شجاعته ﷺ؟

نتعلم أن الشجاعة:

أن تقول الحق.

Edit with WPS Office

أن تتحمل المسؤولية.

أن تدافع عن المظلوم.

أن تضبط غضبك.

أن تصبر عند الشدائد.

أن تأخذ بالأسباب.

أن تتوكل على الله.

أن تعفو عند القدرة إذا كان العفو أصلح.

الخامس والأربعون: الشجاعة في حياتنا اليوم

Edit with WPS Office

لا يحتاج المسلم اليوم إلى أن يعيش حياة صراع دائم حتى يكون شجاعًا.

بل قد تكون شجاعته في:

رفض الحرام.

قول الحق.

مقاومة الظلم بالطرق المشروعة.

تحمل المسؤولية.

الاعتذار عند الخطأ.

الدفاع عن الضعيف.

Edit with WPS Office

الصبر على البلاء.

الثبات على المبادئ.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ شجاعًا في كل ميادين الحياة.

كان شجاعًا عندما أعلن التوحيد في وجه قريش.

وشجاعًا عندما تحمل الأذى.

وشجاعًا في الهجرة.

Edit with WPS Office

وشجاعًا في بدر وأحد والخندق وحنين.

وشجاعًا في قيادة الأمة.

وشجاعًا في قول الحق.

وشجاعًا في العفو.

وشجاعًا في ضبط نفسه.

وكانت شجاعته مرتبطة دائمًا بالإيمان والعدل والرحمة.

فلم تكن القوة عنده ﷺ وسيلة للظلم، وإنما كانت وسيلة لحماية الحق ودفع العدوان وتحقيق العدل.

وهكذا تعلمنا السيرة أن أعظم الشجاعة أن يكون الإنسان قويًا على الباطل، رحيمًا بالناس، عادلًا في الحكم، مالكًا لنفسه عند الغضب، ثابتًا على الحق، متوكلًا على الله.

Edit with WPS Office

إنه رسول الله ﷺ؛

الشجاع الذي لم يكن في قلبه جبن، والقوي الذي لم تكن قوته ظلمًا، والرحيم الذي لم تكن رحمته ضعفًا.

Edit with WPS Office

الفصل الثامن والثلاثون

دعوة رسول الله ﷺ ومنهجه في التربية

من بناء الإنسان إلى بناء الأمة

تمهيد

لم تكن رسالة رسول الله ﷺ مجرد نقل مجموعة من الأحكام و المعلومات، وإنما كانت مشروعًا متكاملًا لبناء الإنسان.

فقد جاء ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ومن الفوضى الأخلاقية إلى منظومة متكاملة من القيم.

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: 2].

فجمع المنهج النبوي بين التلاوة والتعليم والتزكية.

أولًا: إصلاح الإنسان قبل إصلاح المجتمع

بدأ النبي ﷺ ببناء الإنسان.

فلم يكن التغيير عنده مجرد تغيير في القوانين، وإنما يبدأ من القلب والعقيدة والضمير.

فإذا صلح الإنسان، أمكن أن يصلح المجتمع.

Edit with WPS Office

ثانيًا: ترسيخ التوحيد

كان أول ما دعا إليه النبي ﷺ هو توحيد الله تعالى.

قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن:

«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

فالعقيدة هي الأساس الذي تُبنى عليه بقية الأعمال.

ثالثًا: التربية على الإيمان

لم يكن النبي ﷺ يكتفي بتلقين المعلومات.

Edit with WPS Office

بل كان يبني الإيمان في القلوب.

فيعلم أصحابه مراقبة الله.

والتوكل عليه.

والخوف منه.

والرجاء فيه.

ومحبته.

رابعًا: التدرج في التربية

Edit with WPS Office

من أهم سمات المنهج النبوي التدرج.

فلم تنزل جميع الأحكام دفعة واحدة.

وإنما نزل القرآن مفرقًا خلال سنوات الدعوة.

وكانت التربية تسير مع قدرة الناس على الفهم والتطبيق.

خامسًا: مراعاة أحوال الناس

كان النبي ﷺ يراعي اختلاف الناس.

فليس كل الناس في مستوى واحد من العلم أو القدرة أو الاستعداد.

ولهذا كان يخاطب كل إنسان بما يناسبه.

Edit with WPS Office

سادسًا: التعليم بالقدوة

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه بفعله قبل قوله.

فإذا أراد منهم الصلاة صلى أمامهم.

وإذا أراد منهم الصبر صبر.

وإذا أراد منهم الرحمة كان أرحمهم.

فالقدوة أقوى من الكلام المجرد.

Edit with WPS Office

سابعًا: التعليم بالموقف

كان النبي ﷺ يستثمر المواقف اليومية في التربية.

فقد يرى خطأ فيصححه.

أو يسأل أحد الصحابة سؤالًا فيجيب.

أو تقع حادثة فيحولها إلى درس للأمة.

ثامنًا: التعليم بالحوار

كان الحوار من وسائل التربية النبوية.

وكان النبي ﷺ يسأل أصحابه أحيانًا.

Edit with WPS Office

وقد يبدأ بالسؤال حتى يجعلهم يفكرون قبل أن يسمعوا الجواب.

تاسعًا: استخدام السؤال

من أساليب التعليم النبوي أن يسأل المتعلم:

«أتدرون من المفلس؟»

ثم يبين لهم أن المفلس الحقيقي هو من يأتي يوم القيامة بأعمال كثيرة وقد ظلم الناس.

وهكذا يحول السؤال إلى وسيلة للتفكير والتربية.

Edit with WPS Office

عاشرًا: ضرب الأمثال

كان النبي ﷺ يستخدم الأمثال لتقريب المعاني.

فالمثال يجعل المعنى المجرد واضحًا في ذهن المتعلم.

الحادي عشر: القصة في التربية

استخدم القرآن والسنة القصص للعبرة.

والقصة من أقوى وسائل التربية؛ لأنها تجمع بين المتعة والمعنى.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: التكرار

كان النبي ﷺ يكرر بعض الكلمات المهمة حتى يفهمها الصحابة.

فالتكرار ليس ضعفًا في التعليم، بل وسيلة لترسيخ المعنى.

الثالث عشر: مراعاة الفروق الفردية

لم يكن النبي ﷺ يعامل جميع الناس بالطريقة نفسها.

فمنهم العالم.

ومنهم المبتدئ.

ومنهم القوي.

Edit with WPS Office

ومنهم الضعيف.

ومنهم من يحتاج إلى التشجيع.

ومنهم من يحتاج إلى التنبيه.

الرابع عشر: التربية بالرحمة

قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159].

فاللين والرحمة كانا من أسباب التفاف الناس حول النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: عدم التنفير

كان النبي ﷺ يحذر من التشدد الذي ينفر الناس.

وقال ﷺ:

«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

وهذا أصل عظيم في الدعوة والتربية.

السادس عشر: التيسير لا يعني ترك الدين

التيسير في المنهج النبوي لا يعني إلغاء الأحكام.

Edit with WPS Office

بل يعني عرض الحق بطريقة مناسبة، ورفع الحرج، ومراعاة الظروف التي اعتبرها الشرع.

السابع عشر: التشجيع

كان النبي ﷺ يشجع أصحابه.

وكان يثني على بعضهم بما يتميزون به.

فالتشجيع يساعد الإنسان على اكتشاف قدراته.

الثامن عشر: اكتشاف المواهب

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يعرف قدرات أصحابه.

فمنهم القائد.

ومنهم العالم.

ومنهم القارئ.

ومنهم الكاتب.

ومنهم الشاعر.

ومنهم المقاتل.

ومنهم صاحب الرأي.

Edit with WPS Office

فكان يوظف كل شخص فيما يناسب قدرته.

التاسع عشر: بناء الثقة

كان النبي ﷺ يعطي أصحابه المسؤوليات.

فيبعث هذا داعية.

ويرسل ذاك واليًا.

ويكلف آخر بمهمة.

وبذلك كان يبني فيهم الثقة وتحمل المسؤولية.

Edit with WPS Office

العشرون: تحمل المسؤولية

لم يكن النبي ﷺ يريد من أصحابه أن يكونوا مجرد أتباع.

بل أراد منهم أن يكونوا رجالًا يحملون الرسالة.

ولهذا ربّاهم على المسؤولية.

الحادي والعشرون: التربية على العمل

الإيمان في المنهج النبوي ليس مجرد مشاعر.

بل يتحول إلى عمل.

Edit with WPS Office

فالصلاة عمل.

والزكاة عمل.

والجهاد عمل.

والإحسان عمل.

والدعوة عمل.

الثاني والعشرون: التربية على الأخلاق

اهتم النبي ﷺ بالأخلاق اهتمامًا عظيمًا.

وقال:

Edit with WPS Office

«إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فالأخلاق ليست جانبًا ثانويًا من الدين.

الثالث والعشرون: الصدق

ربى النبي ﷺ أصحابه على الصدق.

فالصدق أساس الثقة.

والإنسان الكاذب يهدم علاقاته بنفسه.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: الأمانة

كانت الأمانة من أعظم الصفات التي دعا إليها النبي ﷺ.

وكان ﷺ أمينًا قبل البعثة، حتى لقبته قريش بالصادق الأمين.

الخامس والعشرون: الصبر

علم النبي ﷺ أصحابه الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، و الصبر على البلاء.

وكانت حياته نموذجًا حيًا للصبر.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: العفو

ربى النبي ﷺ أصحابه على العفو مع القدرة.

فالعفو لا يعني الضعف.

وإنما قد يكون دليلًا على قوة النفس.

السابع والعشرون: ضبط الغضب

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن القوة الحقيقية هي السيطرة على النفس.

قال ﷺ:

Edit with WPS Office

«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

الثامن والعشرون: التربية على الرحمة

كان النبي ﷺ يقول:

«الراحمون يرحمهم الرحمن».

فمن أراد رحمة الله، فليتعلم الرحمة بعباد الله.

التاسع والعشرون: التربية على التعاون

قال تعالى:

Edit with WPS Office

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 2].

وكان المجتمع النبوي قائمًا على التعاون والتكافل.

الثلاثون: الأخوة

آخى النبي ﷺ بين المسلمين.

وجعل الأخوة الإيمانية رابطة قوية تتجاوز المال والقبيلة والعرق.

الحادي والثلاثون: محاربة العصبية

Edit with WPS Office

جاء الإسلام ليحارب العصبية الجاهلية.

فلا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

الثاني والثلاثون: التربية على المساواة

كان النبي ﷺ يربي أصحابه على أن الناس متساوون في أصل الكرامة الإنسانية.

وأن التفاضل الحقيقي بالتقوى والعمل الصالح.

الثالث والثلاثون: التربية على الشورى

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يستشير أصحابه.

وبذلك علمهم أن الرأي قد يكون جماعيًا، وأن القائد الناجح لا يستغني عن أهل الخبرة.

الرابع والثلاثون: احترام العقل

لم يكن النبي ﷺ يخاطب أصحابه بطريقة تلغي عقولهم.

بل كان يسألهم ويحاورهم ويطلب منهم التفكير.

الخامس والثلاثون: معالجة الأخطاء

Edit with WPS Office

كان الصحابة يخطئون.

لكن النبي ﷺ لم يكن يحول الخطأ إلى تحطيم للإنسان.

بل كان يصحح الخطأ ويعلم صاحبه.

السادس والثلاثون: عدم التشهير

من جمال التربية النبوية أن الخطأ كان يعالج غالبًا بطريقة تحفظ كرامة المخطئ.

وكان النبي ﷺ يقول أحيانًا:

«ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا».

Edit with WPS Office

فيعالج الخطأ دون أن يحول الأمر إلى فضيحة شخصية.

السابع والثلاثون: التربية على المسؤولية الأخلاقية

كان النبي ﷺ يربي المسلم على أن الله يراه.

وهذا الشعور بالرقابة الإلهية يصنع ضميرًا حيًا.

الثامن والثلاثون: التربية على الإحسان

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].

Edit with WPS Office

فلم يكتف الإسلام بالعدل، بل دعا إلى الإحسان.

التاسع والثلاثون: التربية على طلب العلم

كان النبي ﷺ يحث على العلم.

وكان المسجد مركزًا للتعليم.

وتحول الصحابة إلى علماء ودعاة وقادة بسبب هذه التربية.

الأربعون: بناء الشخصية المتوازنة

Edit with WPS Office

لم يصنع النبي ﷺ شخصيات منعزلة.

بل صنع أشخاصًا يجمعون بين:

العبادة.

والعلم.

والعمل.

والأخلاق.

والشجاعة.

والرحمة.

والقيادة.

Edit with WPS Office

الحادي والأربعون: التربية على الإيجابية

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن يكونوا أصحاب مبادرة.

فلا ينتظرون دائمًا من الآخرين أن يقوموا بكل شيء.

الثاني والأربعون: تحويل الأفراد إلى أمة

بدأت الدعوة بعدد قليل.

ثم أصبح هؤلاء الأفراد أمة تحمل رسالة.

Edit with WPS Office

والسر في ذلك هو التربية العميقة.

الثالث والأربعون: بناء القادة

من تلاميذ مدرسة النبوة خرج:

أبو بكر.

وعمر.

وعثمان.

وعلي.

وأبو عبيدة.

Edit with WPS Office

وخالد.

ومعاذ.

وابن عباس.

وابن عمر.

وعائشة.

وغيرهم رضي الله عنهم.

فكانت مدرسة النبوة مصنعًا للقادة والعلماء والمربين.

Edit with WPS Office

الرابع والأربعون: التربية التي تغير المجتمع

لم يكتف النبي ﷺ بتغيير أفراد معدودين.

بل استطاع أن يبني مجتمعًا جديدًا قائمًا على العقيدة والأخلاق و العدل والتكافل.

وهذا أعظم دليل على نجاح منهجه التربوي.

الخامس والأربعون: كيف نقتدي بالمنهج النبوي اليوم؟

إذا أردنا أن نستفيد من منهج رسول الله ﷺ في التربية فعلينا أن:

نبدأ بالعقيدة.

Edit with WPS Office

ونربي بالقدوة.

ونستخدم الرحمة.

ونراعي الفروق الفردية.

ونشجع بدل أن نحطم.

ونصحح الأخطاء بحكمة.

ونربي على المسؤولية.

ونجمع بين العلم والعمل.

ونغرس الأخلاق.

ونبني الشخصية المتوازنة.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ أعظم مربٍّ عرفته البشرية.

لم يبنِ أمة بالسيف وحده، ولا بالقوانين وحدها، وإنما بناها ببناء الإ نسان.

بدأ بالعقيدة، ثم ربى القلوب، وعلم العقول، وهذب الأخلاق، ودرب أصحابه على تحمل المسؤولية.

فحول أناسًا كانوا يعيشون في بيئة مليئة بالعصبية والتنازع إلى رجال حملوا رسالة الإسلام إلى الآفاق.

لقد كان ﷺ يعلم أن تغيير المجتمع يبدأ من الإنسان.

Edit with WPS Office

وأن الإنسان لا يتغير بالقوة وحدها، وإنما يحتاج إلى الإيمان والعلم والقدوة والرحمة والصبر.

ومن هنا فإن أعظم ما نتعلمه من المنهج النبوي أن التربية ليست مجرد نقل المعلومات، وإنما هي صناعة الإنسان.

والبيت الذي يربي أبناءه على منهج النبي ﷺ، والمدرسة التي تجعل القدوة والأخلاق أساسًا للتعليم، والمجتمع الذي يجمع بين العلم و الرحمة والمسؤولية؛ إنما يسير في طريق الإصلاح الذي بدأه خير المربين ﷺ.

إنه رسول الله ﷺ، المعلم والمربي، الذي بنى بالقلوب أمة، وبالأخلاق حضارة، وبالإيمان إنسانًا جديدًا.

Edit with WPS Office

الفصل التاسع والثلاثون

رسول الله ﷺ في بيته ومع أهله

خيركم خيركم لأهله

تمهيد

كان رسول الله ﷺ أعظم الناس في أخلاقه، ولم تكن عظمته في تعامله مع أصحابه وأتباعه فقط، بل ظهرت عظمته بصورة أوضح في بيته.

فالإنسان قد يستطيع أن يتجمل أمام الناس، ولكن حقيقة أخلاقه تظهر في بيته، مع زوجته وأولاده وأهل داره.

وقد كان النبي ﷺ في بيته زوجًا رحيمًا، وأبًا حانيًا، وصاحبًا كريمًا، يعيش حياة بسيطة، ويشارك أهله في شؤونهم، ويعاملهم بالمودة و الرحمة.

Edit with WPS Office

قال الله تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19].

وكان ﷺ يقول:

«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

أولًا: النبي ﷺ زوجًا

كان ﷺ زوجًا رحيمًا، يعرف مشاعر زوجاته، ويراعي أحوالهن، ويستمع إليهن، ويلاطفهن.

ولم تكن مكانته كنبي وقائد تمنعه من أن يكون قريبًا من أهله.

Edit with WPS Office

ثانيًا: المودة في البيت النبوي

كان البيت النبوي قائمًا على المودة والرحمة.

قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

وهذه المودة لم تكن مجرد كلمات، بل ظهرت في التصرفات اليومية.

ثالثًا: كان يساعد أهله

Edit with WPS Office

سألت عائشة رضي الله عنها عن حال النبي ﷺ في بيته، فذكرت أنه كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

وهذا درس عظيم في التواضع والمشاركة في شؤون البيت.

فمع عظم مسؤولياته، لم يكن يرى خدمة أهله أمرًا يقلل من مكانته.

رابعًا: التواضع في البيت

كان ﷺ يعيش حياة بسيطة.

لم يكن بيت النبوة قصرًا مليئًا بالخدم والأثاث الفاخر.

بل كانت حياته متواضعة، ومع ذلك كان قلبه ممتلئًا بالرضا.

Edit with WPS Office

خامسًا: كان يراعي مشاعر زوجاته

كان النبي ﷺ يعرف طبيعة المشاعر الإنسانية.

وكان يتعامل مع زوجاته بالحكمة والرحمة.

ولم يكن يطالبهن بأن يكنّ ملائكة لا يخطئن أو لا يغضبن.

بل كان يتعامل مع الطبيعة البشرية بحكمة.

سادسًا: الغيرة بين الزوجات

Edit with WPS Office

كانت الغيرة أمرًا طبيعيًا بين النساء.

وكان النبي ﷺ يتعامل معها بالحكمة.

فلم يكن يحول المواقف العائلية البسيطة إلى أزمات كبيرة.

سابعًا: حسن الكلام

كان ﷺ حسن الكلام مع أهله.

وكان يختار الكلمات المناسبة.

وهذا يعلمنا أن الكلمة الطيبة داخل البيت قد تكون أعظم أثرًا من الهدايا المادية.

Edit with WPS Office

ثامنًا: الملاطفة

كان النبي ﷺ يلاطف أهله.

وكانت في حياته لحظات من المزاح البريء والابتسامة.

فلم يكن البيت النبوي خاليًا من الفرح.

تاسعًا: المسابقة مع عائشة رضي الله عنها

من صور ملاطفته ﷺ لعائشة رضي الله عنها أنه سابقها.

فسبقته مرة، ثم سابقها بعد ذلك فسبقها.

Edit with WPS Office

وقال لها في ملاطفة:

«هذه بتلك».

وهذا نموذج جميل للمودة بين الزوجين.

عاشرًا: الرحمة عند المرض

كان النبي ﷺ يهتم بزوجاته عند مرضهن.

وكان يسأل عنهن ويعتني بهن.

فالرحمة تظهر خصوصًا عندما يضعف الإنسان ويحتاج إلى من يقف بجانبه.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: الوفاء لخديجة رضي الله عنها

من أعظم صور الوفاء في حياته ﷺ وفاؤه لخديجة رضي الله عنها.

فحتى بعد وفاتها ظل يذكر فضلها.

وكان يكرم صديقاتها.

الثاني عشر: مكانة خديجة رضي الله عنها

كانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن بالنبي ﷺ من النساء، ووقفت بجانبه في بداية الدعوة.

Edit with WPS Office

وقد حفظ النبي ﷺ لها هذا الفضل.

الثالث عشر: الوفاء خلق نبوي

كان النبي ﷺ لا ينسى من أحسن إليه.

وهذا درس عظيم في الوفاء.

فبعض الناس ينسون المعروف بمجرد انتهاء الحاجة، أما النبي ﷺ فكان وفيًا لأصحابه وأهله.

الرابع عشر: النبي ﷺ أبًا

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ أبًا رحيمًا.

وكان يحب أبناءه وأحفاده.

وكانت عاطفته تجاههم واضحة.

الخامس عشر: حبه لفاطمة رضي الله عنها

كانت فاطمة رضي الله عنها ذات مكانة عظيمة في قلب النبي ﷺ.

وكان إذا دخلت عليه قام إليها وأكرمها.

وهذا من أجمل صور الاحترام بين الأب وابنته.

Edit with WPS Office

السادس عشر: محبته للحسن والحسين

كان النبي ﷺ يحب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكان يحملهما ويقبلهما.

وكان يقول:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

فمحبة الأطفال والعطف عليهم جزء من الهدي النبوي.

السابع عشر: الرحمة بالأطفال

Edit with WPS Office

كان ﷺ إذا رأى طفلًا أظهر له الرحمة.

وكان يحمل الصغار ويقبلهم.

وكان يراعي مشاعرهم.

الثامن عشر: تقبيل الأطفال

قبّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنه.

فقال رجل عنده: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا.

فقال النبي ﷺ:

Edit with WPS Office

«من لا يَرحم لا يُرحم».

وهذا يبين أهمية التعبير عن المحبة.

التاسع عشر: بكاؤه على ابنه إبراهيم

عندما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ، بكى.

وقال:

«إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا».

وهذا من أجمل نماذج التوازن بين الحزن والصبر.

Edit with WPS Office

العشرون: الحزن لا ينافي الإيمان

كان النبي ﷺ يحزن ويبكي.

وهذا يبين أن الإيمان لا يعني انعدام المشاعر.

فالإنسان قد يحزن على فقد الأحبة، لكن المؤمن يضبط حزنه ولا يعترض على قضاء الله.

الحادي والعشرون: العدل بين الأبناء

من مبادئ الإسلام العدل بين الأبناء.

وكان النبي ﷺ يربي الأمة على العدل وعدم التمييز الظالم بينهم.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: التربية بالرحمة

لم تكن تربية النبي ﷺ قائمة على الصراخ والعنف.

بل كان يستخدم الرحمة والتعليم والقدوة.

الثالث والعشرون: تصحيح الأخطاء

إذا أخطأ أحد أهل البيت، كان النبي ﷺ يصحح الخطأ بالحكمة.

وكان يفرق بين الخطأ وصاحب الخطأ.

Edit with WPS Office

فيعالج الخطأ دون تحطيم الإنسان.

الرابع والعشرون: البيت مدرسة

كان بيت النبي ﷺ مدرسة عظيمة.

فقد نقلت زوجاته رضي الله عنهن كثيرًا من تفاصيل حياته الخاصة، ووصلت إلينا سنته في الطعام والشراب والنوم والعبادة والمعاملة.

الخامس والعشرون: عائشة رضي الله عنها ودورها العلمي

كانت عائشة رضي الله عنها من أعلم الصحابة.

Edit with WPS Office

وكان لها دور كبير في نقل السنة النبوية.

وهذا يبين أن المرأة في المجتمع الإسلامي يمكن أن تكون عالمة ومربية وراوية للعلم.

السادس والعشرون: احترام المرأة

كان النبي ﷺ يحترم المرأة ويكرمها.

وكان يوصي بها خيرًا.

وقال ﷺ:

«استوصوا بالنساء خيرًا».

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: حسن معاشرة الزوجة

كان النبي ﷺ يعلم الرجال حسن معاشرة زوجاتهم.

فالزواج في الإسلام ليس علاقة قائمة على السيطرة، وإنما على السكن والمودة والرحمة.

الثامن والعشرون: لا ظلم في البيت

كان ﷺ بعيدًا عن الظلم والقسوة.

وكان يحث على حسن المعاملة.

Edit with WPS Office

والبيت المسلم ينبغي أن يكون مكان أمان لا مكان خوف.

التاسع والعشرون: احترام الخصوصية

كان للبيت النبوي خصوصيته.

وكانت هناك أمور لا تُنقل للناس إلا بقدر ما فيه تعليم للأمة.

وهذا يعلمنا احترام أسرار البيوت.

الثلاثون: البساطة في الحياة الزوجية

لم تكن السعادة الزوجية في بيت النبي ﷺ مرتبطة بكثرة المال.

Edit with WPS Office

فقد مرت عليه أوقات شديدة من الناحية المادية.

ومع ذلك كان بيت النبوة غنيًا بالإيمان والمودة.

الحادي والثلاثون: القناعة

كان النبي ﷺ قانعًا بما رزقه الله.

وكان يعلم أهله الرضا وعدم التعلق بالدنيا.

الثاني والثلاثون: الصبر على ضيق المعيشة

Edit with WPS Office

عرف البيت النبوي أوقاتًا من قلة الطعام.

ومع ذلك لم يكن النبي ﷺ يشتكي إلى الناس.

بل كان يعيش صابرًا محتسبًا.

الثالث والثلاثون: مشاركة الأسرة في العبادة

كان البيت النبوي بيت عبادة.

فيه الصلاة.

والذكر.

والقرآن.

Edit with WPS Office

والدعاء.

وكانت زوجاته يشاهدن عبادته ويتعلمن منه.

الرابع والثلاثون: قيام الليل

كان النبي ﷺ يقوم الليل.

وكان أحيانًا يوقظ أهله للصلاة.

فالأسرة المسلمة ينبغي أن تتعاون على الطاعة.

Edit with WPS Office

الخامس والثلاثون: تعليم الأسرة

لم يكن النبي ﷺ يترك أهله دون تعليم.

بل كان يعلمهم أحكام الدين ويجيب عن أسئلتهم.

السادس والثلاثون: الاستماع إلى الزوجة

كان ﷺ يستمع إلى زوجاته.

وهذا من أهم أسباب نجاح العلاقة الزوجية.

فالاستماع ليس ضعفًا، بل احترام.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: احترام مشاعر المرأة

كان النبي ﷺ يفهم طبيعة المرأة ومشاعرها.

وكان يتعامل معها بالرحمة والرفق.

وهذا من عظيم حكمته ﷺ.

الثامن والثلاثون: علاج الخلافات

الخلاف الزوجي قد يحدث في أي بيت.

لكن المهم هو طريقة التعامل معه.

Edit with WPS Office

والهدي النبوي يعلمنا أن الحكمة والهدوء والرحمة أفضل من التصعيد.

التاسع والثلاثون: الاعتدال في الغيرة

كان النبي ﷺ يتعامل مع الغيرة باعتبارها شعورًا إنسانيًا، مع الحفاظ على الحدود الشرعية وعدم الظلم.

وهذا توازن دقيق في العلاقات الأسرية.

الأربعون: البيت مكان للسكن

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

{لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا}.

فالبيت في التصور الإسلامي ليس مجرد مكان للنوم.

بل هو مكان للسكن النفسي والرحمة والأمان.

الحادي والأربعون: الزوجة شريكة في الحياة

لم يكن النبي ﷺ يعامل زوجاته كخادمات.

بل كان بينه وبينهن حياة مشتركة ومسؤوليات ومشاعر.

وكان يشاركهن الحديث والعيش اليومي.

Edit with WPS Office

الثاني والأربعون: خدمة الأسرة عبادة

مساعدة الرجل لأهله ليست عيبًا.

بل قد تكون من أبواب الأجر إذا نوى بها الخير.

وقد كان النبي ﷺ قدوة في ذلك.

الثالث والأربعون: الأبوة ليست أوامر فقط

الأب الناجح ليس من يكثر الأوامر فقط.

بل من يعطي الحب والوقت والاهتمام.

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ نموذجًا في الرحمة بالأطفال.

الرابع والأربعون: ماذا نتعلم من البيت النبوي؟

نتعلم أن البيت الناجح يقوم على:

المودة.

والرحمة.

والاحترام.

والحوار.

Edit with WPS Office

والصبر.

والتسامح.

والتعاون.

والعبادة.

والوفاء.

الخامس والأربعون: الاقتداء بالنبي ﷺ داخل الأسرة

إذا أردنا الاقتداء بالنبي ﷺ، فلنبدأ من بيوتنا.

فلنحسن الكلام مع الزوجة.

Edit with WPS Office

ولنرحم أبناءنا.

ولنحترم كبار السن.

ولنساعد أهل البيت.

ولنغرس الإيمان في أبنائنا.

ولنجعل البيت مكانًا للأمان والسكينة.

خاتمة الفصل

تكشف حياة رسول الله ﷺ داخل بيته جانبًا عظيمًا من شخصيته.

Edit with WPS Office

فلم يكن ﷺ نبيًا في المسجد فقط، ولا قائدًا في المعركة فقط، ولا معلمًا في مجلس العلم فقط، وإنما كان أيضًا زوجًا وأبًا يعيش مع أسرته تفاصيل الحياة اليومية.

وكان في كل ذلك مثالًا للرحمة والتواضع والوفاء.

لقد علمنا ﷺ أن عظمة الإنسان لا تظهر فقط أمام الناس، وإنما تظهر بصورة أكبر داخل بيته.

فخير الناس ليس من يمدحه الناس خارج البيت ثم يقسو على أهله داخله، وإنما خير الناس من كان خيرًا لأهله.

وكان رسول الله ﷺ خير الناس لأهله.

ومن هنا ينبغي لكل مسلم أن يسأل نفسه:

هل بيتي يشعر فيه أهلي بالأمان؟

Edit with WPS Office

هل يسمعون مني الكلمة الطيبة؟

هل أرحم أبناءي؟

هل أستمع إلى زوجتي؟

هل أساعد أهل بيتي؟

هل أجعل البيت مكانًا للعبادة والمودة والرحمة؟

فإذا أردنا أن نقتدي برسول الله ﷺ حقًا، فلنبدأ من أقرب الناس إلينا.

إنه رسول الله ﷺ؛ خير زوج، وخير أب، وخير صاحب، وخير قدوة في بناء الأسرة المسلمة.

Edit with WPS Office

الفصل الأربعون

رحمة رسول الله ﷺ وعفوه عن الناس

الرحمة التي وسعت القريب والبعيد

تمهيد

كانت الرحمة من أعظم الصفات التي اتصف بها رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

ولم تكن رحمته ﷺ مقصورة على أصحابه أو أهل بيته، وإنما شملت المؤمن والمخالف، والقريب والبعيد، والصغير والكبير، بل امتدت إلى الحيوان والبيئة من حوله.

Edit with WPS Office

وكان العفو عنده ﷺ قوة أخلاقية عظيمة، يظهر خصوصًا عندما يكون قادرًا على العقوبة.

أولًا: الرحمة أصل من أصول الرسالة

أرسل الله تعالى نبيه ﷺ رحمة للعالمين.

فكانت الرحمة حاضرة في دعوته، وتشريعاته، وتعليمه، ومعاملاته.

وكان يريد الخير للناس، ويحرص على هدايتهم.

ثانيًا: رحمته بأمته

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ شديد الحرص على أمته.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128].

فكان يؤلمه ما يؤذي أمته، ويحب لهم الخير والنجاة.

ثالثًا: التخفيف عن الناس

كان النبي ﷺ يراعي أحوال الناس.

فإذا صلى وسمع بكاء الصبي خفف الصلاة رحمة بأمه.

Edit with WPS Office

وهذا يدل على دقة ملاحظته لمشاعر الناس.

رابعًا: عدم التشدد

كان ﷺ ينهى عن الغلو والتشدد الذي يوقع الناس في الحرج.

وقال:

«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

فالرحمة لا تعني ترك الدين، وإنما تعني تطبيقه بالحكمة والرفق.

Edit with WPS Office

خامسًا: رحمته بالصغار

كان ﷺ يحمل الأطفال ويقبلهم.

وكان يلاطفهم.

ويظهر لهم المحبة.

وكان يقول:

«من لا يَرحم لا يُرحم».

سادسًا: رحمته بكبار السن

كان ﷺ يحترم كبار السن.

Edit with WPS Office

وكان يحث على توقير الكبير.

فالإنسان حين يكبر يحتاج إلى مزيد من التقدير والرعاية.

سابعًا: رحمته بالضعفاء

اهتم النبي ﷺ بالفقراء والمساكين واليتامى والأرامل.

وكان يحث على رعايتهم ومساعدتهم.

ثامنًا: رحمته بالمرضى

Edit with WPS Office

كان ﷺ يعود المرضى ويدعو لهم.

وكان يعلم أصحابه فضل زيارة المريض.

تاسعًا: رحمته بالخدم

كان ﷺ يحسن معاملة من يعملون في خدمته.

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه من أقرب الناس إليه في خدمته، وقد شهد بحسن معاملته.

عاشرًا: رحمته بالحيوان

Edit with WPS Office

لم تكن رحمة النبي ﷺ مقصورة على الإنسان.

بل نهى عن تعذيب الحيوان، وحث على الإحسان إليه.

وهذا يدل على أن الرحمة في الإسلام خلق شامل.

الحادي عشر: العفو عند المقدرة

من أعظم صور الرحمة أن يعفو الإنسان وهو قادر على الانتقام.

وقد كان النبي ﷺ قادرًا على العقوبة في مواقف كثيرة، لكنه اختار العفو عندما كان العفو أصلح.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: العفو عن أهل مكة

عندما فتح النبي ﷺ مكة، دخلها منتصرًا.

وكان أهل مكة قد آذوه وأخرجوه وحاربوه.

وكان بإمكانه أن ينتقم.

لكنه ﷺ اختار العفو عن كثير منهم.

وكان ذلك من أعظم مشاهد الرحمة في السيرة.

الثالث عشر: يوم فتح مكة

كان فتح مكة لحظة تاريخية.

Edit with WPS Office

فقد عاد النبي ﷺ إلى المكان الذي أُخرج منه.

عاد قويًا منتصرًا.

لكن النصر لم يحوله إلى إنسان منتقم.

بل ظهر فيه خلق العفو.

الرابع عشر: العفو أقوى من الانتقام

قد يستطيع الإنسان أن ينتقم، لكن العفو يحتاج أحيانًا إلى قوة أكبر.

لأن الانتقام قد يكون سهلًا عندما تسيطر مشاعر الغضب.

Edit with WPS Office

أما العفو فيحتاج إلى عقل وحكمة وضبط للنفس.

الخامس عشر: قصة ثمامة بن أثال

أسر المسلمون ثمامة بن أثال، وكان من سادات قومه.

فأمر النبي ﷺ بحسن معاملته.

ثم أطلقه.

وكان لذلك أثر عظيم في نفسه، فأسلم.

وهذه صورة من صور أثر الرحمة في القلوب.

Edit with WPS Office

السادس عشر: رحمة النبي ﷺ بأعدائه

كان النبي ﷺ يتمنى الهداية حتى لمن آذاه.

لم يكن هدفه الانتقام الشخصي.

بل كان هدفه هداية الناس وإخراجهم من الشرك والظلم.

السابع عشر: موقفه من أهل الطائف

من أشد مواقف السيرة ألمًا ما حدث للنبي ﷺ في الطائف.

فقد تعرض للأذى والرمي بالحجارة.

Edit with WPS Office

ومع ذلك، عندما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، لم يختر الانتقام.

بل كان يرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده.

الثامن عشر: الرحمة في الطائف

كان موقف الطائف نموذجًا خالدًا في الرحمة.

فالنبي ﷺ لم ينظر إلى اللحظة فقط، وإنما نظر إلى المستقبل.

ورأى أن الذين يؤذونه اليوم قد يأتي من ذريتهم من يؤمن بالله.

Edit with WPS Office

التاسع عشر: عدم التشفي

لم يكن النبي ﷺ يتشفى في أعدائه.

حتى عندما انتصر عليهم، لم يكن انتصاره قائمًا على إذلالهم وإشباع الرغبة في الانتقام.

العشرون: الرحمة لا تعني الضعف

قد يظن بعض الناس أن الرحمة تعني الضعف.

لكن حياة النبي ﷺ تثبت عكس ذلك.

فقد كان ﷺ أشجع الناس، ومع ذلك كان أرحمهم.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: الرحمة مع الحزم

كان النبي ﷺ رحيمًا، لكنه كان حازمًا عندما يتعلق الأمر بالحقوق و العدل.

وهذا هو التوازن الصحيح.

فالرحمة لا تعني تعطيل العدل.

الثاني والعشرون: العفو والعدل

ليس كل عفو صحيحًا في كل موقف.

Edit with WPS Office

فقد يكون العفو خيرًا في موقف، وقد يكون تطبيق العدل هو الأ صلح في موقف آخر.

وكان النبي ﷺ يوازن بين الأمرين.

الثالث والعشرون: العفو عن الأخطاء الشخصية

كان ﷺ يتجاوز عن كثير من الأخطاء التي تقع في حقه شخصيًا.

أما حقوق الناس فلا تُهمل.

وهذا يبين الفرق بين العفو عن الإساءة الشخصية وحفظ حقوق المجتمع.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: حلمه ﷺ

كان النبي ﷺ حليمًا.

فلا يغضب لنفسه بسهولة.

وكان يضبط انفعاله.

الخامس والعشرون: عدم مقابلة الإساءة بمثلها

كان ﷺ لا يجعل الإساءة الشخصية سببًا في إساءة مقابلة.

وكان يدعو إلى مكارم الأخلاق.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: الدعاء بالهداية

من أعظم صور الرحمة أن يدعو الإنسان لمن أساء إليه بالهداية.

وقد ظهر هذا المعنى في مواقف عديدة من السيرة.

السابع والعشرون: الرحمة في الدعوة

لم تكن دعوة النبي ﷺ قائمة على الإكراه.

قال تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

Edit with WPS Office

وكان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125].

الثامن والعشرون: الرفق بالجاهل

كان بعض الناس يخطئون بسبب الجهل.

وكان النبي ﷺ يعلمهم بدل أن يهينهم.

ومن أشهر الأمثلة قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فتعامل معه النبي ﷺ بالحكمة والتعليم.

Edit with WPS Office

التاسع والعشرون: معالجة الجهل بالحكمة

بدل أن يتحول الخطأ إلى مناسبة للإهانة، كان النبي ﷺ يحوله إلى درس.

وهذا منهج تربوي عظيم.

الثلاثون: الرحمة بالمخطئ

الإنسان قد يخطئ.

والعلاج الصحيح هو تصحيح الخطأ، لا تحطيم الإنسان.

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ يراعي هذا المعنى.

الحادي والثلاثون: الرحمة في القضاء

كان ﷺ يحكم بالعدل.

وكان لا يظلم أحدًا.

وكان يطلب من المتخاصمين أن يوضحوا حججهم.

الثاني والثلاثون: الرحمة في الحكم

Edit with WPS Office

الرحمة لا تعني تعطيل الحقوق.

بل تعني تطبيق الحق دون ظلم أو تشفٍّ.

الثالث والثلاثون: رحمته بالأسرى

أوصى النبي ﷺ بالأسرى خيرًا.

وقد ظهر ذلك في معاملة أسرى بدر.

فلم يكن الأسير يتحول بمجرد أسره إلى إنسان بلا كرامة.

الرابع والثلاثون: حفظ كرامة الإنسان

Edit with WPS Office

حتى في حالات الخصومة، ظل الإنسان محتفظًا بكرامته الإنسانية.

وهذا من عظمة التشريع الإسلامي.

الخامس والثلاثون: الرحمة في الحرب

كان للقتال في الإسلام ضوابط.

فلا قتل للنساء والصبيان وغير المقاتلين.

ولا غدر.

ولا تمثيل.

Edit with WPS Office

ولا اعتداء.

السادس والثلاثون: الرحمة بالبيئة

نهى النبي ﷺ عن الإفساد والإضرار.

وكان يحث على غرس الأشجار والإحسان إلى الأرض.

فالرحمة تشمل البيئة التي يعيش فيها الإنسان.

السابع والثلاثون: الرحمة بين المسلمين

قال النبي ﷺ:

Edit with WPS Office

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد».

فالمجتمع المسلم ينبغي أن يشعر بعضه ببعض.

الثامن والثلاثون: الرحمة بين الجيران

أوصى النبي ﷺ بالجار.

فالجار له حق، حتى لو لم يكن قريبًا.

التاسع والثلاثون: الرحمة مع المخالف

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يحاور المخالفين بالحكمة.

وكان يبين الحق دون أن يجعل الاختلاف سببًا لإلغاء الإنسانية.

الأربعون: الرحمة في الكلمة

الكلمة الطيبة قد تغير حياة إنسان.

والكلمة القاسية قد تجرح قلبًا سنوات طويلة.

وكان النبي ﷺ حسن الكلام، طيب اللسان.

الحادي والأربعون: الرحمة في الابتسامة

Edit with WPS Office

كان ﷺ كثير التبسم.

وكانت ابتسامته وسيلة للتقريب وإدخال السرور.

الثاني والأربعون: الرحمة في التعليم

كان ﷺ يعلم الناس بطريقة تراعي قدراتهم.

فلا يكثر عليهم بما ينفرهم، ولا يتركهم بلا توجيه.

الثالث والأربعون: الرحمة في الأسرة

Edit with WPS Office

كان ﷺ رحيمًا بأهل بيته.

وكان يعلم أن الأسرة هي أول مكان ينبغي أن تظهر فيه الرحمة.

الرابع والأربعون: الرحمة منهج حياة

ليست الرحمة موقفًا عابرًا.

بل هي منهج.

أن ترحم الفقير.

وتساعد المريض.

وتكرم اليتيم.

Edit with WPS Office

وتحترم الكبير.

وتعطف على الصغير.

وتعفو عند المقدرة.

وتحسن إلى الحيوان.

وتحفظ كرامة الإنسان.

الخامس والأربعون: كيف نعيش الرحمة النبوية؟

يمكننا أن نجعل الرحمة جزءًا من حياتنا اليومية:

Edit with WPS Office

أن نبدأ بالكلمة الطيبة.

وأن نساعد المحتاج.

وأن نعفو عمن أساء إلينا عندما يكون العفو خيرًا.

وأن نربي أبناءنا بالرحمة.

وأن نرفق بالضعفاء.

وأن نحفظ حقوق الناس.

وأن لا نستغل ضعف أحد.

وأن نجعل قوتنا في خدمة الحق لا في ظلم الآخرين.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ رحمة تمشي بين الناس.

أوذي فعفا.

وظُلِم فصبر.

وأُخرج من وطنه فلم يحمل في قلبه حقدًا أعمى.

وعندما عاد منتصرًا لم يجعل النصر بابًا للانتقام.

وفي الطائف، بعد أن سال الدم من قدميه، ظل قلبه متعلقًا بهداية الناس.

وفي بيته كان رحيمًا.

Edit with WPS Office

ومع أصحابه كان رحيمًا.

ومع الأطفال كان رحيمًا.

ومع الضعفاء كان رحيمًا.

ومع المخالفين كان يدعو إلى الحكمة.

ومع الحيوان كان يأمر بالرفق.

لقد كان ﷺ نموذجًا حيًا لقوله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

ومن أراد أن يعرف حقيقة الاقتداء برسول الله ﷺ، فليجعل الرحمة في قلبه، والرفق في لسانه، والعفو في أخلاقه، والعدل في معاملاته.

Edit with WPS Office

فليست محبة النبي ﷺ كلمات تقال، وإنما هي أخلاق تُعاش.

إنه رسول الله ﷺ؛ رحمة للعالمين، وقدوة في العفو والحلم والرفق والإحسان.

Edit with WPS Office

الفصل الحادي والأربعون

رسول الله ﷺ مع أصحابه

مدرسة في المحبة والأخوة والقيادة

تمهيد

كان أصحاب رسول الله ﷺ أكثر الناس حبًا له، وأشدهم تعلقًا به، وأعظمهم حرصًا على اتباعه.

ولم يكن هذا الحب قائمًا على الخوف أو المصلحة، وإنما نشأ من المعاملة النبوية الكريمة التي جمعت بين الرحمة والتواضع والعدل و الوفاء.

كان ﷺ قريبًا من أصحابه، يعرف أحوالهم، ويسأل عن غائبهم، ويعود مريضهم، ويواسي مصابهم، ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم.

Edit with WPS Office

وبنى بينهم رابطة إيمانية جعلتهم كالجسد الواحد.

قال تعالى:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

أولًا: كان ﷺ قريبًا من أصحابه

لم يكن النبي ﷺ قائدًا بعيدًا عن الناس.

كان يجلس بينهم، ويحدثهم، ويستمع إليهم، ويشاركهم حياتهم.

وكان من يدخل عليه لا يشعر أنه أمام شخص متكبر أو متعاظم.

Edit with WPS Office

ثانيًا: التواضع

كان ﷺ متواضعًا في مجلسه.

لا يحب أن يتميز على أصحابه بصورة متكلفة.

وكان يكره المظاهر التي تصنع حاجزًا بين القائد ومن يقودهم.

ثالثًا: معرفته بأصحابه

كان النبي ﷺ يعرف أصحابه ويعرف طبائعهم وقدراتهم.

Edit with WPS Office

وكان يعرف من يصلح لكل مهمة.

وهذا من أعظم صفات القائد الناجح.

رابعًا: مناداة الصحابة بأحب الأسماء

كان ﷺ ينادي أصحابه بأسمائهم وكنياتهم.

وكان يحسن اختيار الكلمات التي تدخل السرور إلى قلوبهم.

خامسًا: احترام شخصياتهم

لم يكن يريد أن يلغي شخصية أصحابه.

Edit with WPS Office

بل كان ينمي شخصياتهم ويعطيهم الفرصة للتفكير والمبادرة.

سادسًا: الشورى

كان ﷺ يستشير أصحابه.

وفي بدر وأحد والخندق وغيرها ظهرت قيمة الشورى في حياته.

فمع كونه نبيًا مؤيدًا بالوحي، كان يعلم الأمة احترام الرأي والمشورة.

سابعًا: الاستماع إلى الصحابة

Edit with WPS Office

كان ﷺ يستمع إلى أسئلتهم ومشكلاتهم.

وكان يعطي كل واحد منهم من الاهتمام ما يشعره بقيمته.

ثامنًا: مراعاة الفروق الفردية

كان يعرف أن أصحابه ليسوا على درجة واحدة من العلم والقدرة.

فكان يخاطب كل إنسان بما يناسبه.

تاسعًا: التشجيع

كان ﷺ يشجع أصحابه على الخير.

Edit with WPS Office

وكان يذكر فضائلهم ومميزاتهم.

وهذا التشجيع صنع أجيالًا عظيمة.

عاشرًا: الثقة في أصحابه

كان يعطيهم المسؤوليات.

فبعث معاذًا إلى اليمن.

وأرسل مصعب بن عمير إلى المدينة داعيًا ومعلمًا.

واستعمل عددًا من الصحابة في مهام مختلفة.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: بناء القادة

لم يكن النبي ﷺ يريد أتباعًا بلا شخصية.

بل كان يبني رجالًا قادرين على تحمل المسؤولية بعده.

الثاني عشر: أبو بكر رضي الله عنه

كان أبو بكر من أقرب أصحاب النبي ﷺ إليه.

رافقه في الهجرة.

وكان أول الخلفاء بعد وفاته.

Edit with WPS Office

وكانت علاقته بالنبي ﷺ نموذجًا في المحبة والوفاء.

الثالث عشر: عمر رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه قوي الشخصية.

وقد استفاد النبي ﷺ من قوته وشجاعته وحزمه.

وكان وجود شخصيات متنوعة حول النبي ﷺ من أسباب قوة المجتمع المسلم.

الرابع عشر: عثمان رضي الله عنه

Edit with WPS Office

كان عثمان رضي الله عنه معروفًا بالحياء والكرم.

وكان النبي ﷺ يقدره ويحترمه.

وكانت له مكانة عظيمة بين الصحابة.

الخامس عشر: علي رضي الله عنه

كان علي رضي الله عنه من أهل بيت النبي ﷺ ومن كبار أصحابه.

وكان شجاعًا عالمًا، وله مواقف عظيمة في نصرة الإسلام.

Edit with WPS Office

السادس عشر: بلال رضي الله عنه

كان بلال رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام.

وكان النبي ﷺ يكرمه ويقدره.

وأصبح بلال رمزًا عظيمًا للمؤمن الذي يتجاوز الإسلام به الحواجز الطبقية والعرقية.

السابع عشر: سلمان الفارسي رضي الله عنه

كان سلمان رضي الله عنه من الباحثين عن الحق.

وقد أكرمه النبي ﷺ وأصبح من كبار الصحابة.

Edit with WPS Office

وفي غزوة الخندق ظهر أثر رأيه في حفر الخندق.

الثامن عشر: أبو ذر رضي الله عنه

كان أبو ذر رضي الله عنه معروفًا بالصدق والزهد.

وكان النبي ﷺ يوجهه ويرشده.

وهذا يوضح أن التربية النبوية كانت تراعي طبيعة كل شخصية.

التاسع عشر: معاذ بن جبل رضي الله عنه

كان معاذ من العلماء.

Edit with WPS Office

وأرسله النبي ﷺ إلى اليمن ليعلم الناس ويدعوهم.

وهذا دليل على ثقة النبي ﷺ بعلمه وقدرته.

العشرون: مصعب بن عمير رضي الله عنه

كان مصعب شابًا منعمًا في مكة.

ثم ترك حياة الترف من أجل الإسلام.

وأرسله النبي ﷺ إلى المدينة داعيًا ومعلمًا.

وكان له أثر كبير في دخول أهل المدينة في الإسلام.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: أنس بن مالك رضي الله عنه

خدم أنس النبي ﷺ سنوات طويلة.

وكان من أكثر الصحابة نقلًا لتفاصيل حياته.

وقد شهد له بحسن معاملته.

الثاني والعشرون: عائشة رضي الله عنها

كانت عائشة رضي الله عنها من أعلم الصحابة.

ونقلت للأمة كثيرًا من سنة النبي ﷺ، وخاصة ما يتعلق بحياته

Edit with WPS Office

الخاصة وعبادته وأخلاقه.

الثالث والعشرون: حب النبي ﷺ لأصحابه

كان ﷺ يحب أصحابه.

وكان الحب متبادلًا.

ولهذا قال الله تعالى:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: 54].

الرابع والعشرون: الدعاء للأصحاب

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يدعو لأصحابه.

وكان يفرح بخيرهم.

ويتألم لما يصيبهم.

الخامس والعشرون: السؤال عن الغائب

كان يهتم بمن يغيب عن مجلسه.

فإذا افتقد أحدًا سأل عنه.

وهذا يعلمنا أهمية الاهتمام بالآخرين.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: زيارة المرضى

كان ﷺ يعود المرضى من أصحابه.

وكان يدعو لهم.

وكانت الزيارة سببًا في تقوية روابط الأخوة.

السابع والعشرون: مشاركة الأحزان

إذا أصيب أحد أصحابه بمصيبة، كان النبي ﷺ يواسيه.

فلم يكن يتعامل مع الناس ببرود.

Edit with WPS Office

الثامن والعشرون: مشاركة الأفراح

كان ﷺ يفرح لفرح أصحابه.

ويشاركهم المناسبات.

وهذا يزيد المحبة.

التاسع والعشرون: حل الخلافات

إذا وقع خلاف بين الصحابة، تدخل النبي ﷺ للإصلاح.

Edit with WPS Office

وكان يهدف إلى إعادة الأخوة وإزالة أسباب النزاع.

الثلاثون: الأخوة بين المهاجرين والأنصار

من أعظم إنجازات النبي ﷺ بناء الأخوة بين المهاجرين والأنصار.

فلم يجعل اختلاف المكان والأصل سببًا للفرقة.

الحادي والثلاثون: إزالة العصبية

جاء الإسلام ليزيل العصبية القبلية.

فالمعيار هو التقوى والعمل الصالح.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: الإيثار

مدح الله الأنصار فقال:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].

وكان النبي ﷺ يربي أصحابه على الإيثار.

الثالث والثلاثون: التكافل

لم يكن المجتمع النبوي مجتمع أفراد منفصلين.

Edit with WPS Office

بل كان مجتمعًا متكافلًا.

الغني يساعد الفقير.

والقوي يعين الضعيف.

والجار يهتم بجاره.

الرابع والثلاثون: حفظ كرامة الصحابي

كان النبي ﷺ لا يحطم أصحابه.

وإذا أخطأ أحدهم، صحح له الخطأ.

Edit with WPS Office

الخامس والثلاثون: التربية بعد الخطأ

كان الخطأ عند النبي ﷺ فرصة للتعلم.

ولم يكن مجرد مناسبة للعقاب والتوبيخ.

السادس والثلاثون: إعطاء الفرصة للتوبة

كان النبي ﷺ يفتح أبواب الرجوع إلى الله.

وكان يعلم أصحابه أن الإنسان قد يخطئ ثم يعود.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: الثقة بالشباب

أعطى النبي ﷺ الشباب مسؤوليات كبيرة.

وكان منهم قادة ودعاة ومعلمون.

وهذا يدل على أهمية الثقة بالشباب وتدريبهم.

الثامن والثلاثون: مشاركة الصحابة في القرار

كان النبي ﷺ يستشيرهم في القضايا التي تقبل الشورى.

وكان بذلك يربيهم على المسؤولية.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: القيادة بالقدوة

كان ﷺ أول من يطبق ما يأمر به.

إذا دعا إلى الصبر كان صابرًا.

وإذا دعا إلى الإنفاق كان من أكثر الناس إنفاقًا.

وإذا دعا إلى الشجاعة كان في مقدمة الشجعان.

الأربعون: عدم الاستئثار

لم يكن النبي ﷺ يستأثر بكل شيء لنفسه.

Edit with WPS Office

بل كان يعيش مع أصحابه ويشاركهم.

الحادي والأربعون: العدل بين الأصحاب

كان ﷺ يعدل بينهم.

ولا يجعل المحبة الشخصية سببًا في ظلم الآخرين.

الثاني والأربعون: الأخلاق في القيادة

كان ﷺ قائدًا، ولكنه لم يكن متكبرًا.

وكان قويًا، ولكنه لم يكن ظالمًا.

Edit with WPS Office

وكان حازمًا، ولكنه لم يكن قاسيًا.

وهذا هو نموذج القيادة النبوية.

الثالث والأربعون: صناعة الأمة

لم يكتف النبي ﷺ بتربية أفراد صالحين.

بل صنع مجتمعًا متماسكًا.

وأقام أمة تقوم على الإيمان والعدل والأخوة.

Edit with WPS Office

الرابع والأربعون: أثر الصحبة النبوية

خرج من مدرسة النبي ﷺ جيل عظيم حمل الإسلام إلى العالم.

وكان كل واحد منهم يحمل أثرًا من تربيته ﷺ.

الخامس والأربعون: واجبنا نحو أصحاب رسول الله ﷺ

محبة أصحاب رسول الله ﷺ واحترامهم من محبة السنة.

ونتعلم من سيرتهم الإيمان والتضحية والصبر والعلم والعمل.

خاتمة الفصل

Edit with WPS Office

كان رسول الله ﷺ قائدًا عظيمًا، لكنه لم يكن قائدًا يعيش فوق الناس.

كان بينهم ومعهم.

يأكل معهم.

ويجلس معهم.

ويستمع إليهم.

ويشاورهم.

ويواسيهم.

ويفرح لفرحهم.

Edit with WPS Office

ويحزن لحزنهم.

ويربيهم على الإيمان والأخلاق والمسؤولية.

ولهذا أحبه أصحابه حبًا عظيمًا.

لم يكن حبهم له مجرد عاطفة، بل كان حبًا صنع رجالًا ضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

لقد استطاع النبي ﷺ أن يحول جماعة متفرقة إلى أمة، وأن يحول أفرادًا عاديين إلى قادة وعلماء ومربين.

وهذا من أعظم أسرار نجاح الدعوة النبوية.

إنه رسول الله ﷺ؛ القائد الذي ملك القلوب قبل أن يقود الجيوش، و المربي الذي صنع من أصحابه رجالًا حملوا رسالته إلى العالمين.

Edit with WPS Office

الفصل الثاني والأربعون

عدل رسول الله ﷺ

لا محاباة في الحق

تمهيد

كان العدل من أعظم الصفات التي اتصف بها رسول الله ﷺ.

فقد جاء الإسلام ليقيم ميزان العدل بين الناس، ويمنع الظلم، ويحفظ الحقوق، ويجعل الناس أمام الشرع سواء.

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].

وكان رسول الله ﷺ أعدل الناس، لا يفرق في الحكم بين غني وفقير، ولا قوي وضعيف، ولا قريب وبعيد.

وكان ﷺ يعلم أصحابه أن الحق لا يتغير بتغير الأشخاص.

أولًا: العدل أساس المجتمع

لا يمكن أن يستقر مجتمع إذا غاب عنه العدل.

فإذا شعر الناس أن الحقوق لا تُعطى إلا للأقوياء، انتشر الظلم، وضاعت الثقة.

ولهذا جعل الإسلام العدل أساسًا من أسس الحياة.

Edit with WPS Office

ثانيًا: العدل مع القريب والبعيد

لم يكن النبي ﷺ يعدل مع أصحابه فقط، بل كان العدل عنده مبدأ عامًا.

قال الله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8].

فحتى كراهية الإنسان لشخص لا تبرر ظلمه.

Edit with WPS Office

ثالثًا: العدل مع المخالف

كان النبي ﷺ يلتزم العدل حتى مع من يختلف معه.

فالخصومة لا تسقط الحقوق.

وهذا من أعظم مبادئ الإسلام.

رابعًا: لا محاباة في شرع الله

من أشهر مواقف السيرة قصة المرأة المخزومية التي سرقت.

فحاول بعض الناس أن يشفعوا لها لمكانتها في قومها.

فقال النبي ﷺ:

Edit with WPS Office

«والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وهذا موقف عظيم في بيان المساواة أمام الحكم الشرعي.

خامسًا: معنى المساواة أمام القانون

المقصود ليس أن الناس متساوون في كل شيء.

فالناس يختلفون في العلم والعمل والقدرات.

لكنهم متساوون في أصل الكرامة الإنسانية، وأمام الحقوق و الواجبات والأحكام التي تشملهم.

Edit with WPS Office

سادسًا: العدل بين الأبناء

كان النبي ﷺ يحث على العدل بين الأبناء.

وحذر من التفضيل الذي يؤدي إلى الظلم والقطيعة.

سابعًا: العدل بين الزوجات

أمر الإسلام بالعدل بين الزوجات فيما يجب فيه العدل.

وكان النبي ﷺ شديد الحرص على ذلك.

Edit with WPS Office

ثامنًا: العدل في الحكم

كان النبي ﷺ قاضيًا يحكم بين الناس.

وكان يعلم أن القاضي يسمع من الخصمين ولا يحكم لمجرد العاطفة.

تاسعًا: لا يحكم بالغضب

كان الغضب من الأمور التي تؤثر في الحكم.

ولهذا جاء التوجيه النبوي إلى عدم الحكم في حالة الغضب الشديد.

فالقاضي يحتاج إلى هدوء النفس حتى يرى الحق بوضوح.

Edit with WPS Office

عاشرًا: سماع الطرفين

من مقتضيات العدل أن يسمع الإنسان من الطرفين قبل الحكم.

فقد يسمع الإنسان رواية واحدة فيظن أن الحق واضح، بينما تكون الحقيقة مختلفة.

الحادي عشر: البينة والحق

جاءت الشريعة بضوابط تحفظ الحقوق.

فلا يجوز أن يأخذ الإنسان حق غيره بمجرد الادعاء.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: الأمانة في الحكم

كان النبي ﷺ يحذر من الظلم في القضاء.

فالذي يحكم بين الناس يحمل مسؤولية عظيمة أمام الله.

الثالث عشر: العدل في الشهادة

أمر الإسلام بالصدق في الشهادة.

فالشهادة الكاذبة قد تظلم إنسانًا بريئًا أو تضيع حقًا ثابتًا.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: تحريم الظلم

قال الله تعالى في الحديث القدسي:

«يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا».

فالظلم محرّم مهما كان صاحبه.

الخامس عشر: الظلم لا يصبح حقًا بالقوة

قد يستطيع الظالم أن يفرض نفسه فترة من الزمن.

لكن القوة لا تجعل الباطل حقًا.

Edit with WPS Office

والظلم مهما طال لا يصبح عدلًا.

السادس عشر: العدل مع الضعفاء

كان النبي ﷺ يهتم بحقوق الضعفاء.

لأن المجتمع القوي هو الذي يحمي الضعيف، لا الذي يستغل ضعفه.

السابع عشر: حقوق الفقراء

اهتم الإسلام بالفقراء والمساكين.

وفرض الزكاة.

Edit with WPS Office

وحث على الصدقة.

وأمر بالتكافل.

وهذا من صور العدالة الاجتماعية.

الثامن عشر: حقوق اليتامى

شدد الإسلام في حفظ أموال اليتامى.

قال تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} [النساء: 10].

Edit with WPS Office

فحق اليتيم محفوظ.

التاسع عشر: حقوق النساء

جاء النبي ﷺ بتأكيد حقوق المرأة.

وأوصى بحسن معاشرتها.

وحفظ لها مالها وكرامتها.

العشرون: حقوق العمال والخدم

Edit with WPS Office

اهتم الإسلام بحقوق من يعملون للناس.

وحذر من ظلمهم أو تحميلهم ما لا يطيقون.

الحادي والعشرون: الوفاء بالعقود

كان النبي ﷺ يحث على الوفاء بالعهود والعقود.

فالمجتمع لا يستقر إذا أصبح الناس لا يلتزمون بوعودهم.

الثاني والعشرون: رد المظالم

من العدل أن يرد الإنسان الحقوق إلى أصحابها.

Edit with WPS Office

ولا يكفي أن يندم الإنسان على الظلم إذا بقيت حقوق الناس في يده.

الثالث والعشرون: العدل في التجارة

نهى الإسلام عن الغش والخداع.

قال تعالى:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

فالتاجر المسلم مطالب بالصدق والأمانة.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: تحريم الغش

قال النبي ﷺ:

«من غشنا فليس منا».

فالغش اعتداء على حقوق الآخرين.

الخامس والعشرون: العدل في البيع والشراء

لا يجوز للإنسان أن يستغل جهل الآخر أو حاجته ليأخذ ماله بغير حق.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: العدل في المال العام

المال العام أمانة.

ولا يجوز للمسؤول أن يستغل منصبه لمصلحة شخصية.

السابع والعشرون: المسؤولية أمام الله

كان النبي ﷺ يعلم أن المسؤولية ليست مجرد منصب.

وإنما أمانة يسأل الله عنها صاحبها.

قال ﷺ:

Edit with WPS Office

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

الثامن والعشرون: العدل في القيادة

كان النبي ﷺ قائدًا عظيمًا، لكنه لم يجعل القيادة وسيلة للثراء أو الا ستعلاء.

بل كان يعتبرها تكليفًا ومسؤولية.

التاسع والعشرون: القائد خادم لأمته

القائد في المنهج النبوي ليس متسلطًا على الناس.

Edit with WPS Office

بل مسؤول عنهم.

يرعى مصالحهم.

ويحفظ حقوقهم.

ويقيم العدل بينهم.

الثلاثون: العدل مع الأعداء

حتى في الحرب لم يكن النبي ﷺ يسمح بالعدوان.

وكانت للحرب ضوابط تمنع الظلم والتجاوز.

Edit with WPS Office

الحادي والثلاثون: الوفاء بالعهود

كان ﷺ يحترم العهود والمواثيق.

وكان الغدر من الأخلاق المذمومة.

الثاني والثلاثون: العدل لا يتجزأ

لا يمكن أن يكون الإنسان عادلًا في مكان وظالمًا في مكان آخر دون تناقض.

فالعدل خلق عام.

Edit with WPS Office

الثالث والثلاثون: العدل داخل الأسرة

كان العدل مطلوبًا داخل البيت كما هو مطلوب في المجتمع.

فالوالدان مطالبان بالعدل بين الأبناء.

والزوج مطالب بالعدل فيما يجب عليه.

الرابع والثلاثون: العدل في التربية

كان النبي ﷺ يربي الناس بالعدل.

فلا يرفع شخصًا بلا سبب، ولا يهين آخر بلا حق.

Edit with WPS Office

الخامس والثلاثون: العدل مع النفس

من صور العدل أن يكون الإنسان صادقًا مع نفسه.

فلا يبرر أخطاءه بينما يدين الآخرين على الأخطاء نفسها.

السادس والثلاثون: العدل في الخصومة

قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: 152].

فحتى الخصومة لا تبرر الكذب.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: لا تجعل الكراهية ظلمًا

قد يكره الإنسان شخصًا.

لكن لا يجوز أن تدفعه الكراهية إلى الكذب عليه أو الاعتداء على حقه.

وهذا من أرقى درجات العدل.

الثامن والثلاثون: العدل مع النفس عند الخطأ

إذا أخطأ الإنسان، فالعدل أن يعترف بخطئه.

Edit with WPS Office

ولا يبحث دائمًا عن الأعذار ويلقي المسؤولية على الآخرين.

التاسع والثلاثون: العفو والعدل

كان النبي ﷺ يجمع بين العدل والعفو.

فقد يعفو عن حق شخصي إذا رأى أن العفو أصلح، لكنه لا يجعل العفو سببًا لضياع حقوق الآخرين.

الأربعون: العدل والرحمة

العدل لا يعني القسوة.

Edit with WPS Office

والرحمة لا تعني الظلم.

والحكمة أن يوضع كل أمر في موضعه.

الحادي والأربعون: العدل أساس الثقة

عندما يشعر الناس أن الحاكم أو الأب أو المعلم أو المسؤول عادل، يزداد احترامهم وثقتهم به.

أما الظلم فيقتل الثقة.

الثاني والأربعون: أثر العدل في المجتمع

Edit with WPS Office

إذا انتشر العدل:

أمن الناس.

وحفظت الحقوق.

وانخفضت الخصومات.

وزادت الثقة.

وقويت العلاقات.

واستقر المجتمع.

Edit with WPS Office

الثالث والأربعون: خطر الظلم

الظلم قد يبدأ صغيرًا.

ككلمة جارحة.

أو مال يؤخذ بغير حق.

أو حكم غير عادل.

ثم يكبر أثره.

ولهذا حذر النبي ﷺ من الظلم بشدة.

الرابع والأربعون: كيف نطبق العدل في حياتنا؟

Edit with WPS Office

نطبق العدل عندما:

نحكم بين أبنائنا بالإنصاف.

ونرد الحقوق إلى أصحابها.

ولا نغش في البيع.

ولا نخون الأمانة.

ولا نشهد بالباطل.

ولا نظلم العامل.

ولا نستغل الضعيف.

Edit with WPS Office

ولا نكذب في الخصومة.

ولا نحكم قبل سماع الطرفين.

الخامس والأربعون: العدل رسالة نبوية

كان العدل في حياة رسول الله ﷺ منهجًا متكاملًا.

فلم يكن شعارًا سياسيًا، وإنما كان خلقًا يبدأ من الإنسان نفسه.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ عادلًا في أقواله وأحكامه ومعاملاته.

Edit with WPS Office

لم يكن القريب عنده أقرب إلى الحق لمجرد قرابته، ولا القوي أحق من الضعيف بسبب قوته.

وكان يعلم أن الظلم ظلمات، وأن الحقوق لا تضيع عند الله.

وقد ضرب ﷺ أروع الأمثلة في إقامة العدل، حتى قرر مبدأً خالدًا حين قال:

«والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

فالعدل عنده ﷺ ليس شعارًا يقال، وإنما حقيقة تطبق على الجميع.

وإذا أردنا أن نقتدي برسول الله ﷺ، فعلينا أن نبدأ بأنفسنا:

أن نكون عادلين مع أهلنا، وأولادنا، وموظفينا، وجيراننا، وخصومنا، وكل من نتعامل معه.

Edit with WPS Office

فالعدل يبدأ من البيت، ثم ينتقل إلى المدرسة والعمل والمجتمع و الدولة.

ومن هنا ندرك أن من أعظم رسائل النبي ﷺ بناء مجتمع يشعر فيه ا لإنسان أن كرامته وماله وحقه مصونة.

إنه رسول الله ﷺ؛ نبي الرحمة، وإمام العدل، وقدوة البشرية في إقامة الحق وحفظ الحقوق.

Edit with WPS Office

الفصل الثالث والأربعون

زهد رسول الله ﷺ وبساطة حياته

كان يعيش للدنيا بقلب الآخرة

تمهيد

كان رسول الله ﷺ أعظم الناس منزلة عند الله، وأحب خلقه إليه، ومع ذلك كانت حياته في الدنيا حياة زهد وبساطة وتواضع.

لم يكن ﷺ يطلب من الدنيا ما يطلبه أهلها من كثرة المال والجاه و الترف، وإنما كان يأخذ منها ما يعينه على طاعة الله، ويجعل قلبه متعلقًا بالآخرة.

وكان يستطيع أن يعيش حياة الملوك، لكنه اختار أن يكون عبدًا رسولًا.

Edit with WPS Office

قال ﷺ:

«ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

وهذا التصور يوضح حقيقة موقفه ﷺ من الدنيا: يستفيد منها، لكنه لا يجعلها غايته.

أولًا: الدنيا في نظر رسول الله ﷺ

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن الدنيا دار ممر وليست دار مقر.

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: 20].

فالدنيا ليست مذمومة لذاتها، وإنما المذموم أن تصبح غاية الإنسان وتنسيه آخرته.

ثانيًا: كان يملك ولا يتملك قلبه

لم يكن الزهد النبوي يعني تحريم الطيبات أو ترك أسباب الحياة.

بل كان النبي ﷺ يأكل ويشرب ويلبس ويتزوج.

لكن الدنيا لم تكن تسيطر على قلبه.

فكان يملك الأشياء، ولا تسمح الأشياء بأن تملكه.

Edit with WPS Office

ثالثًا: بساطة المسكن

كان بيت النبي ﷺ بسيطًا.

ولم تكن غرفه واسعة ولا ممتلئة بالأثاث.

وكان يعيش حياة بعيدة عن مظاهر الترف.

رابعًا: قلة الطعام

مرت على بيت النبوة أوقات لم يكن فيها الطعام الكثير.

Edit with WPS Office

وقد عاشت أسرته ﷺ فترات من شدة المعيشة.

ومع ذلك كان الصبر والرضا حاضرَين.

خامسًا: عدم التعلق بالطعام

كان ﷺ يأكل ما تيسر.

ولم يكن يتكلف الطعام.

وكان إذا أعجبه شيء أكله، وإذا لم يعجبه تركه دون ذم للطعام.

سادسًا: التواضع في الملبس

Edit with WPS Office

كان ﷺ يلبس ما تيسر من الثياب المباحة.

ولم يكن يتعالى بملبسه على الناس.

سابعًا: التواضع في المظهر

لم تكن عظمة النبي ﷺ في ثيابه أو مظهره.

بل كانت في قلبه وأخلاقه ورسالته.

وهذا درس في أن قيمة الإنسان لا تقاس بما يملك.

Edit with WPS Office

ثامنًا: التواضع في الطعام

كان ﷺ يجلس على الأرض أحيانًا، ويأكل الطعام المتيسر.

ولم يكن يرى في ذلك نقصًا.

تاسعًا: النوم البسيط

كان فراشه ﷺ بسيطًا.

وقد أثر عنه أنه كان ينام على ما تيسر، ولم يكن يتكلف الفراش الفاخر.

Edit with WPS Office

عاشرًا: لم يكن يرد الطيب

مع زهده، لم يكن النبي ﷺ يحرم على نفسه الطيبات.

وكان يحب الطيب.

وهذا يوضح أن الزهد ليس إهمال النفس.

الحادي عشر: الزهد ليس تحريمًا للحلال

من الخطأ أن نفهم الزهد على أنه ترك كل متاع مباح.

فالزهد الحقيقي هو ألا يتعلق القلب بالدنيا تعلقًا يفسد الدين.

Edit with WPS Office

الثاني عشر: العمل والاعتماد على النفس

كان النبي ﷺ يربي أصحابه على العمل.

وكان يحث على الكسب الحلال.

فالزهد لا يعني الكسل.

الثالث عشر: الإنفاق في سبيل الله

كان النبي ﷺ كريمًا.

وكان يعطي ما عنده للمحتاجين.

Edit with WPS Office

وكان لا يحب أن يبقى المال محبوسًا عن أصحاب الحاجة.

الرابع عشر: كان أجود الناس

كان ﷺ معروفًا بالكرم والجود.

وكان جوده يزداد في مواسم الخير، وخاصة في رمضان.

الخامس عشر: يعطي ولا يمنع

إذا جاءه محتاج وكان عنده شيء أعطاه.

وكان يؤثر المحتاجين على نفسه في أحيان كثيرة.

Edit with WPS Office

السادس عشر: عدم جمع المال للترف

لم يكن النبي ﷺ يجمع المال ليبني ثروة شخصية.

بل كان ينفقه في مصالح المسلمين، وعلى المحتاجين، وفي سبيل الله.

السابع عشر: القناعة

كان ﷺ قنوعًا.

والقناعة لا تعني أن يتوقف الإنسان عن السعي، وإنما تعني أن يكون

Edit with WPS Office

راضيًا بما قسم الله له.

الثامن عشر: الرضا بقضاء الله

كان النبي ﷺ يعلم أن الأرزاق بيد الله.

فكان قلبه مطمئنًا إلى ربه.

التاسع عشر: الصبر على الفقر

مرت عليه ﷺ أيام من الشدة، فلم يكن ذلك يغير أخلاقه أو رسالته.

وكان صابرًا محتسبًا.

Edit with WPS Office

العشرون: لم تغيره الدنيا

بعد الهجرة والتمكين والانتصارات، لم يتحول النبي ﷺ إلى رجل متكبر يعيش حياة الترف.

بل ظل متواضعًا.

الحادي والعشرون: بعد فتح مكة

عندما عاد إلى مكة منتصرًا، لم يدخلها متكبرًا.

بل دخلها خاشعًا لله.

Edit with WPS Office

وهذا من أعظم صور التواضع عند القوة.

الثاني والعشرون: القوة مع الزهد

كان النبي ﷺ قائد دولة، ومع ذلك بقي زاهدًا.

فهذا يدل على أن السلطة لا تستلزم الترف.

الثالث والعشرون: الزهد في القلب

قد يكون الإنسان فقيرًا لكنه شديد التعلق بالدنيا.

Edit with WPS Office

وقد يكون غنيًا وقلبه زاهدًا.

ولهذا فالمعيار الحقيقي هو تعلق القلب.

الرابع والعشرون: المال وسيلة لا غاية

كان المال عند النبي ﷺ وسيلة لتحقيق الخير، لا هدفًا نهائيًا.

فإذا جاءه المال أنفقه في وجوه الخير.

الخامس والعشرون: تحذير الأمة من فتنة الدنيا

حذر النبي ﷺ أمته من أن تتنافس في الدنيا حتى تهلكها المنافسة.

Edit with WPS Office

فالمال قد يكون نعمة، لكنه قد يتحول إلى فتنة إذا سيطر على القلب.

السادس والعشرون: عدم الاغترار بالمظاهر

كان ﷺ يعلم أصحابه أن قيمة الإنسان ليست في ثيابه ولا ماله ولا منصبه.

وإنما في إيمانه وتقواه وعمله.

السابع والعشرون: إكرام الفقير

Edit with WPS Office

لم يكن الفقر سببًا لإهانة الإنسان.

وكان النبي ﷺ يجلس مع الفقراء ويكرمهم.

الثامن والعشرون: القرب من الضعفاء

كان ﷺ قريبًا من الضعفاء والمساكين.

ولم تكن مجالسه حكرًا على أصحاب المال والجاه.

التاسع والعشرون: الزهد في الشهرة

لم يكن ﷺ يطلب الشهرة لنفسه.

Edit with WPS Office

وكان هدفه تبليغ الرسالة.

الثلاثون: الزهد في المدح

لم يكن النبي ﷺ يتعامل مع مدح الناس باعتباره غاية.

بل كان همه رضا الله.

الحادي والثلاثون: التواضع مع الناس

كان ﷺ يسلم على الناس.

Edit with WPS Office

ويجيب دعوتهم.

ويعود مرضاهم.

ويجلس معهم.

وهذه صور عملية للزهد والتواضع.

الثاني والثلاثون: خدمة أهله

كان يساعد أهله في البيت.

وهذا يبين أن التواضع الحقيقي يبدأ من الحياة اليومية.

Edit with WPS Office

الثالث والثلاثون: إصلاح نعله

كان ﷺ يقوم ببعض الأعمال البسيطة بنفسه.

ولم يكن يرى في ذلك انتقاصًا من مكانته.

الرابع والثلاثون: إصلاح شأنه بنفسه

كان يعتمد على نفسه في بعض شؤونه.

وهذا يعلم الإنسان عدم التكبر على الأعمال البسيطة.

Edit with WPS Office

الخامس والثلاثون: حياة بلا تكلف

كان ﷺ بعيدًا عن التكلف.

وكان يحب البساطة.

السادس والثلاثون: التوازن

لم يكن النبي ﷺ يدعو إلى ترك الدنيا بالكلية.

بل كان يدعو إلى استخدامها فيما ينفع.

فالمسلم يأخذ من الدنيا ما يحتاجه، ويجعل قلبه لله.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: الزهد لا يعني إهمال المسؤوليات

من الخطأ أن يترك الإنسان أسرته أو عمله أو واجباته بحجة الزهد.

فالنبي ﷺ كان زوجًا وأبًا وقائدًا ومربيًا.

وكان يقوم بكل مسؤولياته.

الثامن والثلاثون: الزهد مع العبادة

كان ﷺ كثير العبادة.

وكان يقوم الليل حتى تتعب قدماه.

Edit with WPS Office

وكان يرى أن الدنيا فرصة للعمل للآخرة.

التاسع والثلاثون: الزهد مع الشكر

كان ﷺ يشكر الله على النعم.

فالزهد ليس جحودًا للنعم.

بل الاعتراف بفضل الله وعدم استعمال النعمة في المعصية.

الأربعون: الزهد مع الكرم

كان ﷺ يجمع بين الزهد والكرم.

Edit with WPS Office

فهو لا يتوسع في الترف لنفسه، لكنه يعطي الآخرين بسخاء.

الحادي والأربعون: أثر الزهد في النفس

الزهد الحقيقي يحرر الإنسان من الخوف المفرط على المال.

ويجعله أكثر قدرة على العطاء.

وأكثر ثباتًا أمام الشدائد.

الثاني والأربعون: الزهد وصناعة الإنسان القوي

Edit with WPS Office

من لا يعبد المال يكون أقوى في مواجهة الفتن.

ومن لا يجعل الدنيا غايته يستطيع أن يضحي من أجل المبادئ.

الثالث والأربعون: الزهد في عصر الاستهلاك

في زمن تزداد فيه الرغبة في شراء الأشياء، والتفاخر بالمظاهر، تصبح السيرة النبوية درسًا في الاعتدال.

فليس كل ما نستطيع شراءه نحتاج إليه.

وليس كل ما نحتاج إليه ينبغي أن يتحول إلى تفاخر.

Edit with WPS Office

الرابع والأربعون: كيف نقتدي بزهد النبي ﷺ؟

يمكننا الاقتداء به من خلال:

القناعة.

وعدم الإسراف.

والابتعاد عن التفاخر.

والإنفاق على المحتاجين.

والعمل والكسب الحلال.

وشكر النعم.

وعدم التعلق الزائد بالماديات.

Edit with WPS Office

وتقديم الآخرة على الدنيا عند التعارض.

الخامس والأربعون: الزهد الحقيقي

الزهد ليس أن تهرب من الحياة.

وليس أن تترك العمل.

وليس أن تحرم نفسك من الحلال.

إنما الزهد أن تكون الدنيا في يدك لا في قلبك.

وأن تستخدم ما أعطاك الله في طاعته وخدمة خلقه.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كانت حياة رسول الله ﷺ مدرسة في القناعة والتواضع والزهد.

عاش ﷺ حياة بسيطة رغم عظم مكانته.

ولم يكن يطلب من الدنيا إلا ما يعينه على أداء رسالته.

ومع ذلك لم يكن منعزلًا عن الحياة، بل كان يعمل، ويتزوج، ويأكل، ويشرب، ويقود الأمة، ويقيم المجتمع، ويدير شؤون الدولة.

وهنا تظهر عظمة المنهج النبوي:

أن تعيش في الدنيا دون أن تعيش للدنيا.

Edit with WPS Office

أن تمتلك المال دون أن يمتلكك.

وأن تستعمل النعمة دون أن تتكبر بها.

وأن تعمل للمستقبل الدنيوي، دون أن تنسى المستقبل الأبدي.

لقد كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا مع قدرته عليها، وأكرم الناس فيها مع عدم تعلقه بها.

ومن هنا نتعلم أن السعادة لا تأتي من كثرة ما نملك، وإنما من طمأنينة القلب ورضاه بالله.

إنه رسول الله ﷺ؛ عاش بسيطًا، ومات عظيمًا، وترك وراءه أمةً تعلمت منه أن الدنيا وسيلة، وأن الآخرة هي دار القرار.

Edit with WPS Office

الفصل الرابع والأربعون

شجاعة رسول الله ﷺ وثباته

قلبٌ لا تهزّه الشدائد

تمهيد

كان رسول الله ﷺ أشجع الناس قلبًا، وأثبتهم عند الشدائد، وأقواهم عزيمة في مواجهة المحن.

ولم تكن شجاعته ﷺ شجاعة جسد فحسب، وإنما كانت شجاعة إيمان ومبدأ وثبات.

فقد واجه التكذيب، والإيذاء، والحصار، والهجرة، والحروب، و المؤامرات، وفقد الأحبة، ومع ذلك لم يتراجع عن رسالته.

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: 112].

فكان ﷺ ثابتًا على أمر الله حتى آخر لحظة من حياته.

أولًا: الشجاعة الحقيقية

الشجاعة ليست مجرد القوة الجسدية.

بل هي أن يقف الإنسان مع الحق عندما يخاف الآخرون، وأن يصبر عندما تضيق الطرق، وأن يثبت عندما تشتد المحن.

وهذه الشجاعة اجتمعت في رسول الله ﷺ بأعظم صورة.

Edit with WPS Office

ثانيًا: شجاعته قبل البعثة

عرف أهل مكة النبي ﷺ بالصدق والأمانة والشرف.

ولم يكن ضعيف الشخصية أو جبانًا.

بل كان صاحب شخصية قوية، هادئة، ثابتة.

ثالثًا: شجاعته في إعلان الدعوة

عندما نزل الوحي وبدأت الدعوة، وقف النبي ﷺ أمام مجتمع بأكمله يدعو إلى التوحيد.

وكان يعلم أن دعوته ستواجه المعارضة.

Edit with WPS Office

ومع ذلك لم يتراجع.

رابعًا: مواجهة قريش

تعرض النبي ﷺ وصحابته للأذى الشديد.

واستخدمت قريش أساليب متعددة لإيقاف الدعوة.

لكن النبي ﷺ بقي ثابتًا.

خامسًا: المساومة على الدعوة

Edit with WPS Office

حاولت قريش أن تساوم النبي ﷺ.

فعرضت عليه المال والجاه والملك.

لكن النبي ﷺ لم يكن يطلب دنيا.

كان يحمل رسالة.

ولهذا لم يتنازل عن الحق.

سادسًا: موقفه أمام أبي طالب

عندما اشتد ضغط قريش، بقي النبي ﷺ ثابتًا.

ومن أشهر ما ورد في السيرة قوله:

Edit with WPS Office

«والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته».

ومعنى ذلك أنه لا يترك دعوته بسبب الإغراء أو التهديد.

سابعًا: الصبر على الأذى

أوذي النبي ﷺ في مكة.

وأوذي أصحابه.

وعُذب بعضهم.

ومع ذلك استمر في الدعوة.

Edit with WPS Office

ثامنًا: الحصار

تعرض بنو هاشم والمسلمون للحصار.

وكانت سنوات شديدة القسوة.

ومع ذلك لم تنهَر إرادة النبي ﷺ.

تاسعًا: عام الحزن

فقد النبي ﷺ زوجته خديجة رضي الله عنها، وعمه أبا طالب.

Edit with WPS Office

وكان ذلك من أشد أعوام حياته.

ومع ذلك واصل الطريق.

عاشرًا: رحلة الطائف

خرج النبي ﷺ إلى الطائف يدعو أهلها.

فقابلوه بالأذى.

وأغروا به سفهاءهم.

ورموه بالحجارة.

وكان موقفًا شديدًا من الناحية النفسية والجسدية.

Edit with WPS Office

ومع ذلك لم يترك الدعوة.

الحادي عشر: شجاعته في الطائف

بعد كل ما تعرض له في الطائف، لم يتحول قلبه إلى حقد.

بل ظل يرجو الخير والهداية للناس.

وهذه شجاعة أخلاقية عظيمة.

الثاني عشر: الهجرة

Edit with WPS Office

كانت الهجرة قرارًا خطيرًا.

وكانت قريش تبحث عن النبي ﷺ.

ومع ذلك خرج ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه.

الثالث عشر: غار ثور

اختبأ النبي ﷺ وصاحبه في غار ثور.

وكانت قريش قريبة منهما.

فقال أبو بكر رضي الله عنه:

لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا.

Edit with WPS Office

فقال النبي ﷺ:

«ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

فكان قلبه مطمئنًا إلى الله.

الرابع عشر: الشجاعة مع الأخذ بالأسباب

لم تكن شجاعة النبي ﷺ تهورًا.

فقد أخذ بالأسباب.

اختار الطريق المناسب.

Edit with WPS Office

واستعان بالدليل.

وأعد خطة للهجرة.

فالشجاعة لا تعني إهمال التخطيط.

الخامس عشر: الثبات في بدر

في غزوة بدر واجه المسلمون جيشًا أكبر منهم عددًا وعدة.

ومع ذلك ثبت النبي ﷺ.

ولجأ إلى الله بالدعاء.

Edit with WPS Office

السادس عشر: الشجاعة في المعركة

كان النبي ﷺ قريبًا من الخطر.

ولم يكن يختبئ خلف أصحابه.

بل كان في مقدمة الصفوف.

السابع عشر: شهادة علي رضي الله عنه

كان الصحابة إذا اشتد القتال احتموا بالنبي ﷺ.

وكان ذلك دليلًا على شجاعته وثباته.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: يوم أحد

في أحد تعرض المسلمون لابتلاء شديد.

وأصيب النبي ﷺ.

وسال الدم من وجهه الشريف.

ومع ذلك لم يتخل عن أصحابه.

التاسع عشر: الثبات بعد الإصابة

كانت إصابة النبي ﷺ مؤلمة.

Edit with WPS Office

ومع ذلك بقي ثابتًا، وأعاد تنظيم أصحابه، ولم يسمح للانهيار أن يسيطر عليهم.

العشرون: غزوة الخندق

في الخندق واجه المسلمون خطرًا كبيرًا.

وتجمعت الأحزاب حول المدينة.

وكانت الظروف شديدة.

لكن النبي ﷺ ظل ثابتًا.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: شجاعته في الأزمات

في الأزمات تظهر حقيقة الرجال.

وكان النبي ﷺ في الأزمات أكثر ثباتًا وطمأنينة.

الثاني والعشرون: الثقة بالله

كانت شجاعته ﷺ قائمة على التوكل على الله.

فالمؤمن يعلم أن النصر بيد الله.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: عدم الخوف من البشر

كان النبي ﷺ يخاف الله ولا يخاف الناس في الحق.

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 39].

الرابع والعشرون: الشجاعة في قول الحق

كان ﷺ يقول الحق ولو خالفه الناس.

وهذه من أعظم صور الشجاعة.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: الشجاعة في العفو

العفو عند القدرة يحتاج إلى قوة نفس.

وقد جمع النبي ﷺ بين القدرة والعفو.

السادس والعشرون: الشجاعة في مواجهة النفس

كان ﷺ يعلم أصحابه أن أعظم القوة هي السيطرة على النفس.

فالإنسان الذي يستطيع ضبط غضبه أقوى من الذي ينتصر في شجار.

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: الثبات أمام الإغراء

لم تغيره الأموال.

ولم يغيره الجاه.

ولم تغيره السلطة.

فقد كان هدفه رضا الله.

الثامن والعشرون: الثبات أمام التهديد

لم تتراجع الدعوة بسبب تهديد قريش.

Edit with WPS Office

بل استمرت حتى انتشر الإسلام.

التاسع والعشرون: الثبات عند فقد الأحبة

فقد النبي ﷺ أشخاصًا أحبهم.

لكنه لم يتوقف عن أداء رسالته.

الثلاثون: الثبات عند المرض

في مرضه الأخير اشتد عليه الألم.

Edit with WPS Office

ومع ذلك ظل مهتمًا بأمته وبالصلاة وبشؤون المسلمين.

الحادي والثلاثون: شجاعته في آخر حياته

حتى في أيام مرضه الأخيرة، بقي قلبه متعلقًا برسالته.

وكان يوصي الأمة ويحذرها من أسباب الانحراف.

الثاني والثلاثون: الشجاعة ليست تهورًا

كان النبي ﷺ أشجع الناس، ومع ذلك كان أبعدهم عن التهور.

فكان يخطط.

Edit with WPS Office

ويستشير.

ويأخذ بالأسباب.

ثم يتوكل على الله.

الثالث والثلاثون: الشجاعة والحكمة

القوة بلا حكمة قد تتحول إلى تهور.

أما القوة مع الحكمة فتتحول إلى قيادة.

وهذا ما رأيناه في حياة النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: شجاعة القيادة

كان القائد الذي يطلب من أصحابه التضحية بنفسه مستعدًا للتضحية قبلهم.

وهذا سر ثقتهم به.

الخامس والثلاثون: شجاعة الصبر

الصبر الطويل يحتاج إلى شجاعة.

وقد صبر النبي ﷺ سنوات طويلة على الأذى.

Edit with WPS Office

السادس والثلاثون: شجاعة الأمل

رغم صعوبة الواقع، لم يفقد النبي ﷺ الأمل في المستقبل.

فكان يرى أن الإسلام سيصل إلى الناس.

السابع والثلاثون: شجاعة الدعوة

الداعية يحتاج إلى شجاعة.

فقد يسمع الرفض أو السخرية.

لكن عليه أن يثبت بالحكمة والصبر.

Edit with WPS Office

الثامن والثلاثون: الشجاعة الأخلاقية

من أعظم صور الشجاعة أن تكون قادرًا على الانتقام ثم تختار العفو، وأن تكون قادرًا على الظلم ثم تختار العدل.

وهذا من أعظم ما ظهر في حياة النبي ﷺ.

التاسع والثلاثون: الشجاعة في تحمل المسؤولية

كان النبي ﷺ يتحمل مسؤولية الأمة.

فلم يكن يلقي أعباءه على الآخرين.

Edit with WPS Office

بل كان أول من يتحمل المسؤولية.

الأربعون: كيف نقتدي بشجاعته ﷺ؟

نقتدي به عندما:

نثبت على الحق.

ولا نخاف من الناس في طاعة الله.

ونتحمل المسؤولية.

ونواجه المشكلات بحكمة.

Edit with WPS Office

ولا نستسلم عند أول عقبة.

ونأخذ بالأسباب.

ونتوكل على الله.

ونتحكم في غضبنا.

ونعفو عند القدرة.

الحادي والأربعون: الشجاعة في حياتنا اليومية

قد لا تكون الشجاعة دائمًا في المعارك.

بل قد تكون في:

Edit with WPS Office

قول الحق.

رفض الظلم.

الاعتراف بالخطأ.

الدفاع عن الضعيف.

الابتعاد عن الحرام.

الصبر على الطاعة.

والوقوف بجانب المظلوم.

Edit with WPS Office

الثاني والأربعون: الشجاعة في تربية الأبناء

ينبغي للوالدين أن يعلما أبناءهما الشجاعة المتزنة.

لا التهور.

فيعلمونهم أن يكونوا أقوياء في الحق، رحماء بالناس، حكماء في المواقف.

الثالث والأربعون: الشجاعة في مواجهة الفتن

تحتاج الفتن إلى ثبات.

فليس كل ما ينتشر يستحق أن نصدقه.

Edit with WPS Office

وليس كل ما يفعله الناس ينبغي أن نقلدهم فيه.

الرابع والأربعون: الشجاعة في الاعتراف بالخطأ

من الشجاعة أن يقول الإنسان:

أخطأت.

ولا يبحث عن أعذار وهمية.

فالاعتراف بالخطأ بداية الإصلاح.

الخامس والأربعون: رسول الله ﷺ قدوة في الثبات

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ مثالًا للثبات.

لم تغيره المحن.

ولم تغره الدنيا.

ولم تخفه التهديدات.

ولم تكسره الخسائر.

وظل ثابتًا حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة.

خاتمة الفصل

Edit with WPS Office

كانت شجاعة رسول الله ﷺ شجاعة متكاملة.

شجاعة في الدعوة.

وشجاعة في الحرب.

وشجاعة في الصبر.

وشجاعة في العفو.

وشجاعة في قول الحق.

وشجاعة في تحمل المسؤولية.

وشجاعة في مواجهة النفس.

وكانت كل هذه الشجاعة مرتبطة بالإيمان بالله والثقة به.

Edit with WPS Office

لقد مر النبي ﷺ بأشد المحن، لكنه لم يسمح للمحنة أن تغير مبادئه.

أوذي فلم يتراجع.

وحوصر فلم يستسلم.

وأخرج من وطنه فلم ييأس.

وحورب فلم يجبن.

وانتصر فلم يتكبر.

وهذه هي عظمة الشجاعة النبوية.

إنها ليست شجاعة القوة وحدها، وإنما شجاعة القلب المؤمن الذي يعرف غايته، ويثق بربه، ويثبت على الحق.

Edit with WPS Office

إنه رسول الله ﷺ؛ أشجع الناس قلبًا، وأثبتهم عند الشدائد، وأعظمهم توكلًا على الله وثباتًا على الحق.

Edit with WPS Office

الفصل الخامس والأربعون

عبادة رسول الله ﷺ وصلته بربه

كان أعرف الناس بربه وأشدهم له خشية

تمهيد

إذا كانت حياة رسول الله ﷺ في معاملاته نموذجًا للأخلاق، وفي قيادته نموذجًا للحكمة، وفي مواجهته للشدائد نموذجًا للشجاعة، فإن حياته في عبادته لله تعالى كانت أعظم وأجل.

كان ﷺ أكثر الناس معرفة بالله، وأشدهم خشية له، وأصدقهم توكلًا عليه، وأعظمهم شكرًا لنعمائه.

ولم تكن عبادته مجرد أعمال تؤدى بالجوارح، وإنما كانت عبادة قلب حاضر، ونفس خاشعة، وروح متعلقة بربها.

Edit with WPS Office

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: 162-163].

أولًا: كان ﷺ أعرف الناس بالله

كلما ازداد الإنسان معرفة بالله، ازداد حبًا له وخشية منه ورجاءً فيه.

وكان رسول الله ﷺ أعرف الخلق بربه.

ولهذا كانت عبادته عظيمة، وكان قلبه دائم الصلة بالله.

Edit with WPS Office

ثانيًا: الصلاة في حياة النبي ﷺ

كانت الصلاة أعظم مظاهر صلته بالله.

وكان ﷺ يقول:

«وجعلت قرة عيني في الصلاة».

فلم تكن الصلاة عنده عبئًا يريد التخلص منه، وإنما كانت راحةً وسكينةً وقربًا من الله.

ثالثًا: قيام الليل

Edit with WPS Office

كان ﷺ يقوم الليل حتى تتعب قدماه.

وكانت عائشة رضي الله عنها تتعجب من شدة عبادته، فيقال له في ذلك، فيقول:

«أفلا أكون عبدًا شكورًا».

وهذه الكلمة تكشف سر عبادته ﷺ: الشكر.

رابعًا: العبادة شكر لله

لم يكن النبي ﷺ يعبد الله خوفًا فقط، ولا طمعًا فقط، وإنما عبده حبًا وخوفًا ورجاءً وشكرًا.

وكان يرى أن نعم الله تستحق الشكر.

Edit with WPS Office

خامسًا: خشوع القلب

كان ﷺ إذا وقف بين يدي الله وقف بقلب حاضر.

والخشوع هو روح العبادة.

فليست العبرة بمجرد حركات الجسد، وإنما بحضور القلب مع الله.

سادسًا: كثرة الذكر

كان النبي ﷺ كثير الذكر لله.

Edit with WPS Office

وكان يذكر الله في مختلف أحواله.

وكان يعلم أصحابه الأذكار والأدعية.

سابعًا: الاستغفار

كان ﷺ يستغفر الله كثيرًا.

وقد قال:

«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

وفي رواية:

«مائة مرة».

Edit with WPS Office

فكان الاستغفار حاضرًا في حياته.

ثامنًا: الدعاء

كان النبي ﷺ كثير الدعاء.

يدعو لنفسه.

ويدعو لأصحابه.

ويدعو لأمته.

وكان يلجأ إلى الله في الشدة والرخاء.

Edit with WPS Office

تاسعًا: التوكل على الله

كان ﷺ يأخذ بالأسباب، ثم يتوكل على الله.

فالتوكل عنده ليس ترك الأسباب، وإنما اعتماد القلب على الله مع بذل الجهد.

عاشرًا: الدعاء في الشدائد

في بدر، عندما اشتد الموقف، لجأ النبي ﷺ إلى ربه بالدعاء.

وهذا يعلمنا أن القوة الحقيقية للمؤمن تبدأ من صلته بالله.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: القرآن في حياته

كان القرآن هو النور الذي يعيش به النبي ﷺ.

قال الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52].

وكان ﷺ يتلو القرآن ويتدبره ويعمل به.

الثاني عشر: العمل بالقرآن

لم يكن النبي ﷺ مجرد قارئ للقرآن.

Edit with WPS Office

بل كان القرآن منهج حياته.

ولهذا وصفت عائشة رضي الله عنها خلقه ﷺ بأنه القرآن.

الثالث عشر: الصيام

كان ﷺ يصوم تطوعًا.

وكان يكثر من الصيام في بعض الأيام والمناسبات.

وكان رمضان شهرًا عظيمًا في حياته.

Edit with WPS Office

الرابع عشر: رمضان في حياة النبي ﷺ

كان رمضان شهر القرآن والعبادة والجود.

وكان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

الخامس عشر: الاعتكاف

كان ﷺ يعتكف في رمضان.

والاعتكاف فرصة للانقطاع عن شواغل الدنيا والتفرغ للعبادة.

السادس عشر: العبادة مع العمل

Edit with WPS Office

لم يكن النبي ﷺ يترك مسؤوليات الحياة بحجة العبادة.

كان نبيًا وقائدًا وزوجًا وأبًا ومربيًا.

وكان يجمع بين عبادة الله والقيام بمسؤولياته.

السابع عشر: التوازن في العبادة

كان ﷺ يرفض الغلو.

فعندما أراد بعض الصحابة التشدد في العبادة، بين لهم أن السنة هي الاعتدال.

فالإسلام لا يقوم على الرهبانية.

Edit with WPS Office

الثامن عشر: لا غلو في الدين

كان النبي ﷺ يحذر من التشدد.

وقال:

«هلك المتنطعون».

فخير الهدي هديه ﷺ.

التاسع عشر: الاستمرار في العمل الصالح

Edit with WPS Office

كان ﷺ يحب الأعمال التي تستمر.

وقد قال:

«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل».

فالقليل المستمر خير من الكثير المنقطع.

العشرون: العبادة ليست موسمية

لم تكن العبادة عند النبي ﷺ مرتبطة بموسم واحد.

بل كان دائم الصلة بالله.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: الصلاة في السفر

حتى في السفر كان ﷺ يحافظ على العبادة وفق ما شرعه الله.

فكان يعلم الأمة أن العبادة ترافق الإنسان في جميع أحواله.

الثاني والعشرون: الصلاة عند الخوف

في أصعب الظروف لم تسقط الصلاة.

بل شرع الله صلاة الخوف.

وهذا يدل على مكانة الصلاة.

Edit with WPS Office

الثالث والعشرون: الصلاة وأوقات الشدة

كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

فالصلاة كانت مصدر قوته وطمأنينته.

الرابع والعشرون: الصبر على الطاعة

العبادة تحتاج إلى صبر.

وكان النبي ﷺ صابرًا على الطاعة حتى آخر حياته.

Edit with WPS Office

الخامس والعشرون: الصبر عن المعصية

كان ﷺ أبعد الناس عن المعاصي.

وكان يعلم أمته مراقبة الله.

السادس والعشرون: مراقبة الله

من أعظم معاني العبادة أن يشعر الإنسان أن الله يراه.

وهذا المعنى ظهر في حياة النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

السابع والعشرون: الخوف من الله

كان ﷺ شديد الخشية من الله، مع أنه سيد ولد آدم.

وهذا يبين أن عظمة الإنسان الحقيقية تزيده تواضعًا لله.

الثامن والعشرون: الرجاء في رحمة الله

كان ﷺ يرجو رحمة الله.

وكان يعلم أصحابه ألا ييأسوا من رحمته.

التاسع والعشرون: الجمع بين الخوف والرجاء

Edit with WPS Office

المؤمن لا يعيش بالخوف وحده، ولا بالرجاء وحده.

بل يجمع بينهما.

الثلاثون: محبة الله

كانت محبة الله هي أعظم محركات حياته ﷺ.

فمن أحب الله أحب طاعته.

الحادي والثلاثون: محبة رسول الله ﷺ لله

Edit with WPS Office

كان ﷺ يكثر من الدعاء والذكر.

وكان يظهر افتقاره إلى الله.

الثاني والثلاثون: الافتقار إلى الله

كان النبي ﷺ يعلم أن العبد مهما بلغ من القوة والقدرة فهو فقير إلى الله.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15].

Edit with WPS Office

الثالث والثلاثون: شكر النعم

كان ﷺ يشكر الله على النعم.

والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

الرابع والثلاثون: العبادة والأخلاق

لم تكن العبادة منفصلة عن الأخلاق.

فمن صلى بحق، انعكس ذلك على معاملته.

ومن ذكر الله بحق، ظهر أثر ذلك في قلبه وسلوكه.

Edit with WPS Office

الخامس والثلاثون: العبادة والرحمة

كان ﷺ عابدًا، وكان في الوقت نفسه أرحم الناس.

وهذا دليل على أن العبادة الصحيحة تزيد الإنسان رحمة لا قسوة.

السادس والثلاثون: العبادة والتواضع

كلما ازداد النبي ﷺ عبادة ازداد تواضعًا.

فلم تكن العبادة وسيلة للشعور بالتفوق على الناس.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: العبادة والعمل

كان ﷺ يقوم الليل، ثم يقوم في النهار بمسؤولياته.

فلم يكن الإسلام عنده انفصالًا عن الحياة.

الثامن والثلاثون: العبادة والأسرة

كان ﷺ زوجًا وأبًا، وكان يعيش مع أهله حياة طبيعية، مع محافظته على عبادته.

وهذا نموذج للتوازن.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: القدوة في العبادة

كان النبي ﷺ لا يأمر الناس بما لا يفعله.

بل كان أول الناس تطبيقًا لما يدعو إليه.

الأربعون: العبادة في آخر حياته

حتى في مرضه الأخير، كان ﷺ شديد الحرص على الصلاة.

وكان اهتمامه بها عظيمًا.

Edit with WPS Office

الحادي والأربعون: آخر وصاياه

كانت الصلاة من أعظم الأمور التي اهتم بها النبي ﷺ في أواخر حياته.

وهذا يدل على مكانتها في الدين.

الثاني والأربعون: العبادة وصناعة الإنسان

العبادة الصحيحة تصنع إنسانًا قويًا في الحق، رحيمًا بالخلق، متواضعًا مع الناس.

ولهذا لم تكن عبادة النبي ﷺ انعزالًا عن المجتمع، وإنما كانت مصدرًا لإصلاحه.

Edit with WPS Office

الثالث والأربعون: العبادة طريق إلى الطمأنينة

قال الله تعالى:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28].

وكان النبي ﷺ يجد في ذكر الله والصلاة راحته وسكينته.

الرابع والأربعون: كيف نقتدي بعبادته ﷺ؟

نقتدي به من خلال:

المحافظة على الصلاة.

Edit with WPS Office

وكثرة الذكر.

والاستغفار.

وقراءة القرآن.

والدعاء.

والصيام.

والقيام.

والصدقة.

والإحسان إلى الناس.

والإخلاص لله.

Edit with WPS Office

والاستمرار في الطاعة.

الخامس والأربعون: العبادة التي تغير الحياة

ليست العبادة أن يتحرك الجسد بينما يبقى القلب بعيدًا.

العبادة الحقيقية هي التي تغير الإنسان.

تجعله أصدق.

وأرحم.

وأعدل.

Edit with WPS Office

وأكثر تواضعًا.

وأبعد عن الظلم.

وأقرب إلى الله.

وهكذا كانت عبادة رسول الله ﷺ؛ عبادة صنعت إنسانًا كاملًا في أخلاقه، ثابتًا في دعوته، رحيمًا في معاملاته، قويًا في الحق.

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ أكثر الناس عبادة لله، ومع ذلك كان أكثرهم تواضعًا ورحمةً وحسنًا في المعاملة.

كان يقوم الليل حتى تتعب قدماه، ثم يخرج إلى الناس فيقودهم ويعلمهم ويقضي بينهم.

Edit with WPS Office

وكان كثير الذكر والاستغفار، كثير الدعاء، شديد التوكل، عظيم الخشية.

ولم تكن عبادته انفصالًا عن الحياة، بل كانت هي التي تمنحه القوة لمواجهة الحياة.

ومن أعظم ما نتعلمه من سيرته ﷺ أن الإنسان لا يستطيع أن يبني حياة مستقيمة دون صلة بالله.

فالصلاة تمنحه القوة.

والقرآن يهديه.

والذكر يطمئن قلبه.

والدعاء يشعره بافتقاره إلى ربه.

Edit with WPS Office

والعبادة الحقيقية تصنع منه إنسانًا صالحًا لنفسه وأهله ومجتمعه.

إنه رسول الله ﷺ؛ أعبد الناس لربه، وأخشاهم له، وأشكرهم لنعمائه، وأصدقهم افتقارًا إليه، وقدوة الأمة في العبادة والإخلاص.

Edit with WPS Office

الفصل السادس والأربعون

رسول الله ﷺ في بيته ومع أهله

خير الناس لأهله

تمهيد

قد يستطيع الإنسان أن يظهر حسن الأخلاق أمام الناس، ولكن حقيقة أخلاقه تظهر في بيته؛ حيث يعيش الإنسان بعيدًا عن التكلف والمجاملات.

وقد كان رسول الله ﷺ في بيته مثالًا عظيمًا في الرحمة، والتواضع، وحسن العشرة، والصبر، والوفاء.

وكان ﷺ يقول:

Edit with WPS Office

«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي».

وهذه الكلمة النبوية تلخص منهجًا كاملًا في الحياة الأسرية: أن يكون الإنسان خيرًا مع أقرب الناس إليه، لا أن يجعل حسن أخلاقه للغرباء فقط.

أولًا: البيت في حياة رسول الله ﷺ

كان البيت عند النبي ﷺ مكانًا للسكن والرحمة والطمأنينة.

ولم يكن بيت النبوة خاليًا من المشكلات البشرية الطبيعية، لكنه كان يعالجها بالحكمة والصبر وحسن الخلق.

ثانيًا: حسن معاشرة الزوجات

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يحسن معاشرة زوجاته.

وكان يراعي مشاعرهن، ويستمع إليهن، ويعرف طبائعهن.

وكان يعلم أصحابه أن حسن العشرة من أعظم أبواب الخير.

ثالثًا: كان رحيمًا بأهل بيته

كانت الرحمة حاضرة في تعامله ﷺ مع زوجاته وأبنائه وأحفاده وأهل بيته.

فلم يكن يستخدم القوة أو القسوة وسيلة لإدارة الأسرة.

Edit with WPS Office

رابعًا: كان يساعد أهله

سألت عائشة رضي الله عنها عن حال النبي ﷺ في بيته، فذكرت أنه كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

وهذا نموذج عظيم في التواضع والمشاركة في شؤون البيت.

خامسًا: لم يكن يرى خدمة البيت نقصًا

لم يكن النبي ﷺ يرى أن مكانته تمنعه من القيام بالأعمال المنزلية.

فالقائد العظيم يمكن أن يكون متواضعًا في بيته.

Edit with WPS Office

سادسًا: الابتسامة داخل البيت

كان ﷺ يبتسم ويمازح أهله.

وكان يعرف أن الحياة الزوجية لا تقوم على الأوامر والتعليمات وحدها.

بل تحتاج إلى مودة ومرح ولطف.

سابعًا: الملاطفة

كان ﷺ يلاطف زوجاته.

وكان يعطي الجانب العاطفي مكانته.

Edit with WPS Office

وهذا يعلمنا أن التعبير عن المحبة ليس ضعفًا، وإنما خلق كريم.

ثامنًا: مراعاة المشاعر

كان ﷺ يلاحظ مشاعر زوجاته.

وكان يعرف أحيانًا من كلامهن أو حالهن ما يدل على الرضا أو الغضب.

وكان يتعامل مع ذلك بالحكمة.

تاسعًا: الغيرة الطبيعية

Edit with WPS Office

كانت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن بشرًا لهن مشاعرهن.

وكانت الغيرة تقع بينهن.

وكان النبي ﷺ يتعامل مع هذه المواقف بالحكمة والرفق.

عاشرًا: عدم السخرية من المشاعر

لم يكن ﷺ يحتقر المشاعر الإنسانية.

بل كان يراعيها ويعالجها بالهدوء.

Edit with WPS Office

الحادي عشر: العدل بين الزوجات

كان النبي ﷺ حريصًا على العدل بين زوجاته فيما يجب فيه العدل.

وكان يعلم الأمة خطورة الظلم في الحياة الزوجية.

الثاني عشر: احترام الزوجة

لم تكن الزوجة في بيت النبوة مجرد شخص يؤدي الأعمال المنزلية.

بل كانت إنسانًا له رأي ومشاعر وحقوق.

الثالث عشر: استشارة أهل البيت

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يستشير أحيانًا أهل بيته.

ومن أشهر الأمثلة مشورة أم سلمة رضي الله عنها يوم الحديبية، فقد أخذ برأيها وكان في رأيها حكمة عظيمة.

الرابع عشر: حكمة أم سلمة

عندما اشتد الأمر على الصحابة في الحديبية، أشارت أم سلمة رضي الله عنها على النبي ﷺ أن يخرج فينحر ويحلق، ففعل.

فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى تنفيذ الأمر.

وكان في هذا الموقف درس في أهمية الاستشارة.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: الوفاء لخديجة رضي الله عنها

كان النبي ﷺ وفيًا لخديجة رضي الله عنها بعد وفاتها.

وكان يذكر فضلها ويصل صديقاتها.

وهذا من أعظم صور الوفاء.

السادس عشر: مكانة خديجة

كانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن بالنبي ﷺ وساندته في بداية الدعوة.

Edit with WPS Office

وكان لوقوفها إلى جانبه أثر عظيم في حياته.

السابع عشر: الوفاء لا ينتهي بالموت

تعلمنا سيرة النبي ﷺ أن الوفاء الحقيقي لا ينتهي بوفاة الإنسان.

فمن أحب شخصًا صادقًا، بقي يذكر فضله ويحفظ عهده.

الثامن عشر: احترام عائشة رضي الله عنها

كانت عائشة رضي الله عنها ذات علم وفهم.

وكان النبي ﷺ يقدر مكانتها.

Edit with WPS Office

وقد نقلت للأمة جانبًا كبيرًا من حياته الخاصة.

التاسع عشر: التعليم داخل البيت

لم يكن النبي ﷺ يفصل بين التربية والحياة اليومية.

فكان بيته مدرسة.

وكانت زوجاته يتعلمن منه وينقلن سنته للأمة.

العشرون: بيت النبوة مدرسة للأمة

Edit with WPS Office

خرج من بيوت أمهات المؤمنين علم كثير.

فما كان يحدث في بيت النبي ﷺ من عبادة وأخلاق ومعاملات نقلته زوجاته للأجيال.

الحادي والعشرون: رحمته بالأطفال

كان ﷺ يحب الأطفال ويلاطفهم.

وكان يقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكان يحملهم ويظهر لهم المحبة.

Edit with WPS Office

الثاني والعشرون: الحسن والحسين

كان الحسن والحسين من أحب أهل بيت النبي ﷺ إليه.

وكان ﷺ يظهر حبه لهما.

وقال:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

الثالث والعشرون: الرحمة بالحفيد

كان النبي ﷺ يحمل الحسن أو الحسين أثناء الصلاة أحيانًا، فإذا أراد السجود وضعه، وإذا قام حمله.

Edit with WPS Office

وهذا من أبلغ صور الرحمة بالأطفال.

الرابع والعشرون: فاطمة رضي الله عنها

كانت فاطمة رضي الله عنها من أحب بنات النبي ﷺ إليه.

وكان يحبها ويكرمها.

الخامس والعشرون: محبة الأبناء

كان النبي ﷺ يظهر محبته لأبنائه وأحفاده.

ولم يكن يرى إظهار العاطفة أمام الناس أمرًا ينتقص من الهيبة.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: التربية بالرحمة

كان ﷺ يعلم الأطفال برفق.

فالتربية النبوية لم تكن قائمة على التخويف المستمر.

السابع والعشرون: التربية بالقدوة

كان أهل بيته يرونه يصلي ويذكر الله ويتعامل مع الناس، فيتعلمون منه بالفعل قبل القول.

Edit with WPS Office

الثامن والعشرون: الصبر على مشكلات البيت

لم تكن الحياة الزوجية دائمًا خالية من الاختلاف.

وقد حدثت مواقف بين أمهات المؤمنين.

لكن النبي ﷺ عالجها بالصبر والحكمة.

التاسع والعشرون: عدم فضح المشكلات

كان ﷺ لا يحول المشكلات الأسرية إلى حديث عام.

وهذا يعلمنا حفظ خصوصية البيت.

Edit with WPS Office

الثلاثون: حفظ أسرار الأسرة

البيت له حرمة.

والزوج والزوجة مؤتمنان على أسرار بعضهما.

وقد شدد النبي ﷺ في النهي عن إفشاء الأسرار الزوجية.

الحادي والثلاثون: الكلمة الطيبة

كان ﷺ يعرف أثر الكلمة الطيبة.

وكان يحسن مخاطبة أهله.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: الاعتذار والمراجعة

الحياة الأسرية تحتاج إلى مراجعة النفس.

فالإنسان قد يخطئ، والمهم أن يعرف كيف يصلح الخطأ.

الثالث والثلاثون: الغضب في البيت

كان النبي ﷺ يعلم ضبط النفس.

ولم يكن الغضب وسيلة لإهانة أهل البيت.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: لا ضرب للنساء

كان النبي ﷺ قدوة في حسن معاملة الزوجات.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها:

«ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا».

وهذا من أعظم الشواهد على رحمته وحسن خلقه.

الخامس والثلاثون: الكرامة داخل الأسرة

كان النبي ﷺ يحفظ كرامة أهل بيته.

Edit with WPS Office

فالبيت الذي تسوده الإهانة لا يكون بيتًا مستقرًا.

السادس والثلاثون: المشاركة الوجدانية

كان ﷺ يشارك أهله أفراحهم وأحزانهم.

وهذا يقوي الروابط الأسرية.

السابع والثلاثون: الأسرة ليست مجرد مسؤوليات

الأسرة ليست طعامًا وشرابًا ومسكنًا فقط.

Edit with WPS Office

إنها محبة واهتمام وحوار واحتواء ورحمة.

وهذه المعاني ظهرت في بيت النبوة.

الثامن والثلاثون: حسن الاستماع

كان ﷺ يستمع إلى زوجاته.

وكان يعطيهن فرصة للتعبير.

وهذا من أهم أسباب نجاح الحياة الزوجية.

التاسع والثلاثون: احترام الخصوصية

Edit with WPS Office

كان بيت النبي ﷺ له خصوصيته.

وكانت أحكام الاستئذان وآداب البيوت من الهدي الذي جاء به الإسلام.

الأربعون: البيت مكان للسكينة

قال الله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

وهذا هو الأصل في العلاقة الزوجية: السكينة والمودة والرحمة.

Edit with WPS Office

الحادي والأربعون: القدوة الزوجية

كان النبي ﷺ نموذجًا للزوج الذي يجمع بين القوة والرحمة.

كان قائدًا في الخارج، ومتواضعًا في بيته.

الثاني والأربعون: الرجل العظيم لا يتكبر في بيته

من أعظم الدروس النبوية أن قوة الرجل لا تعني قسوته على أهله.

بل إن عظمة الإنسان تظهر في قدرته على الرحمة والتواضع.

Edit with WPS Office

الثالث والأربعون: الأسرة أساس المجتمع

إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع.

ولهذا كان اهتمام النبي ﷺ بالأسرة جزءًا من بناء الأمة.

الرابع والأربعون: كيف نقتدي بالنبي ﷺ في بيوتنا؟

نقتدي به من خلال:

الكلمة الطيبة.

والابتسامة.

Edit with WPS Office

والرحمة.

والعدل.

والاستماع.

وحفظ الأسرار.

ومساعدة أهل البيت.

واحترام الزوجة.

والرحمة بالأطفال.

والوفاء.

والصبر على الاختلاف.

Edit with WPS Office

والابتعاد عن الإهانة والعنف.

الخامس والأربعون: البيت النبوي رسالة

كان بيت رسول الله ﷺ مدرسة في الأخلاق.

ومن يقرأ سيرته داخل بيته يدرك أن الإسلام ليس عبادات تؤدى في المسجد فقط، وإنما أخلاق تعاش في البيت.

فالزوج الصالح يبدأ حسن خلقه من أقرب الناس إليه.

والأب الصالح يربي أبناءه بالرحمة.

والأم الصالحة تبني بيتًا قائمًا على المودة.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كان رسول الله ﷺ في بيته كما كان في حياته كلها: رحيمًا، متواضعًا، كريمًا، وفيًا، حسن العشرة.

لم تكن مكانته كنبي وقائد تمنعه من مساعدة أهله.

ولم تكن قوته في المجتمع سببًا لقسوته داخل البيت.

بل كان ﷺ خير الناس لأهله.

وفي سيرته درس عظيم لكل زوج وأب:

لا تجعل حسن أخلاقك للناس خارج بيتك، ثم يكون أهلك أكثر

Edit with WPS Office

الناس معاناة منك.

فأقرب الناس إليك هم أولى الناس بحسن خلقك.

وكان رسول الله ﷺ خير قدوة في ذلك.

إنه رسول الله ﷺ؛ الزوج الرحيم، والأب الحاني، والجد المحب، و القائد المتواضع، الذي جعل من بيته مدرسة للمودة والرحمة وحسن العشرة.

Edit with WPS Office

الفصل السابع والأربعون

رحمة رسول الله ﷺ بالناس

رحمةٌ وسعت القريب والبعيد

تمهيد

كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالناس، وألينهم قلبًا، وأعظمهم شفقة على الخلق.

وقد جعل الله تعالى الرحمة من أبرز صفاته ﷺ، فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

فلم تكن رحمته ﷺ مقتصرة على أصحابه وأهل بيته، وإنما شملت المؤمنين، والضعفاء، والأطفال، والنساء، وحتى من خالفوه وآذوه.

Edit with WPS Office

وكانت رحمته جزءًا أصيلًا من رسالته، وليست مجرد عاطفة عابرة.

أولًا: رسول الله ﷺ رحمة للعالمين

لم يصف القرآن النبي ﷺ بأنه رحمة لقومه فقط، بل قال:

﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

وهذا يدل على سعة رسالته، وعظمة رحمته، وشمول هديه.

ثانيًا: الرحمة أساس الدعوة

Edit with WPS Office

لم يكن النبي ﷺ يدعو الناس بالغلظة.

قال الله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

فاللين كان سببًا في اجتماع الناس حوله.

ثالثًا: الرحمة بالأطفال

كان النبي ﷺ يحب الأطفال ويقبلهم ويحملهم.

وكان يرى في ذلك رحمةً وفطرةً سليمة.

Edit with WPS Office

وعندما رأى بعض الناس يقبلون أبناءهم، بيّن لهم أهمية الرحمة.

رابعًا: الرحمة بالحسن والحسين

كان ﷺ شديد المحبة للحسن والحسين رضي الله عنهما.

وكان يظهر حبه لهما أمام الناس.

وهذا يعلم الآباء أن إظهار المحبة للأطفال من التربية الحسنة.

خامسًا: الرحمة باليتيم

اهتم النبي ﷺ باليتامى.

Edit with WPS Office

وحث على رعايتهم والإحسان إليهم.

وقال:

«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وأشار بالسبابة والوسطى.

سادسًا: الرحمة بالمساكين

كان ﷺ قريبًا من الفقراء والمساكين.

وكان يحث أصحابه على إطعامهم ومساعدتهم.

Edit with WPS Office

سابعًا: الرحمة بالضعفاء

لم يكن الضعف عند النبي ﷺ سببًا لاحتقار الإنسان.

بل كان الضعفاء محل عناية ورعاية.

ثامنًا: الرحمة بالنساء

أوصى النبي ﷺ بالنساء خيرًا.

وكان يحث الرجال على حسن معاشرتهن.

فالمرأة لها كرامتها وحقوقها.

Edit with WPS Office

تاسعًا: الرحمة بالخدم

كان ﷺ يحسن معاملة من يخدمه.

ولم يكن يضرب خادمًا ولا يهينه.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها:

«ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا».

عاشرًا: الرحمة بالحيوان

امتدت رحمته ﷺ إلى الحيوانات.

Edit with WPS Office

فنهى عن تعذيبها، وحث على الإحسان إليها.

وهذا يدل على أن الرحمة خلق شامل.

الحادي عشر: الرحمة في الذبح

حتى عند ذبح الحيوان أمر النبي ﷺ بالإحسان.

فقال:

«إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

الثاني عشر: النهي عن تعذيب الحيوان

Edit with WPS Office

نهى ﷺ عن اتخاذ الحيوان هدفًا للرمي.

كما نهى عن تعذيبه أو تجويعه.

الثالث عشر: الرحمة بالبيئة

جاءت السنة بتوجيهات تحافظ على الموارد وتمنع الإفساد.

ومن ذلك النهي عن الإسراف في الماء، حتى في بعض صور العبادة.

الرابع عشر: الرحمة بالمذنب

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يفرق بين خطأ الإنسان وشخصه.

فقد يخطئ الإنسان، لكنه لا يصبح بذلك إنسانًا بلا قيمة.

ولهذا كان يعالج الأخطاء بالتعليم والإصلاح.

الخامس عشر: الرحمة بالجاهل

كان بعض الناس يجهلون أحكام الدين.

فكان النبي ﷺ يعلمهم برفق.

ومن أشهر الأمثلة قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، فلم يعنفه النبي ﷺ بعنف، وإنما علّمه.

Edit with WPS Office

السادس عشر: التعليم بالرفق

كان ﷺ يقول:

«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

فالتربية النبوية قائمة على التيسير والحكمة.

السابع عشر: الرحمة في الصلاة

كان ﷺ يراعي أحوال المصلين.

فقد يخفف الصلاة إذا سمع بكاء طفل، مراعاة لأمه.

Edit with WPS Office

وهذا من أعظم صور الرحمة.

الثامن عشر: الرحمة بالأمهات

كان ﷺ يعرف أن الأم قد تتألم لبكاء طفلها.

فكان يراعي ذلك في عبادته.

التاسع عشر: الرحمة بالمرضى

كان ﷺ يعود المرضى، ويسأل عنهم، ويدعو لهم.

Edit with WPS Office

وكان يعلم أصحابه فضل زيارة المريض.

العشرون: الرحمة بالمحزون

كان ﷺ يواسي أصحاب المصائب.

ويخفف عنهم.

ويعلمهم الصبر والاحتساب.

الحادي والعشرون: الرحمة عند الموت

كان ﷺ يواسي أهل الميت.

Edit with WPS Office

وكان يعلمهم أن الموت حق، وأن الصبر سبب للأجر.

الثاني والعشرون: الرحمة بأصحابه

كان ﷺ يعرف أحوال أصحابه.

ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم.

وكان قريبًا منهم.

الثالث والعشرون: لم يكن متعاليًا على أصحابه

Edit with WPS Office

مع عظيم مكانته، كان يجلس بينهم وكأنه واحد منهم.

وكان يشاركهم حياتهم.

الرابع والعشرون: الرحمة بالغرباء

كان الغريب يجد في رسول الله ﷺ صدرًا رحبًا.

وكان يسمع له ويجيب عن أسئلته.

الخامس والعشرون: الرحمة بالمخالف

لم تكن مخالفته ﷺ للناس سببًا في الظلم أو التعدي.

Edit with WPS Office

كان يدعو بالحكمة، ويقيم الحجة، ويحفظ الحقوق.

السادس والعشرون: الرحمة حتى مع من آذاه

تعرض النبي ﷺ لأذى شديد من قومه.

ومع ذلك كان يرجو لهم الهداية.

السابع والعشرون: موقفه في الطائف

بعد أن آذاه أهل الطائف، جاءه ملك الجبال يعرض أن يطبق عليهم ا
لأخشبين.

Edit with WPS Office

فلم يختر الانتقام.

بل قال ﷺ ما معناه إنه يرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده.

وهذه من أعظم صور الرحمة.

الثامن والعشرون: الرحمة يوم فتح مكة

دخل النبي ﷺ مكة منتصرًا.

وكان يستطيع أن يعاقب من آذوه.

لكنه اختار العفو عن كثير منهم.

Edit with WPS Office

فكان فتح مكة مثالًا في الرحمة عند القدرة.

التاسع والعشرون: العفو عند المقدرة

العفو الحقيقي يظهر عندما يكون الإنسان قادرًا على الانتقام.

وقد كان النبي ﷺ قادرًا، ومع ذلك كان يعفو في مواضع كثيرة.

الثلاثون: الرحمة ليست ضعفًا

قد يظن البعض أن الرحمة تعني الضعف.

لكن سيرة النبي ﷺ تثبت العكس.

Edit with WPS Office

فكان رحيمًا وقويًا.

عادلًا وشجاعًا.

حازمًا ورؤوفًا.

الحادي والثلاثون: الرحمة والحزم

لم يكن النبي ﷺ يترك الخطأ بلا علاج.

لكن حَزمه كان منضبطًا بالعدل والحكمة.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: الرحمة والعدل

الرحمة لا تعني إضاعة الحقوق.

والعدل لا يعني القسوة.

وكان النبي ﷺ يجمع بين الرحمة والعدل.

الثالث والثلاثون: الرحمة في الأسرة

كان ﷺ رحيمًا بأهل بيته.

وكان يلاطف زوجاته وأطفاله وأحفاده.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: الرحمة في التربية

كان ﷺ يعلم الناس بما يناسب عقولهم وأحوالهم.

فلا يعامل الجميع بالطريقة نفسها.

الخامس والثلاثون: الرحمة في الدعوة

كان ﷺ يختار الكلمات المناسبة.

وكان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة.

Edit with WPS Office

السادس والثلاثون: عدم التنفير

كان ﷺ يحذر من التشدد الذي ينفر الناس.

وكان يقول:

«يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا».

السابع والثلاثون: الرحمة بالجاهل لا تعني إقرار الخطأ

كان ﷺ يصحح الأخطاء.

لكنه كان يفرق بين تصحيح الخطأ وإهانة صاحبه.

وهذا منهج تربوي عظيم.

Edit with WPS Office

الثامن والثلاثون: الرحمة في التعامل

الكلمة الطيبة رحمة.

والابتسامة رحمة.

ومساعدة المحتاج رحمة.

وستر المسلم رحمة.

والعفو رحمة.

والإحسان إلى الحيوان رحمة.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: الرحمة في المجتمع

المجتمع الذي تسوده الرحمة يكون أكثر أمنًا واستقرارًا.

فإذا رحم القوي الضعيف، وأعان الغني الفقير، وأكرم الكبير الصغير، انتشرت المودة.

الأربعون: الرحمة بين المسلمين

قال الله تعالى:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

Edit with WPS Office

فالرحمة بين المؤمنين من صفات المجتمع الصالح.

الحادي والأربعون: الرحمة تصنع مجتمعًا قويًا

المجتمع لا يقوى بالقوة المادية وحدها.

بل يحتاج إلى الرحمة والتكافل والتعاون.

الثاني والأربعون: الرحمة في عصرنا

نحن في حاجة شديدة إلى استعادة خلق الرحمة.

Edit with WPS Office

ففي زمن كثرت فيه الخصومات والمشاحنات، يحتاج الإنسان إلى أن يتعلم كيف يختلف دون أن يكره، وكيف ينصح دون أن يهين، وكيف ينتقد دون أن يظلم.

الثالث والأربعون: كيف نقتدي برحمة النبي ﷺ؟

نقتدي به عندما:

نرحم أطفالنا.

ونحسن إلى والدينا.

ونكرم زوجاتنا.

ونساعد الفقراء.

Edit with WPS Office

ونرعى اليتامى.

ونعود المرضى.

ونحسن إلى الحيوان.

ونعفو عند القدرة.

ونرفق بالجاهل.

وننصح بالحكمة.

ولا نؤذي أحدًا بغير حق.

Edit with WPS Office

الرابع والأربعون: الرحمة تبدأ من البيت

لا يصح أن يكون الإنسان لطيفًا مع الغرباء وقاسيًا مع أسرته.

فالرحمة تبدأ من أقرب الناس.

ثم تمتد إلى الجيران والأصدقاء والزملاء والمجتمع كله.

الخامس والأربعون: الرحمة طريق إلى محبة الله

قال النبي ﷺ:

«الراحمون يرحمهم الرحمن».

فمن رحم عباد الله كان أرجى لرحمة الله.

Edit with WPS Office

خاتمة الفصل

كانت الرحمة من أعظم سمات شخصية رسول الله ﷺ.

رحم الأطفال، ورحم النساء، ورحم الضعفاء، ورحم الفقراء، ورحم المرضى، ورحم الخدم، ورحم الحيوان، ورحم حتى من أساء إليه.

ولم تكن رحمته ضعفًا أو تنازلًا عن الحق، بل كانت رحمةً مرتبطة بـ الحكمة والعدل.

وكان ﷺ يعلمنا أن الإنسان لا يكتمل إيمانه إذا تحول قلبه إلى قلب قاسٍ لا يعرف الرحمة.

إن الرحمة ليست كلمة تقال، وإنما سلوك يومي.

Edit with WPS Office

أن ترى الضعيف فتساعده.

وأن ترى المخطئ فتنصحه.

وأن ترى المحتاج فتعينه.

وأن ترى الحزين فتواسيه.

وأن تملك القدرة على الانتقام ثم تختار العفو في موضع العفو.

وهكذا كان رسول الله ﷺ رحمة تمشي على الأرض.

إنه رسول الله ﷺ؛ رحمةٌ للعالمين، ونبيٌ علّم البشرية أن القوة لا تناقض الرحمة، وأن العدل لا يلغي الإحسان، وأن أعظم القلوب هي أكثرها رحمة بخلق الله.

Edit with WPS Office

الفصل الثامن والأربعون

رسول الله ﷺ مع أصحابه

المربي والقائد والصاحب الوفي

تمهيد

كان أصحاب رسول الله ﷺ من أكثر الناس حبًا له، ولم يكن هذا الحب بسبب كونه نبيًا فقط، وإنما لأنهم وجدوا فيه ﷺ من كمال الأ خلاق، وحسن المعاملة، والرحمة، والتواضع، والوفاء، ما جعلهم يتعلقون به تعلقًا عظيمًا.

كان ﷺ قائدهم، ومعلمهم، وإمامهم، ولكنه في الوقت نفسه كان قريبًا منهم، يعرف أحوالهم، ويسأل عن غائبهم، ويواسي حزينهم، ويعين ضعيفهم، ويستمع إلى مشكلاتهم.

وقد استطاع ﷺ أن يبني جيلًا لم تعرف البشرية له نظيرًا في الإ

Edit with WPS Office

إيمان والتضحية والثبات.

أولًا: الصحابة مدرسة النبوة

لم يكن أصحاب النبي ﷺ مجرد أتباع يسمعون الأوامر وينفذونها.

بل كانوا تلاميذ في مدرسة متكاملة.

تعلموا منه العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والسياسة، والجهاد، والتعامل مع الناس.

وكان ﷺ يربيهم بالقول والفعل.

Edit with WPS Office

ثانيًا: معرفة أحوال أصحابه

كان النبي ﷺ يعرف أصحابه ويعرف أحوالهم.

فكان يسأل عن الغائب، ويعود المريض، ويواسي المصاب.

وكان يشعر بمشكلات أصحابه.

ثالثًا: لم يكن بعيدًا عنهم

لم يكن النبي ﷺ يعيش في برج عاجي.

بل كان يعيش مع أصحابه ويشاركهم حياتهم.

وكان يأكل معهم، ويجلس معهم، ويسافر معهم، ويشاركهم أفراحهم

Edit with WPS Office

وأحزانهم.

رابعًا: التواضع مع الصحابة

كان ﷺ متواضعًا جدًا.

وكان إذا دخل المجلس لا يطلب أن يقوم الناس له.

وكان يكره المبالغة في تعظيمه.

خامسًا: المصافحة والسلام

كان ﷺ يسلم على أصحابه.

Edit with WPS Office

وكان يبدأ من لقيه بالسلام.

وكان ذلك سببًا في نشر المحبة بينهم.

سادسًا: الابتسامة

كان ﷺ كثير التبسم.

وكانت ابتسامته تفتح القلوب.

وهذا يعلم القادة والمربين أن الوجه البشوش أقرب إلى النفوس.

Edit with WPS Office

سابعًا: المزاح

كان النبي ﷺ يمزح مع أصحابه.

لكنه لم يكن يقول إلا الحق.

فكان مزاحه خاليًا من الكذب والإهانة.

ثامنًا: احترام شخصية الصحابي

كان النبي ﷺ يتعامل مع أصحابه باعتبارهم أشخاصًا لهم قدراتهم ومواهبهم.

فلم يكن يحطم شخصية أحد.

Edit with WPS Office

بل كان يكتشف مواطن القوة في كل شخص ويوجهها.

تاسعًا: اكتشاف المواهب

كان النبي ﷺ يعرف قدرات أصحابه.

فهذا بارع في القيادة.

وذاك في القضاء.

وآخر في العلم.

وآخر في القتال.

وآخر في الدعوة.

Edit with WPS Office

وكان يوظف كل موهبة في مكانها المناسب.

عاشرًا: الشورى

كان ﷺ يستشير أصحابه.

وقد استشارهم في بدر وأحد والخندق وغيرها.

وهذا يعلمنا أن القائد الناجح لا يستغني عن آراء من حوله.

الحادي عشر: احترام الرأي الآخر

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ يسمع آراء أصحابه.

وقد يأخذ بالرأي الذي يراه أصوب.

وهذا من كمال قيادته.

الثاني عشر: التربية بالحوار

لم يكن النبي ﷺ يعتمد دائمًا على المحاضرة.

بل كان يسأل ويجيب.

ويضرب الأمثال.

ويستخدم الحوار.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: التعليم بالسؤال

كان أحيانًا يطرح السؤال على أصحابه ليحرك عقولهم.

وهذا من أعظم أساليب التعليم.

الرابع عشر: ضرب الأمثال

كان ﷺ يستخدم الأمثال لتقريب المعاني.

فالمثال يساعد الإنسان على فهم الفكرة وتثبيتها.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: مراعاة الفروق الفردية

لم يكن ﷺ يعطي الجميع الإجابة نفسها في كل موقف.

بل كان يراعي حال الشخص وقدرته واحتياجه.

السادس عشر: التربية بالتدرج

كان ﷺ يربي الناس بالتدرج.

فلم يكن يطلب من الإنسان أن ينتقل في يوم واحد من حال إلى ح
ال.

Edit with WPS Office

السابع عشر: تشجيع أصحاب الهمم

كان ﷺ يشجع أصحابه على الخير.

وكان يذكر فضل الأعمال الصالحة.

وهذا يجعل الإنسان أكثر رغبة في الطاعة.

الثامن عشر: الثناء في موضعه

كان النبي ﷺ يثني على بعض أصحابه عندما تظهر منهم خصلة عظيمة.

Edit with WPS Office

وكان ثناؤه تربويًا، لا مجرد مجاملة.

التاسع عشر: أبو بكر الصديق رضي الله عنه

كان أبو بكر من أقرب أصحاب النبي ﷺ إليه.

وكان مثالًا في الصدق والإيمان والتضحية.

وقد ظهرت مكانته في مواقف كثيرة من السيرة.

العشرون: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان عمر قوي الشخصية، عظيم الهيبة.

Edit with WPS Office

وقد استفاد النبي ﷺ من قوته في خدمة الإسلام.

ثم أصبح بعد ذلك ثاني الخلفاء الراشدين.

الحادي والعشرون: عثمان بن عفان رضي الله عنه

كان عثمان مثالًا في الحياء والكرم.

وكان النبي ﷺ يقدر صفاته.

الثاني والعشرون: علي بن أبي طالب رضي الله عنه

Edit with WPS Office

كان علي شجاعًا عالمًا، ومن أقرب أهل بيت النبي ﷺ إليه.

وكان له مكانة عظيمة في الإسلام.

الثالث والعشرون: بلال رضي الله عنه

كان بلال مثالًا في الصبر والثبات.

وكان من أوائل المسلمين.

وقد ارتبط اسمه بالأذان.

الرابع والعشرون: سلمان الفارسي رضي الله عنه

Edit with WPS Office

كان سلمان صاحب تجربة طويلة في البحث عن الحق.

واستفاد النبي ﷺ من رأيه في غزوة الخندق.

وهذا نموذج لاحترام الخبرة والرأي.

الخامس والعشرون: معاذ بن جبل رضي الله عنه

كان معاذ من أهل العلم.

وأرسله النبي ﷺ إلى اليمن داعيًا ومعلمًا.

وهذا يدل على ثقته بعلمه وقدرته.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: أسامة بن زيد رضي الله عنه

ولا ّه النبي ﷺ قيادة جيش وهو شاب.

وفي ذلك دليل على اكتشاف المواهب وعدم احتقار الشباب.

السابع والعشرون: الشباب في مدرسة النبوة

لم يكن النبي ﷺ يرى صغر السن مانعًا من المسؤولية.

بل كان يعطي الشباب فرصًا للتعلم والقيادة.

Edit with WPS Office

الثامن والعشرون: النساء في مدرسة النبوة

كان للنساء دور كبير في نقل العلم.

ومن أبرزهن عائشة رضي الله عنها التي أصبحت من كبار علماء الصحابة.

التاسع والعشرون: احترام أصحاب الخبرات

كان النبي ﷺ يستفيد من خبرات أصحابه.

وكان لا يرى في ذلك انتقاصًا من مكانته.

Edit with WPS Office

الثلاثون: الوفاء للأصحاب

كان ﷺ وفيًا لأصحابه.

يحفظ فضلهم.

ويذكر مواقفهم.

ولا ينسى من وقف معه.

الحادي والثلاثون: مواساة أصحابه

إذا أصيب أحد أصحابه، كان النبي ﷺ يواسيه.

Edit with WPS Office

وكان يشعر بآلامهم.

الثاني والثلاثون: المشاركة في الأحزان

لم يكن النبي ﷺ قائدًا يطلب من الناس التضحية ثم يبتعد عنهم.

بل كان يشاركهم آلامهم.

الثالث والثلاثون: المشاركة في الأفراح

كما كان يشاركهم الحزن، كان يشاركهم الفرح.

وكان يفرح بنصرهم وخيرهم.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: الرحمة بالمخطئ

إذا أخطأ أحد الصحابة، لم يكن النبي ﷺ يسارع إلى تحطيمه.

بل كان يصحح الخطأ ويربي صاحبه.

الخامس والثلاثون: قصة الرجل الذي بال في المسجد

عندما بال أعرابي في المسجد، أراد الصحابة أن يمنعوه بعنف.

فقال النبي ﷺ:

Edit with WPS Office

«دعوه».

ثم علمه برفق.

وكان في ذلك درس عظيم في كيفية التعامل مع الجاهل.

السادس والثلاثون: قصة معاوية بن الحكم

لما تكلم معاوية بن الحكم في الصلاة جاهلًا بالحكم، لم يعنفه النبي ﷺ، وإنما علمه.

فقال معاوية بعد ذلك إنه لم ير معلمًا أحسن تعليمًا منه ﷺ.

Edit with WPS Office

السابع والثلاثون: علاج الخطأ لا إذلال المخطئ

كان النبي ﷺ يركز على إصلاح الخطأ.

لا على إذلال الإنسان.

وهذا أصل تربوي عظيم.

الثامن والثلاثون: حفظ كرامة الصحابي

حتى عند الخطأ، كان النبي ﷺ يحفظ للإنسان كرامته.

وهذا يجعل المخطئ أكثر استعدادًا للتغيير.

Edit with WPS Office

التاسع والثلاثون: عدم التوبيخ المستمر

لم يكن النبي ﷺ يجعل التربية قائمة على التوبيخ.

بل كان يستخدم التشجيع والتعليم والقدوة.

الأربعون: بناء الثقة

كان النبي ﷺ يمنح أصحابه الثقة.

ومنحهم الثقة جعلهم قادرين على تحمل المسؤولية.

Edit with WPS Office

الحادي والأربعون: إعداد القادة

لم يكن هدف التربية النبوية صناعة أشخاص يعتمدون عليه ﷺ في كل شيء.

بل كان يعدهم لحمل الرسالة بعده.

ولهذا خرج من مدرسة النبوة قادة كبار.

الثاني والأربعون: بناء الإنسان قبل الدولة

بدأ النبي ﷺ ببناء الإنسان.

فبنى العقيدة والأخلاق والإيمان.

Edit with WPS Office

ثم أقام المجتمع والدولة.

وهذه قاعدة مهمة في الإصلاح.

الثالث والأربعون: الصحابة يحملون الرسالة

بعد وفاة النبي ﷺ، حمل الصحابة الرسالة إلى أنحاء واسعة من العالم.

وكان هذا ثمرة التربية النبوية.

الرابع والأربعون: الحب المتبادل

Edit with WPS Office

كان حب الصحابة للنبي ﷺ عظيمًا.

وكان هو ﷺ يحبهم ويدعو لهم.

فكانت العلاقة بينهم قائمة على الإيمان والمودة.

الخامس والأربعون: الدرس الأكبر

من أعظم دروس تعامل النبي ﷺ مع أصحابه أن القيادة الحقيقية ليست أوامر فقط.

بل:

قدوة.

Edit with WPS Office

ورحمة.

وحوار.

وثقة.

وشورى.

وتربية.

وعدل.

ووفاء.

خاتمة الفصل

Edit with WPS Office

نجح رسول الله ﷺ في بناء أعظم جيل عرفته الأمة، لأنه لم يكتفِ بإعطاء الأوامر، بل بنى الإنسان من الداخل.

علّمهم الإيمان.

وزرع فيهم الأخلاق.

وأعطاهم الثقة.

واكتشف مواهبهم.

وشاورهم.

وأشركهم في المسؤولية.

وصبر على أخطائهم.

Edit with WPS Office

وعالج جهلهم بالرحمة.

فكانوا بعد ذلك رجالًا حملوا الإسلام إلى الآفاق.

ومن هنا ندرك أن عظمة النبي ﷺ لم تكن في أنه كان قائدًا فقط، وإنما في أنه كان مربيًا يصنع الرجال، ويهذب النفوس، ويبني الإ نسان القادر على حمل الأمانة.

إنه رسول الله ﷺ؛ المعلم والمربي والقائد والصاحب الوفي، الذي دخل القلوب قبل أن يقود الجيوش، وصنع أمةً عظيمة من رجال ونساء تربوا على يديه.

ومن أراد أن يعرف سر نجاح التربية النبوية، فليتأمل كيف كان رسول الله ﷺ يعامل الإنسان: يراه بقدرته، ويرحم ضعفه، ويصحح خطأه، ويشجعه على الخير، ثم يمنحه الثقة ليحمل المسؤولية.

Edit with WPS Office

الفصل التاسع والأربعون

عدل رسول الله ﷺ

ميزانٌ لا يميل مع الهوى

تمهيد

كان العدل من أعظم صفات رسول الله ﷺ، فقد أقام حياته كلها على الحق، ولم يكن يفرق في الحكم بين قوي وضعيف، ولا بين قريب وبعيد، ولا بين غني وفقير.

وكان ﷺ يعلم أن العدل أساس استقامة المجتمعات، وأن الظلم إذا انتشر أفسد القلوب والبيوت والدول.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].

Edit with WPS Office

وكان النبي ﷺ أول الناس امتثالًا لأمر ربه.

أولًا: العدل من صميم الرسالة

لم تكن رسالة النبي ﷺ قائمة على العبادة وحدها، وإنما جاءت أيضًا لإقامة العدل بين الناس.

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].

فالعدل مقصد عظيم من مقاصد الرسالات.

Edit with WPS Office

ثانيًا: العدل مع القريب والبعيد

كان ﷺ يعدل مع الجميع.

فلا يجعل القرابة سببًا للمحاباة.

ولا يجعل الخصومة سببًا للظلم.

وهذا هو العدل الحقيقي.

ثالثًا: لا فرق بين غني وفقير

كان الفقير عند النبي ﷺ صاحب كرامة.

Edit with WPS Office

وكان الغني لا يحصل على حق ليس له لمجرد غناه.

فالحقوق عنده لا تباع بالمال.

رابعًا: لا فرق بين قوي وضعيف

القوي والضعيف أمام الحق سواء.

فإذا كان للضعيف حق، وجب أن يأخذه.

وإذا كان على القوي حق، وجب أن يؤديه.

Edit with WPS Office

خامسًا: قصة المرأة المخزومية

من أشهر مواقف النبي ﷺ في العدل قصة المرأة المخزومية التي سرقت.

فشفع فيها بعض الناس حتى لا يقام عليها الحد لمكانتها.

فأنكر النبي ﷺ ذلك بشدة.

وقال:

«والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وهذا من أعظم نماذج المساواة أمام القانون.

Edit with WPS Office

سادسًا: العدل لا يعرف المحاباة

كان النبي ﷺ يعلم أن الأمم السابقة هلكت عندما كانت تطبق القانون على الضعيف وتترك القوي.

فالظلم يبدأ عندما يصبح القانون مختلفًا باختلاف الأشخاص.

سابعًا: العدل مع المخالف

حتى مع من يختلف معك، يجب أن تكون عادلًا.

قال الله تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: 8].

Edit with WPS Office

وهذا منهج عظيم في التعامل مع الخصوم.

ثامنًا: العدل في الشهادة

كان الإسلام شديدًا في أمر الشهادة.

فلا يجوز للإنسان أن يشهد بالباطل لمجرد أن الشخص قريب منه أو يحبه.

تاسعًا: العدل في الحكم

كان النبي ﷺ يحكم بالحق، ولا يحكم لمجرد العاطفة.

Edit with WPS Office

فالحق هو الميزان.

عاشرًا: القضاء يحتاج إلى بينة

علّم النبي ﷺ الناس أن القضاء لا يقوم على مجرد الادعاءات.

بل لا بد من البينة والحجة.

الحادي عشر: لا يجوز ظلم أحد

كان النبي ﷺ يحذر من الظلم.

Edit with WPS Office

وقال فيما يرويه عن ربه:

«يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا».

الثاني عشر: الظلم ظلمات

قال النبي ﷺ:

«اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

فالظلم ليس مجرد مشكلة دنيوية، وإنما له تبعات عند الله.

Edit with WPS Office

الثالث عشر: العدل داخل الأسرة

كان ﷺ عادلًا في بيته.

وكان يعلم الناس العدل بين الأولاد والزوجات وأفراد الأسرة.

الرابع عشر: العدل بين الأبناء

من صور العدل أن لا يفضل الوالدان بعض الأبناء على بعض في الحقوق والعطاء بغير سبب مشروع.

فالتمييز الظالم يزرع الحقد بين الإخوة.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: العدل في المعاملة

كان ﷺ حسن المعاملة مع الناس.

فلا يعطي شخصًا اهتمامًا بسبب ماله فقط، ولا يهين فقيرًا لفقره.

السادس عشر: كرامة الإنسان

العدل يحفظ كرامة الإنسان.

ولهذا كان النبي ﷺ يحترم الإنسان لكونه إنسانًا، ولا يجعل المال أو الجاه معيارًا لقيمة الشخص.

Edit with WPS Office

السابع عشر: العدل والرحمة

لم يكن العدل عند النبي ﷺ قسوة.

بل كان يجمع بين العدل والرحمة.

فالرحمة لا تعني الظلم، والعدل لا يعني غياب الرحمة.

الثامن عشر: العدل والحزم

كان النبي ﷺ حازمًا عندما يحتاج الأمر إلى الحزم.

لكن حزمه كان قائمًا على الحق، لا على الغضب الشخصي.

Edit with WPS Office

التاسع عشر: لا ينتقم لنفسه

كان ﷺ يعفو في الأمور التي تتعلق بشخصه.

أما حقوق الله وحقوق الناس فكان يقيم فيها العدل.

وهذا يبين الفرق بين الانتقام الشخصي وإقامة الحق.

العشرون: العدل في أوقات القوة

تظهر أخلاق الإنسان الحقيقية عندما يمتلك القوة.

وقد كان النبي ﷺ في أشد حالات القوة متواضعًا وعادلًا.

Edit with WPS Office

الحادي والعشرون: العدل يوم فتح مكة

دخل النبي ﷺ مكة منتصرًا.

وكان أهلها قد آذوه وأخرجوه وحاربوه.

ومع ذلك لم يحول النصر إلى انتقام أعمى.

بل جمع بين القوة والعفو والعدل.

الثاني والعشرون: العفو ليس إلغاءً للعدل

قد يعفو الإنسان عن حق شخصي.

Edit with WPS Office

لكن العفو شيء، وإهدار حقوق الآخرين شيء آخر.

وهذا من دقة المنهج النبوي.

الثالث والعشرون: العدل في المال

كان النبي ﷺ يحذر من أكل أموال الناس بالباطل.

وكان يحث على أداء الحقوق.

الرابع والعشرون: أداء الأمانات

Edit with WPS Office

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58].

فالعدل يبدأ من أداء الأمانة.

الخامس والعشرون: العدل في التجارة

حث الإسلام على الصدق في البيع والشراء.

ونهى عن الغش والخداع.

فالمال لا يبرر الظلم.

Edit with WPS Office

السادس والعشرون: العدل في الكيل والميزان

قال الله تعالى:

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: 152].

فالعدل يبدأ حتى في التفاصيل الصغيرة.

السابع والعشرون: العدل في العمل

من العدل أن يعطي الإنسان العامل حقه.

وألا يستغل حاجته.

Edit with WPS Office

وألا يؤخر أجره بغير حق.

الثامن والعشرون: العدل مع الضعفاء

كان النبي ﷺ يوصي بحفظ حقوق الضعفاء.

فالمجتمع القوي هو الذي يحمي أفراده الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم.

التاسع والعشرون: العدل مع اليتامى

أولى الإسلام اليتيم عناية خاصة.

Edit with WPS Office

ونهى عن أكل ماله أو الاعتداء على حقه.

الثلاثون: العدل مع النساء

جاء الإسلام بحفظ حقوق المرأة.

وكان النبي ﷺ يوصي بحسن معاملتها وعدم ظلمها.

الحادي والثلاثون: العدل مع الخدم

لم يكن النبي ﷺ يرى أن خدمة الإنسان تجعله بلا كرامة.

بل كان يحفظ حقوق الخدم ويحسن معاملتهم.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: العدل مع غير المسلمين

كان النبي ﷺ يحفظ العهود والمواثيق.

ويأمر بالوفاء بها.

فلا يجوز ظلم من لم يعتدِ عليك.

الثالث والثلاثون: الوفاء بالعهد

كان الوفاء بالعهد من أخلاق النبي ﷺ.

Edit with WPS Office

فإذا عاهد لم يكن الغدر طريقه.

الرابع والثلاثون: العدل في الحرب

حتى في الحرب كانت هناك ضوابط.

فلم تكن الحرب في الإسلام بابًا للفوضى والانتقام من الأبرياء.

الخامس والثلاثون: النهي عن قتل غير المقاتلين

جاءت السنة بالنهي عن قتل النساء والصبيان وغير المقاتلين.

وهذا يؤكد أن الحرب ليست إباحة للظلم.

Edit with WPS Office

السادس والثلاثون: العدل مع الأسرى

كان للأسرى حقوق وضوابط.

وكان النبي ﷺ يحث على الإحسان إليهم.

السابع والثلاثون: العدل حتى في الخصومة

لا يجوز أن تتحول الخصومة إلى كذب أو افتراء.

فالعداوة لا تبيح الظلم.

Edit with WPS Office

الثامن والثلاثون: العدل مع النفس

على الإنسان أن يكون عادلًا مع نفسه.

فلا يحملها فوق طاقتها.

ولا يظلمها بالمعاصي.

ولا يهمل حقوقها المشروعة.

التاسع والثلاثون: العدل بين العمل والراحة

كان النبي ﷺ يعلم التوازن.

Edit with WPS Office

فللجسد حق.

وللأهل حق.

وللنفس حق.

وللرب حق.

الأربعون: العدل في الحكم على الناس

لا يجوز أن نحكم على شخص من موقف واحد.

ولا أن ننقل عنه كلامًا دون تثبت.

Edit with WPS Office

فالعدل يحتاج إلى معرفة وتأنّ.

الحادي والأربعون: التثبت قبل الحكم

قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: 6].

وهذا أصل عظيم في العدل.

الثاني والأربعون: لا ظلم بالشائعات

الشائعة قد تهدم سمعة إنسان بريء.

Edit with WPS Office

ولهذا يجب على المسلم أن يتثبت قبل نشر الكلام.

الثالث والأربعون: العدل في زمن الإعلام

في عصرنا أصبح نشر الكلام أسرع من أي وقت مضى.

ولهذا أصبح التثبت أكثر أهمية.

فقد يظلم الإنسان غيره بكلمة يكتبها في لحظة.

الرابع والأربعون: العدل مسؤولية الجميع

Edit with WPS Office

العدل ليس مسؤولية القاضي أو الحاكم وحده.

بل هو مسؤولية الأب مع أبنائه، والزوج مع زوجته، والمعلم مع طلا به، والمدير مع موظفيه، والغني مع الفقير، والقوي مع الضعيف.

الخامس والأربعون: كيف نقتدي بعدل رسول الله ﷺ؟

نقتدي به عندما:

نقول الحق ولو على أنفسنا.

ولا نحابي قريبًا.

ولا نظلم خصمًا.

Edit with WPS Office

ونؤدي الأمانات.

ونحفظ الحقوق.

ونفي بالعهود.

ونتثبت من الأخبار.

ولا نشارك في ظلم أحد.

ونعطي كل إنسان حقه.

خاتمة الفصل

كان العدل في حياة رسول الله ﷺ ليس شعارًا، وإنما منهج حياة.

Edit with WPS Office

عدل في الحكم.

وعدل في البيت.

وعدل في المال.

وعدل في المعاملة.

وعدل مع الصديق.

وعدل مع الخصم.

وعدل مع القريب والبعيد.

وكان ﷺ يعلم الأمة أن الظلم مهما بدا صغيرًا فإنه خطير عند الله.

Edit with WPS Office

وأن المجتمع الذي يفقد العدل يفقد الأمن والثقة والمحبة.

ولهذا كان العدل من أعظم الأسس التي أقام عليها النبي ﷺ المجتمع المسلم.

إنه رسول الله ﷺ؛ العادل الذي لم تغيره القوة، ولم تحرفه الخصومة ، ولم تدفعه القرابة إلى المحاباة، فكان الحق عنده فوق الأشخاص، و العدل فوق الأهواء.

Edit with WPS Office

الفصل الخمسون

وفاء رسول الله ﷺ

إذا عاهد لم يغدر، وإذا وعد لم يخلف

تمهيد

كان الوفاء من أظهر أخلاق رسول الله ﷺ.

فلم يكن ﷺ يعرف الغدر، ولا الخيانة، ولا نقض العهود لمجرد تغير الظروف.

كان إذا عاهد وفى، وإذا وعد صدق، وإذا ائتمن حفظ الأمانة.

وقد جاء الإسلام ليجعل الوفاء خلقًا راسخًا في حياة المسلم، قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1].

وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس تطبيقًا لهذا الخلق.

أولًا: الوفاء صفة الأنبياء

الوفاء من أخلاق الأنبياء.

فهم لا يعرفون الغدر والخيانة، لأنهم يبلغون عن الله ويقدمون للناس القدوة في الأخلاق.

ثانيًا: وفاؤه ﷺ قبل البعثة

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ معروفًا بين قومه بالصادق الأمين.

وكانت أمانته وصدقه مشهورين حتى عند الذين خالفوه بعد البعثة.

وهذا يدل على أن الوفاء لم يكن خلقًا طارئًا في حياته، بل كان جزءًا من شخصيته منذ شبابه.

ثالثًا: حفظ الأمانة

كانت قريش تضع أماناتها عند النبي ﷺ.

ومع شدة عداوتهم له بعد البعثة، بقي ﷺ أمينًا.

Edit with WPS Office

رابعًا: رد الأمانات عند الهجرة

عندما هاجر النبي ﷺ من مكة، ترك علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليرد الودائع إلى أصحابها.

وهذا موقف عظيم يكشف أن العداوة لا تبرر الخيانة.

خامسًا: الوفاء حتى مع الخصوم

كان ﷺ يحفظ الحقوق حتى مع من يعادونه.

فإذا كان هناك عهد أو أمان، لم يخنه.

وهذه من أعظم صور الوفاء.

Edit with WPS Office

سادسًا: الوفاء بالعهد

كان النبي ﷺ شديد العناية بالعهود.

فالعهد في الإسلام مسؤولية، وليس مجرد كلمات تقال ثم تنسى.

سابعًا: صلح الحديبية

كان صلح الحديبية من أبرز المواقف التي ظهر فيها وفاء النبي ﷺ بـ العهود.

فقد قبل شروطًا شاقة لتحقيق مصلحة أعظم، والتزم بما تم الاتفاق عليه.

Edit with WPS Office

ثامنًا: الالتزام بالاتفاق

قد يرى الإنسان أن بعض الشروط ليست في مصلحته.

لكن إذا رضي بها والتزم بها، أصبح الوفاء بها واجبًا.

وكان النبي ﷺ قدوة في ذلك.

تاسعًا: الحكمة في الوفاء

الوفاء لا يعني السذاجة.

Edit with WPS Office

فالمؤمن يكون وفيًا، لكنه في الوقت نفسه واعٍ ويعرف كيف يحمي حقوقه.

عاشرًا: الوفاء بالعقود

العقود ليست مجرد أوراق.

بل هي التزامات وحقوق.

ولهذا أمر الله تعالى بالوفاء بها.

الحادي عشر: الوفاء بالوعد

Edit with WPS Office

كان ﷺ لا يستخف بالوعد.

فإذا وعد بشيء التزم به.

والوفاء بالوعد يبني الثقة بين الناس.

الثاني عشر: الصدق والوفاء

الصدق أساس الوفاء.

فالإنسان الذي يكذب كثيرًا يصعب أن يثق الناس بوعوده.

الثالث عشر: الأمانة والوفاء

Edit with WPS Office

الأمانة مرتبطة بالوفاء.

فمن حفظ أمانة غيره فقد وفى.

ومن خان الأمانة فقد خان العهد.

الرابع عشر: الوفاء للأصدقاء

كان النبي ﷺ وفيًا لأصحابه.

وكان يذكر فضلهم ولا ينسى مواقفهم.

Edit with WPS Office

الخامس عشر: الوفاء لخديجة رضي الله عنها

من أعظم صور الوفاء في حياة النبي ﷺ وفاؤه لخديجة رضي الله عنها بعد وفاتها.

كان يذكر فضلها، ويكرم صديقاتها، ويحفظ مكانتها في قلبه.

السادس عشر: الوفاء لأبي بكر رضي الله عنه

كان لأبي بكر مكانة خاصة عند النبي ﷺ.

وكانت صحبته له في الهجرة من أعظم صور المودة والوفاء.

Edit with WPS Office

السابع عشر: الوفاء للصحابة

لم يكن النبي ﷺ ينسى من قدم للإسلام خدمة أو بذل تضحية.

وكان يقدر جهود أصحابه.

الثامن عشر: الوفاء لأهل المعروف

من صنع معروفًا ينبغي ألا ينسى معروفه.

وقد كان النبي ﷺ يحث على مكافأة أهل المعروف وشكرهم.

التاسع عشر: الوفاء للجار

Edit with WPS Office

من الوفاء أن تحفظ حق جارك.

فلا تؤذيه، ولا تخونه، ولا تستغل حاجته.

العشرون: الوفاء للأسرة

الوفاء في الزواج ليس مجرد استمرار الحياة الزوجية.

بل هو حفظ الحقوق، واحترام العشرة، وتذكر الأيام الطيبة.

الحادي والعشرون: الوفاء بعد وفاة الزوجة

Edit with WPS Office

كان النبي ﷺ مثالًا في الوفاء لمن عاشوا معه ثم رحلوا.

وهذا يعلم الإنسان ألا ينسى من كان له فضل عليه.

الثاني والعشرون: الوفاء للوالدين

من الوفاء أن يبر الإنسان والديه، ويحفظ فضلهما، ويشكر إحسانهما.

الثالث والعشرون: الوفاء للمعلم

من الوفاء أن يحفظ الإنسان فضل من علمه.

فالعلم لا ينفصل عن الأخلاق.

Edit with WPS Office

الرابع والعشرون: الوفاء للوطن

كان النبي ﷺ يحب مكة، موطنه الأول، حبًا عظيمًا.

وكان فراقها مؤلمًا عليه.

وهذا يدل على طبيعة الإنسان في تعلقه بوطنه.

الخامس والعشرون: حب مكة

قال ﷺ في مخاطبته لمكة ما يدل على شدة حبه لها، وأنه لولا أن قومه أخرجوه منها لما فارقها.

Edit with WPS Office

فحب الوطن شعور فطري.

السادس والعشرون: الوفاء للمدينة

بعد الهجرة أصبحت المدينة موطن النبي ﷺ ومركز دعوته.

وكان لها مكانة عظيمة في قلبه.

السابع والعشرون: الوفاء للأنصار

كان الأنصار من أعظم من نصروا رسول الله ﷺ.

Edit with WPS Office

وكان ﷺ يذكر فضلهم ويعرف لهم مكانتهم.

الثامن والعشرون: رد الجميل

من الأخلاق الكريمة أن يرد الإنسان الجميل بالجميل.

وقد كان النبي ﷺ لا ينسى لأحد فضله.

التاسع والعشرون: الوفاء وقت الشدة

الوفاء الحقيقي يظهر عندما تكون الظروف صعبة.

أما الوفاء في أوقات الراحة فأسهل.

Edit with WPS Office

الثلاثون: الوفاء عند القدرة

كان النبي ﷺ قادرًا على الانتقام من أعدائه بعد انتصاره.

لكنه لم يجعل القوة سببًا للغدر.

الحادي والثلاثون: لا غدر في الإسلام

كان النبي ﷺ يحذر من الغدر.

فالخيانة من أقبح الأخلاق.

Edit with WPS Office

الثاني والثلاثون: الغدر ونقض العهود

إذا تم الاتفاق على عهد صحيح، فلا يجوز نقضه لمجرد المصلحة العابرة.

فالوفاء يبني الثقة، والغدر يهدمها.

الثالث والثلاثون: الوفاء أساس العلاقات

لا يمكن أن تستقر العلاقات الإنسانية دون ثقة.

ولا توجد ثقة بلا وفاء.

Edit with WPS Office

الرابع والثلاثون: الوفاء في التجارة

التاجر الوفي يلتزم بما اتفق عليه.

ولا يخفي العيوب.

ولا يغش.

ولا يستغل ثقة الناس.

الخامس والثلاثون: الوفاء في العمل

الموظف الوفي يؤدي عمله بإخلاص.

Edit with WPS Office

وصاحب العمل الوفي يعطي العامل حقه.

فكل طرف عليه مسؤولية.

السادس والثلاثون: الوفاء في العلم

من الوفاء للعلم أن ينسب الإنسان الكلام إلى صاحبه.

وألا يسرق جهود الآخرين.

السابع والثلاثون: الوفاء في الكلام

Edit with WPS Office

ليس كل كلام وعدًا، لكن إذا ألزم الإنسان نفسه بشيء وجب أن يحرص على الوفاء به.

ولهذا ينبغي أن يقلل الإنسان من الوعود التي لا يستطيع تنفيذها.

الثامن والثلاثون: لا تعد بما لا تستطيع

من الحكمة ألا يعطي الإنسان وعودًا كثيرة.

فالوعد مسؤولية.

التاسع والثلاثون: الوفاء والثقة

Edit with WPS Office

إذا عرف الناس عن الإنسان أنه وفي، اطمأنوا إليه.

وإذا عرفوا عنه كثرة الخلف، فقد الثقة ولو كان صادقًا أحيانًا.

الأربعون: الوفاء يصنع الرجال

الرجل الحقيقي لا يقاس بكثرة كلامه.

بل بقدر التزامه بما يقول.

فالوفاء هو الذي يحول الكلام إلى موقف.

الحادي والأربعون: الوفاء في زمن المصالح

Edit with WPS Office

في زمن أصبحت فيه بعض العلاقات قائمة على المصلحة، تزداد قيمة الوفاء.

فالصديق الحقيقي يظهر عندما تنتهي المصلحة.

الثاني والأربعون: الوفاء عند الاختلاف

قد يختلف الإنسان مع صديقه أو شريكه.

لكن الاختلاف لا يبيح إفشاء الأسرار أو إنكار المعروف أو التشهير.

الثالث والأربعون: الوفاء لا يعني السكوت عن الخطأ

Edit with WPS Office

يمكن للإنسان أن يكون وفيًا لصديقه وينصحه في الوقت نفسه.

فالوفاء الحقيقي لا يعني أن تساعد صديقك على الخطأ.

الرابع والأربعون: الوفاء والستر

من الوفاء ألا تستغل معرفة أسرار شخص كنت قريبًا منه لتؤذيه بعد انتهاء العلاقة.

الخامس والأربعون: كيف نقتدي بوفاء رسول الله ﷺ؟

نقتدي به عندما:

Edit with WPS Office

نفي بوعودنا.

ونحفظ الأمانات.

ونلتزم بالعقود.

ونحفظ العهود.

ولا نخون من ائتمننا.

ونذكر فضل من أحسن إلينا.

ونرد الجميل.

ونحفظ أسرار الناس.

Edit with WPS Office

ونكون أوفياء لأهلنا وأصدقائنا.

ولا ننسى أصحاب الفضل.

خاتمة الفصل

كان الوفاء في حياة رسول الله ﷺ خلقًا ثابتًا لا يتغير بتغير الظروف.

كان وفيًا في الرخاء والشدة، وفي القوة والضعف، مع القريب و البعيد، ومع الصديق والخصم.

لم يكن ﷺ يرى أن العداوة تبرر الخيانة، ولا أن القوة تبيح الغدر.

وكانت حياته تعلمنا أن الإنسان لا يكون عظيمًا بكثرة ما يملك، وإنما بعظمة أخلاقه وثباته على مبادئه.

Edit with WPS Office

فالوفاء يبني الثقة، ويحفظ العلاقات، ويصون الأسرار، ويرد الجميل، ويجعل الإنسان محل اطمئنان من حوله.

إنه رسول الله ﷺ؛ الصادق الأمين، الذي إذا عاهد وفى، وإذا اؤتمن حفظ، وإذا وعد صدق، فكان الوفاء خلقًا ثابتًا من أخلاق النبوة.

Edit with WPS Office

الخاتمة

إنه رسول الله ﷺ

الحمد لله الذي أكرم هذه الأمة بخاتم أنبيائه ورسله، وأرسل إليها محمدًا ﷺ هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وجعله رحمة للعالمين، وأسوة حسنة للمؤمنين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خير خلق الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد كانت هذه الصفحات رحلة في حياة أعظم إنسان عرفته البشرية ، رحلة حاولنا من خلالها أن نقترب من شخصية رسول الله ﷺ، لا من خلال الأحداث التاريخية وحدها، وإنما من خلال الإنسان الذي عاش تلك الأحداث، والقائد الذي حمل أمانة الرسالة، والمربي الذي صنع الرجال، والزوج الذي أحسن العشرة، والأب الذي امتلأ قلبه

Edit with WPS Office

رحمة، والصاحب الذي أحب أصحابه وأحبوه، والنبي الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

إن الحديث عن رسول الله ﷺ ليس حديثًا عن شخصية تاريخية عابرة، ولا عن قائد ظهر في زمن ثم انتهى أثره بانتهاء حياته، وإنما هو حديث عن نبي بعثه الله برسالة خالدة، وجعل سنته نورًا تهتدي به الأجيال.

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وهذه الآية تختصر جانبًا عظيمًا من علاقتنا برسول الله ﷺ؛ فهو ليس مجرد شخصية نقرأ سيرتها، وإنما أسوة نقتدي بها.

رسول الله ﷺ في العبادة

كان ﷺ أعبد الناس لربه، قائمًا بأمره، خاشعًا بين يديه، كثير الذكر و

Edit with WPS Office

الدعاء والاستغفار.

وكانت عبادته تربي الأمة على أن الصلة باللّٰه هي أساس كل إصلا
ح.

فلم تكن العبادة عنده مجرد أعمال تؤدى، وإنما كانت حياة يعيشها
القلب والجوارح.

رسول اللّٰه ﷺ في الأخلاق

كان ﷺ قرآنًا يمشي بين الناس في أخلاقه.

قالت عائشة رضي اللّٰه عنها عندما سئلت عن خلقه:

«كان خُلُقُه القرآن».

فكان صادقًا، أمينًا، رحيمًا، متواضعًا، حليمًا، عفوًا، وفيًا، شجاعًا،
كريمًا، حسن العشرة.

Edit with WPS Office

ولم تكن هذه الأخلاق مجرد صفات نظرية، وإنما ظهرت في كل تفاصيل حياته.

رسول الله ﷺ مع أهله

كان ﷺ خير الناس لأهله.

لم تكن عظمته في المجتمع سببًا لتكبره داخل البيت، ولم تكن مكانته قائدًا ونبيًا تمنعه من خدمة أهله ومراعاة مشاعرهم.

فكان رحيمًا بزوجاته، محبًا لأبنائه وأحفاده، متواضعًا في بيته.

وهنا يعلمنا ﷺ أن حسن الأخلاق الحقيقي يبدأ من البيت.

رسول الله ﷺ مع أصحابه

كان ﷺ مربيًا عظيمًا.

Edit with WPS Office

عرف قدرات أصحابه، واكتشف مواهبهم، وشاورهم، وشجعهم، وعلمهم، وصبر على أخطائهم.

ولم يصنع أتباعًا ضعفاء يعتمدون عليه في كل شيء، وإنما صنع رجالًا ونساءً قادرين على حمل الرسالة.

فخرج من مدرسته أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وبلال وسلمان ومعاذ وأبو هريرة، وعائشة وغيرهم من أعلام الأمة رضي الله عنهم أجمعين.

رسول الله ﷺ والرحمة

قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

فكانت الرحمة من أبرز سماته ﷺ.

Edit with WPS Office

رحم الطفل، والمرأة، والفقير، واليتيم، والخادم، والمريض، والحيوان.

ورحم من جهل، وعفا عمن أساء إليه في مواضع العفو.

وكانت رحمته لا تعني ضعفًا، بل كانت رحمةً مقترنة بالحكمة و العدل.

رسول الله ﷺ والعدل

كان ﷺ عادلًا لا يحابي قريبًا لقربه، ولا غنيًا لغناه، ولا قويًا لقوته.

وكان الحق عنده فوق الأشخاص والأهواء.

فإذا ثبت الحق لم يكن لأحد أن يأخذه بغير حق.

وهكذا أقام مجتمعًا يقوم على العدل والكرامة وحفظ الحقوق.

Edit with WPS Office

رسول الله ﷺ والوفاء

كان ﷺ أوفى الناس بالعهد.

حفظ الأمانات، ووفى بالمواثيق، وذكر أصحاب الفضل، وحفظ لخديجة رضي الله عنها مكانتها، ولم ينسَ لأصحابه مواقفهم.

وكان الوفاء عنده خلقًا ثابتًا لا يتغير بتغير الظروف.

رسول الله ﷺ في الشدائد

لم تكن حياته كلها راحة وأمانًا.

فقد أوذي، وحوصر، وأُخرج من وطنه، وفقد أحبابه، وواجه الحروب والمحن.

ومع ذلك لم ينكسر، ولم يتخل عن رسالته.

Edit with WPS Office

بل ظل ثابتًا حتى أتم الله به النعمة وأكمل به الدين.

رسول الله ﷺ يوم النصر

من أعظم ما تكشفه السيرة أن أخلاق الإنسان تظهر عند امتلاك القوة.

وعندما عاد النبي ﷺ إلى مكة منتصرًا، لم يجعل النصر وسيلة للا نتقام الشخصي.

بل ظهر منه العفو والحكمة.

فكان انتصاره انتصارًا للحق، لا انتقامًا للنفس.

رسول الله ﷺ والإنسان

كان ﷺ يحترم الإنسان ويعطيه قدره.

Edit with WPS Office

لم يكن المال هو معيار الكرامة عنده، ولا الجاه، ولا النسب.

وإنما كان معيار التفاضل هو التقوى والعمل الصالح.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

رسول الله ﷺ والقرآن

كان القرآن هو النور الذي سار به النبي ﷺ.

به عرف ربه.

وبه ربى أصحابه.

Edit with WPS Office

وبه أقام الحق.

وبه واجه الباطل.

وبه بنى الإنسان والمجتمع.

ولهذا فإن محبة رسول الله ﷺ لا تنفصل عن محبة القرآن واتباع هديه.

محبة رسول الله ﷺ

إن محبة النبي ﷺ ليست كلمات تقال، ولا مشاعر تظهر في المناسبات فقط.

إنما المحبة الحقيقية أن نصدقه فيما أخبر، ونطيعه فيما أمر، ونجتنب ما نهى عنه، ونعبد الله وفق ما شرع.

قال الله تعالى:

Edit with WPS Office

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

فالاتباع هو البرهان العملي على المحبة.

نحن بحاجة إلى السيرة اليوم

نحن في زمن تتعدد فيه الأزمات، وتزداد فيه الخصومات، وتنتشر فيه القسوة، ويحتاج الإنسان فيه إلى نموذج أخلاقي يقتدي به.

وما أحوجنا اليوم إلى أخلاق رسول الله ﷺ:

نحتاج إلى صدقه في زمن كثرت فيه الأكاذيب.

ونحتاج إلى أمانته في زمن ضاعت فيه بعض الحقوق.

ونحتاج إلى رحمته في زمن قست فيه القلوب.

Edit with WPS Office

ونحتاج إلى عدله في زمن كثرت فيه المحاباة.

ونحتاج إلى تواضعه في زمن انتشر فيه التكبر.

ونحتاج إلى عفوه في زمن كثرت فيه الخصومات.

ونحتاج إلى وفائه في زمن أصبحت فيه بعض العلاقات مرتبطة بـ المصلحة.

السيرة ليست للماضي فقط

إن الخطأ أن نقرأ السيرة باعتبارها أحداثًا وقعت قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا ثم انتهت.

السيرة حياة.

والسيرة منهج.

Edit with WPS Office

والسيرة مدرسة.

والسيرة طريق إلى فهم كيف يكون الإنسان مسلمًا في بيته، وفي عمله، ومع أسرته، ومع جيرانه، ومع مجتمعه.

فإذا قرأنا عن صبره، فلابد أن نتعلم الصبر.

وإذا قرأنا عن رحمته، فلابد أن نرحم.

وإذا قرأنا عن صدقه، فلابد أن نصدق.

وإذا قرأنا عن وفائه، فلابد أن نفي.

وإذا قرأنا عن تواضعه، فلابد أن نتواضع.

وإذا قرأنا عن عبادته، فلابد أن نزداد قربًا من الله.

Edit with WPS Office

رسالة إلى القارئ

أيها القارئ الكريم:

إذا انتهيت من قراءة هذا الكتاب، فلا تجعل السيرة كتابًا يوضع على الرف.

اجعلها حياة تسير بها.

ابدأ من بيتك.

كن رحيمًا بأهلك.

كن صادقًا في كلامك.

أدِّ الأمانة.

Edit with WPS Office

احفظ العهد.

اعفُ عندما تستطيع.

ساعد المحتاج.

أكرم الضعيف.

علّم أبناءك محبة النبي ﷺ.

واقرأ سيرته لهم.

وعلّمهم أن محبة رسول الله ﷺ ليست في الكلام وحده، وإنما في ا
لاقتداء به.

وفي الختام

Edit with WPS Office

إن الكلمات مهما كثرت لا تستطيع أن تحيط بعظمة رسول الله ﷺ.

والصفحات مهما بلغت لا تستطيع أن تجمع شمائله وأخلاقه ومواقفه.

فهو رسول الله ﷺ، الذي اختاره الله لحمل آخر رسالات السماء.

وهو النبي الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور.

وهو الرحمة المهداة.

وهو القدوة الحسنة.

وهو المعلم والمربي.

وهو القائد العادل.

Edit with WPS Office

وهو الزوج الرحيم.

وهو الأب الحاني.

وهو الصاحب الوفي.

وهو العابد الخاشع.

وهو الشجاع الثابت.

وهو الصادق الأمين.

وهو الذي قال الله تعالى في وصفه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

Edit with WPS Office

فصلوات ربي وسلامه عليه ما تعاقب الليل والنهار، وما ذكره الذاكرون، وما غفل عن ذكره الغافلون.

اللّٰهم ارزقنا صدق محبته، وحسن اتباعه، والاقتداء بسنته، والعمل بهديه، واحشرنا في زمرته، واسقنا من حوضه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

اللّٰهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنه رسول الله ﷺ.

عنوانٌ لا تنتهي معه الحكاية، لأن سيرته ليست قصة رجل عاش ثم مضى، وإنما هدي نبي أرسله الله رحمةً للعالمين، وبقي أثره في القلوب والكتب والأعمال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

Edit with WPS Office

المراجع والمصادر

أولًا: القرآن الكريم

1. القرآن الكريم، كلام الله تعالى، وهو المصدر الأول والأعلى في دراسة سيرة رسول الله ﷺ وأخلاقه ودعوته.

ثانيًا: كتب الحديث النبوي

2. صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.

3. صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

Edit with WPS Office

4. سنن أبي داود، الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا.

5. سنن الترمذي، الإمام محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

6. سنن النسائي، الإمام أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

7. سنن ابن ماجه، الإمام محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

8. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة.

9. موطأ الإمام مالك، الإمام مالك بن أنس، رواية يحيى الليثي، تحقيق بشير عواد معروف، دار الغرب الإسلامي.

Edit with WPS Office

ثالثًا: كتب السيرة النبوية

10. السيرة النبوية، ابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

11. السيرة النبوية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، ضمن كتاب البداية والنهاية، دار هجر.

12. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة.

13. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي.

14. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس،

Edit with WPS Office

محمد بن محمد اليعمري، دار ابن كثير.

15. السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم و الحكم.

16. فقه السيرة النبوية، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر.

17. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الوفاء.

18. هذا الحبيب يا محب، أبو بكر جابر الجزائري، دار ابن الجوزي.

رابعًا: كتب الشمائل والخصائص

19. الشمائل المحمدية، الإمام محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي.

Edit with WPS Office

20. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفكر.

21. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، الإمام أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية.

22. دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، دار النفائس.

23. الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية.

24. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية.

خامسًا: كتب الأخلاق والآداب

Edit with WPS Office

25. الأدب المفرد، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية.

26. رياض الصالحين، الإمام النووي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

27. مكارم الأخلاق، أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي، دار الآفاق الجديدة.

28. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي.

29. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم.

Edit with WPS Office

سادسًا: كتب التفسير

30. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر.

31. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة.

32. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية.

33. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة.

34. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب.

Edit with WPS Office

سابعًا: كتب في فقه السيرة والدعوة

35. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر.

36. السيرة النبوية: دروس وعبر، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي.

37. من معين السيرة، محمد معين الدين، دراسات في الهدي النبوي والسيرة.

38. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد الصلابي، دار ابن كثير.

39. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

Edit with WPS Office

ثامنًا: كتب في التاريخ الإسلامي

40. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث.

41. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر ابن كثير، دار هجر.

42. الكامل في التاريخ، علي بن محمد ابن الأثير، دار الكتاب العربي.

43. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، دار الكتاب العربي.

تاسعًا: مصادر في حياة الصحابة

Edit with WPS Office

44. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية.

45. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار الكتب العلمية.

46. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، دار الجيل.

47. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة.

عاشرًا: مراجع حديثة ودراسات معاصرة

48. محمد رسول الله ﷺ: منهج ورسالة، دراسات معاصرة في السيرة النبوية.

Edit with WPS Office

49. فقه السيرة، دراسات معاصرة في قراءة أحداث السيرة واستخراج الدروس والعبر.

50. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دراسات تجمع بين المصادر الأصلية والتحليل الموضوعي للسيرة.

منهج الاستفادة من المراجع

اعتمد هذا الكتاب في بناء موضوعاته على القرآن الكريم، ثم الأ حاديث الصحيحة وما صح من الآثار، مع الرجوع إلى كتب السيرة المعتمدة وكتب الشمائل والتفسير والتاريخ.

وقد روعي عند عرض أحداث السيرة التفريق بين الروايات الصحيحة والروايات التي تحتاج إلى تثبت، وعدم الاعتماد على القصص المشهورة لمجرد شهرتها، وإنما يكون المعيار هو ثبوت الرواية وصحة معناها.

Edit with WPS Office

كما تم الاستفادة من كتب العلماء المتقدمين والدراسات المعاصرة التي تناولت السيرة النبوية بالجمع والتحقيق والتحليل.

كلمة ختامية حول المصادر

إن سيرة رسول الله ﷺ أوسع من أن يستوعبها كتاب واحد، ولذلك جاءت هذه القائمة لتكون أساسًا علميًا يمكن الرجوع إليه عند التوسع في دراسة حياته ﷺ.

وأهم ما ينبغي أن يظل حاضرًا عند قراءة السيرة أن الغاية ليست معرفة الأحداث التاريخية فحسب، وإنما معرفة رسول الله ﷺ، ومحبة شخصه الكريم، وفهم هديه، والاقتداء بأخلاقه، والعمل بسنته.

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ

Edit with WPS Office

الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

Edit with WPS Office

تم بحمد الله

Edit with WPS Office